جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم العقيدة والفلسفة

تجديد الخطاب الديني العقدي

في مواجهة التحديات المعاصرة

إعداد الطالب

أحمد محمد مفلح الحنيطي

إشراف الأستاذ الدكتور

سعدون محمود الساموك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه

في العقيدة والفلسفة

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

١٤٣٢هـ- ٢٠١١م

World Islamic Sciences & Education University

Faculty of Post Graduate Studies

Dept of Creed & Islamic Philosophy

The Religious CREADAI DISCORSE RENEWING

INFACE OF CONTEMPORARY CHALLENGES

Prepared By

Ahamd M.M

Supervised By

Prof. D. Sadun Al-Samuk

Thesis Submictted in Partial full Fitment of the Requirements for the Degree of ph.D.of Islamic Creed at the world Islamic Sciences & Education University

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة

تجديد الخطاب الديني العقدي في مواجهة التحديات المعاصرة

وأجيزت في ٢/٦/٢٠١١م

إعداد

أحمد محمد مفلح الحنيطي

دكتوراه العقيدة والفلسفة الإسلامية

الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي، رئيساً

أستاذ في العقيدة والفلسفة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ....

الأستاذ الدكتور سعدون محمود الساموك، عضواً ومشرفاً

أستاذ في العقيدة والفلسفة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ....

الأستاذ الدكتور حبيب الله أحمد حسن، عضواً

أستاذ في العقيدة والفلسفة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ....

الأستاذ الدكتور عزمي طه "السيد أحمد"، عضواً خارجياً

أستاذ الفلسفة، جامعة آل البيت ....

ملخص الرسالة

تتناول هذه الرسالة موضوعا عصريا ومهما، يتعلق بدراسة التجديد في الخطاب الديني العقدي في مواجهة التحديات المعاصرة، ولقد تم عرض ذلك بصورة واضحة وشاملة.

تبدأ الرسالة بعرض مفهوم التجديد ومفهوم الخطاب ومفهوم الدين والعقيدة والفكر.

ثم تعرض الرسالة بعد ذلك لضرورة تجديد الخطاب العقدي ودواعي ذلك التجديد وخصائص التجديد وضوابط التجديد.

ثم تناولت الدراسة حديث التجديد من عدة جهات؛ من حيث التخريج وشرح الحديث والفوائد المستنبطة منه وبعض المصطلحات التي لها صلة بالموضوع ثم أخذت الدراسة بتناول موضوع التحديات المعاصرة وقد قسمت التحديات الى التحديات غير المباشرة والتحديات المباشرة، وتناولت الدراسة التحديات المباشرة والجلية مثل قصور فهم سنن الله في المجتمع وقصور فهم العقيدة وقصور فهم العبادة وغير ذلك هذا من جهة التحديات الداخلية وأما التحديات الخارجية فتناولت الدراسة المواضيع الآتية: الاستشراق، والتنصير، والصهيونية، والعلمانية، والتغريب، والحداثة، والعولمة والغزو الفكري.

وعالجت الدراسة موضوع التحديات المباشرة وهي التحدي في إنكار الإله والتجديد في أدلة وجوده والتحدي في إنكار الدين والتجديد في أهميته وضرورته.

ثم ذكرت الدراسة أهم وسائل تجديد الخطاب الديني حيث بينت أهمية الهوية ومفهومها وأصالتها ومحاولة الأعداء النيل منها.

ثم ذكرت الدراسة الانفتاح وضوابطه ومشروعيته وأهميته.

وبعدها وضّحت دور التربية في تجديد الخطاب الديني العقدي.

كما وعالجت موضوع التعريب وأهميته ومن يقوم به.

وفي ختام الدراسة تعرضت لموضوع بناء الفرد والحياة الزوجية وهي نواة الأسرة.

وأخيراً اختتمت الدراسة بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

Abstract

This Thesis is reaching and discussing an important contemporary issue which is related to the religious creed's speech renewing against contemporary challenges and this was illustrated very clearly and comprehensively. This thesis is beginning with exposing the concept of renewing, and the concept of speech, religious, creed and thinking.

Then it is discussing the necessity of renewing the creed's speech and the reasons for the renewing along with the features and controls of this renewing.

After that, this study is directed towards studying the renewing from different sides; first, authenticity of Hadeeth second, explaining the Hadeeth and the benefits derived from the Hadeeth and some of terminologies related to this subject.

The contemporary challenges are taking a good part of explanation which are divided into direct not obvious challenges and indirect obvious challenges such as deficiency of understanding the rules of this universe and society and the deficiency of understanding the creed, worship and others. These are the internal challenges but there are external challenges such as orientalism, christelization, Zionism, secularism, banishment, newness and intellectual invasion

The thesis takes into consideration the direct and not obvious challenges which are the challenge of denying the existence of God and renewing the proofs and signs of God existence and the challenges of denying the religion and renewing the importance and necessity of the religion for the human beings.

Finally, this study is mentioning the most important means and ways of renewing the religious speech which is demonstrating the importance of the identity, concept of the identity, originality of identity and how enemies are trying to invade it.

Moreover, the study in mentioning the concept of the open–mindedness or liberality and its importance, its legitimacy and controls.

Then, the study clarifies the role of education in renewing the religious creed's speech.

Also, this study clears the subject of arabicization and the importance of it and who is in charge of it.

Besides, it talks about importance of building the individual and the family who are basic foundation of this family.

At last, this study summarized and finalized the findings and results that came out from this thesis.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

[إبراهيم]

الإهداء

إلى إمام المرسلين

إلى نور الأولين والآخرين

إلى الرحمة المهداة للخلق أجمعين

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

ثم إلى أمي وأبي وزوجتي وأبنائي ولكل من ساعدني في هذا العمل من قريب

أو من بعيد ولكل مسلم

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والعرفان وعظيم الامتنان إلى أستاذي المشرف على رسالتي الأستاذ الدكتور: سعدون محمود الساموك –حفظه الله تعالى– على توجيهاته السديدة التي كانت بمثابة النبراس الذي أضاء لي طرق البحث، وسهل عليّ الوصول إلى مظان المعرفة، ليختصر علي الجهد والوقت.

والشكر الموصول إلى الأساتذة الكرام الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود على إشارته إلي باختيار هذا الموضوع، كما وأشكر الأساتذة الكرام الذين تكرموا بمناقشة هذا العمل وهم:

١- الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي

٢- الأستاذ الدكتور حبيب الله حسن

٣- الأستاذ الدكتور عزمي طه

فجزاهم الله عني خير الجزاء، وسدد الله خطاهم، ووفقهم لما يحبه ويرضاه.

المحتويات

المقدمة

الحمد لله الواحد، الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد والصلاة والسلام على سيد البشر محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

إن الناظر لحال الأمة الذي لا يخفى على أحد من ضعف، وهوان، وتفكك، وانحلال على مستوى الفرد والجماعة والبعد عن الإسلام، والجهل في حقيقة الدين، ومقاصده وأهميته عند أكثر الناس، والقلة القليلة التي تعمل ليل نهار في إيجاد الحلول للخروج من أزمة الأمة، معتقدين أن ثمة حل، ولكن كثرة التحديات وصعوبة المواجهة، تلقي بظلالها، على شعور بشيء من اليأس والقنوط، ومكافحة من آخرين وعدم استسلام، كل هذه الأمور تصور حال الأمة الإسلامية اليوم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾[١].

وينظر المسلم من الجهة الأخرى المقابلة لجهة التفكك والضياع فيشاهد تداعي على الأمة بشكل كبير وتحد بالغ، لا يمكن أن يواجه بمثل هذا الحال من الضياع، فيتحير في الأسلوب والحيلة ماذا عساه أن يفعل؟ أيصلح في الداخل أم يواجه في الخارج؟ فجاءت هذه الرسالة لتبين أن في الإصلاح مواجهة وأن الإصلاح يكون بالتجديد، ونقد ما سبق من الأساليب إما لضعفها وعدم أصالتها، وإما لعدم صلاحها في هذا الوقت.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[٢]، إن حال كثير من أبناء الأمة يسيئون استخدام علم الكلام فبدل أن يكون للرد على الملحدين جعلوه أحد أدواتهم في التفرق

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

والخلاف فيما بينهم، وانتصاراً لمذاهبهم الفكرية والخلافات العقدية الفرعية بينما يعمــل الغــرب جاهداً في إبعاد الأمة عن دينها بشتى الوسائل والطرق من الداخل والخارج.

إن هذا الحال المرير، وهي حالة يومية لأفراد المسلمين وجماعاتهم تجعل من الــضرورة أن نجدد الدين الذي كان يوماً من الأيام، أصحابه سادة الأنام، والحل يبدأ بخطابنا نحــن، لا أن نتغنى بالماضي العريق دون أن يكون لنا دور فعّال في إيجاد حاضر يليــق بالأمــة الإســلامية وبقيادتها للعالم كله.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[(١)].

أهمية الدراسة:

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تنظر إلى ذاتنا ونقده اوإصلاحها، ودون النظر إلى المــؤثرات الخارجية، وعدم الاعتماد على اللحظات والصحوات الإسلامية التي تحدث بين الفينــة والأخــرى، وتعمل الدراسة على عدم التعلق بما كان عليه الإسلام، في عزّه ورخائه الذي يشبه المسكنات فــي علاجها لأمراض المجتمع.

إن هذه الدراسة تركز على أمر مهم وهو تجديد الخطاب وتخص الخطاب العقدي فبالخطاب العقدي يتعلق كل شيء من فكر ودين وشريعة ونظام حياة... الخ، وتسلط الضوء علــى بعــض المفاهيم التي بتوضيحها، يتضح الهدف، فبالتالي سلامة المنهج، وحسن الأسلوب والطريقة، ففــي هذه دراسة وصف وعلاج لأمراض الأمة المزمنة، وبيان شيء من أهم أزماتها الكثيرة، ولكن هذا الشيء يعدّ من أركان الإصلاح المهمة للمجتمع الذي يبحث عن تغيير إيجابي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

وتشير الدراسة إلى طرق جديدة في مواجهة الغزو الفكري، وأسلوب خطاب من شأنه أن يسبب العزة للأمة لتنتقل من دور الدفاع إلى دور الهجوم في نشر الإسلام، وبيان أصالته، وعدم التخوف من شرح معانيه المقترنة بمصلحة العباد وإصلاح البلاد.

كما وتعمل الدراسة على جانب التوعية وطرح الأفكار الجديدة التي تعزز تماسك المجتمع، وتقوية بنيانه، وصلابته في التصدي للغزاة بشتى أنواع الغزو.

الدراسات السابقة:

لقد سبقني في الكتابة حول الموضوع الكثيرون، ولكن معظم الدراسات حول هذا الموضوع، لم تعالج الموضوع بشمولية، وذلك بأن تربط التجديد بالخطاب أو تجديد الخطاب بالتحديات وأحياناً تذكر شيئاً من ذلك دون أن توضح النظرة التجديدية، وأكثر الدراسات، دراسات ثقافية ليست ذا طابع علمي بحت، بل تميل إلى الإنشاء والخلط بين الموضوعات.

ومن هذه الدراسات:

١- مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير، رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة الرياض، طبعة دار الدعوة، ط١، ١٩٨٤م.

٢- الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، راشد سعيد يوسف شهوان، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٧م، طبعة دار النحوي- الرياض، ٢٠٠٨م.

٣- الأساس العقدي في التربية الإسلامية، المؤلف: عدنان مصطفى خطاطبة - جامعة اليرموك، (اربد، الأردن)، كلية الشريعة قسم الدراسات الإسلاميةن ٢٠٠٦.

٤- منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، نصر الدين مصباح القاضي، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٨٣، ط٣، ٢٠٠٢، دار الفكر العربي، مصر.

وحاولت أثناء دراستي الاستفادة مما كتب الباحثون السابقون مستأنساً بآرائهم القيمة -جزاهم الله خير الجزاء- متداركاً ما رأيته أنه فاتهم، كما حاولت أن يكون العلاج، معاصراً ذو أصالة وذلك بالنظر للواقع دون انقطاع عن الهدي الصحيح المتمثل بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

منهجية الدراسة:

١- **المنهج التحليلي:** والذي اعتمد فيه الباحث على كل ما يتصل بموضوع التجديد وموضوع الخطاب الإسلامي والتحديات المعاصرة، وتحليل ذلك للوصول إلى كيفية صياغة خطاب عقدي جديد، يمكن معه مواجهة التحديات المعاصرة.

٢- **المنهج النقدي:** من خلال نقد أساليب الخطاب القديمة، وكذلك نقد التحديات المعاصرة التي تواجه الأمة.

٣- **منهج المقارنة.**

وبذلك يكون منهجنا في معالجة موضوعات الدراسة هو المنهج التحليلي النقدي مسترشداً في تحليلي ونقدي، كتاب الله وسنة الحبيب المصطفى ﷺ وكلام العلماء العاملين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، آخذاً بعين الاعتبار دور العقل في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

صعوبات الدراسة:

أولاً: ضخامة الموضوع واتساعه، بحيث إن مفهوم الخطاب تداخلت فيه الموضوعات الإسلامية والعقدية والدعوية والفكرية ومن جهة أخرى كثرة التحديات وصعوبات حصرها وتجديد هذه التحديات في كل وقت.

ثانياً: قلة المراجع الجامعة والمشتملة لحيثيات الموضوع، حيث إنك تجد بعض الباحثين يكتب في التحديات دون أن يوضح المعالجة، وآخر يكتب المعالجة دون توضيح التحدي، وقلة من تناولوا موضوع التجديد من ناحية عقدية وفكرية، ومقارنتها بالتحديات، سيما المعاصرة منها.

ثالثاً: الإلمام بالموضوع ومعالجة قضاياه المختلفة، فكان بمثابة البحر في عيني، فحاولت الإجمال من غير إخلال مراعياً ربط القديم بالحاضر.

محتوى البحث:

ينقسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: مفهوم تجديد الخطاب الديني العقدي، وينقسم إلى خمسة مباحث، **المبحث الأول:** ويتناول مفهوم التجديد ومفهوم الخطاب الديني العقدي وينقسم إلى مطلبين، **المطلب الأول:** ويتناول مفهوم التجديد ومفهوم الخطاب. **والمطلب الثاني:** ويتناول مفهوم الدين والعقيدة والفكر.

وأما **المبحث الثاني:** فيتناول دواعي تجديد الخطاب الديني العقدي وينقسم إلى مطلبين: **المطلب الأول:** يتناول الخلود والديمومة للإسلام سبب في حاجته للتجديد، **والمطلب الثاني:** ما يحمل الخطاب الإسلامي من خصائص تجعله يلزم التجديد.

وأما **المبحث الثالث:** فيتناول الثبات والمرونة وينقسم إلى مطلبين أيضاً، **المطلب الأول:** الثبات والمرونة وكونهما أصل الأشياء وصلاحها، **والمطلب الثاني:** مجالات الثبات والمرونة.

وأما **المبحث الرابع** فيتناول: ضوابط التجديد، وينقسم إلى مطلبين؛ **المطلب الأول:** شروط التجديد، **والمطلب الثاني:** الشروط الواجب توافرها في المجدد.

وأما **المبحث الخامس** فيتناول الكلام في حديث التجديد رواية ودراية وينقسم إلى ثلاثة مطالب؛ **المطلب الأول:** تخريج الحديث وذكر رواياته، **والمطلب الثاني:** المعنى الإجمالي للحديث وذكر الفوائد المستنبطة منه، **والمطلب الثالث:** أحاديث مشابهة لحديث التجديد.

وأما **الفصل الثاني:** التحديات العقدية المعاصرة وضرورة التجديد لمواجهتها فينقسم إلى مبحثين: أما **المبحث الأول:** فيتناول التحدي العقدي غير الجلي المباشر وينقسم إلى خمسة مطالب، يتحدث **المطلب الأول:** عن مفهوم التحديات العقدية، **والمطلب الثاني:** يتناول التحدي العقدي في إنكار الإله، **والمطلب الثالث:** يتناول التجديد في الأدلة على وجود الله، **والمطلب الرابع:** التحدي العقدي في إنكار الدين، وأخيراً **المطلب الخامس:** التجديد في إدراك أهمية الدين وضروته.

وأما **المبحث الثاني:** فيتناول التحدي العقدي الجلي غير المباشر، وينقسم إلى مطلبين، **المطلب الأول:** التحديات الداخلية، **والمطلب الثاني:** التحديات الخارجية.

وأما **الفصل الثالث:** وهو الفصل الأخير فيتناول وسائل تجديد الخطاب الديني، وينقسم إلى أربعة مباحث: أما **المبحث الأول:** فيتناول التمسك بالهوية الإسلامية وينقسم إلى مطلبين: **المطلب الأول:** مفهوم الهوية وأصالتها، **والمطلب الثاني:** مواجهة تذويب الهوية الإسلامية.

وأما **المبحث الثاني:** فيتناول الانفتاح وضوابطه وينقسم إلى ثلاثة مطالب: **المطلب الأول:** مشروعية الانفتاح في الفكر التربوي الإسلامي، **والمطلب الثاني:** أهمية الانفتاح، **والمطلب الثالث:** ضوابط الانفتاح.

وأما **المبحث الثالــث:** فيتناول التربية في تجديد الخطاب الديني وينقــسم إلــى مطلبــين، **المطلب الأول:** مفهوم التربية ودورها في التصدي للتحديات، **والمطلب الثاني:** التربية والعقيدة.

وأما المبحث الرابع فيتناول: التعريب وبناء الأسرة، وينقسم إلى ثلاثة مطالــب: **المطلــب الأول:** سبل النهوض بالتعريب، **والمطلب الثاني:** بناء الفرد المسلم، والمطلب الثالث: بناء الحياة الزوجية.

الفصل الأول

مفهوم تجديد الخطاب الديني العقدي

مفهومه ـ دواعيه ـ مجالاته ـ ضوابطه ـ مشروعيته

الفصل الأول: مفهوم تجديد الخطاب الديني العقدي

- **المبحث الأول:** مفهوم التجديد ومفهوم الخطاب الديني العقدي

  المطلب الأول: مفهوم التجديد ومفهوم الخطاب.

  المطلب الثاني: مفهوم الدين والعقيدة والفكر.

- **المبحث الثاني:** دواعي تجديد الخطاب الديني العقدي

  المطلب الأول: الخلود والديمومة للإسلام سبب في حاجته للتجديد

  المطلب الثاني: ما يحمل الخطاب الإسلامي من خصائص تجعله يلزم التجديد.

- **المبحث الثالث:** الثبات والمرونة

  المطلب الأول: الثبات والمرونة وكونهما أصل الأشياء وصلاحها

  المطلب الثاني: مجالات الثبات والمرونة.

- **المبحث الرابع** ضوابط التجديد

  المطلب الأول: شروط التجديد

  المطلب الثاني: الشروط الواجب توافرها في المجدد.

- **المبحث الخامس** مشروعيته.

  المطلب الأول: تخريج الحديث وذكر رواياته

  المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للحديث وذكر الفوائد المستنبطة منه

  المطلب الثالث: أحاديث مشابهة لحديث التجديد.

المبحث الأول

مفهوم التجديد ومفهوم الخطاب الديني العقدي

المطلب الأول: مفهوم التجديد ومفهوم الخطاب:

أولاً: مفهوم التجديد لغة:

«الجدُّ وهو القطع... وقولهم ثوب جديد، كأنّ ناسجه قطعه الآن هذا هو الأصل، ثم سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً ولذلك يسمى الليل والنهار الجديدين والأجدَين؛ لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد»(١).

«والجديد وجه الأرض»(٢).

«والجدَة: مصدر الجديد. وأجَدَّ ثوباً واستَجَدَه. وثياب جُددٌ: مثل سَرير وسُرر.

وتجدَّد الشيء: صار جديداً. وأجدَّه وجَدَّده واستجدَه أي صيره جديداً»(٣)

ومما سبق «يمكن القول إن التجديد في أصله اللغوي يبعث في الذهن تصوراً تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متصلة لا يمكن فصل أحدها عن الآخر ويستلزم كل واحد منها معنى الآخر.

أولهما: أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً وللناس به عهد.

وثانيهما: أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البِلى وصار قديماً خَلِقاً.

وثالثهما: أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق»(٤).

---

(١) ابن فارس، ت: ٣٩٥ هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج١، ص٤٠٨-٤٠٩، ط١، ١٤١١ هـ-١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٤٠٨-٤٠٩

(٣) الإفريقي، ابن منظور، ت: ٧١١ هـ، لسان العرب، ج٢، ص٢٠٢، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان.

(٤) سعيد، بسطامي محمد، مفهوم تجديد الدين، ط١، ص١٤-١٥، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٤م، دار الدعوة، الكويت.

التجديد اصطلاحاً:

«بمعنى جعل الشيء جديداً، فتجديد الدين يعني، وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه، ونشره بين الناس»[١].

وبهذا فهو بمعنى التجديد اللغوي، مضافاً إليه ما تقتضيه طبيعة الإضافة إلى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد.

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف التجديد، وتعددت صيغهم لكنها لم تخرج عن محاور ثلاثة:

أ- **المحور الأول:** إحياء ما انطمس، واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس، وحمل الناس على العمل بها.

قال العلقمي[٢]: «معنى التجديد: إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما»[٣].

وقال عن دور المجدد: «يجدد ما اندرس من أحكام الشريعة وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة»[٤].

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٣٩.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي، شمس الدين، فقيه شافعي عارف بالحديث، من بيوتات العلم في القاهرة، كان من تلامذة الجلال السيوطي، له مؤلفات أشهرها: الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير ت:٩٦٩هـ، الزركي الاعلام، ج٦، ص١٩٥.

(٣) أبو الطيب العظيم أبادي (ت: ١٤٠٥هـ) عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية،تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ج١١، ص٣٨٦، الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

(٤) المصدر السابق.

ويقول المودودي: «المجدد: كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها وجدد حبله بعد انتقاضه»[١].

ب- المحور الثاني: قمع البدع والمحدثات، وتعرية أهلها وإعلان الحرب عليهم وتنقية الإسلام مما علق عليه من أمور الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

قال المناوي[٢]: «يجدد لها دينها: أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم»[٣].

ويقول العظيم أبادي[٤] في عون المعبود، شرح سنن أبي داود: «التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات»[٥].

ولعلة بهذا المعنى لا يحسن أن يكون في أيامنا هذه، فالمطلوب التلطّف ولين الجانب مع عدم الخجل في بيان الحق، فالمناوي شدّد في كلامه على أهل البدع، ولكن العظيم أبادي كان معتدلاً. سيما أنه يختلف الناس في مفهوم البدعة وطرق إنكارها.

---

(١) المودودي، ابو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدين وإحياؤه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ص٩، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) هو محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري الشافعي، له مصنفات كثيرة، منها: فيض القدير شرح الجامع الصغير، وشرح الشمائل للترمذي، ت:١٠٣١هـ، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٠٤، خير الدين الزركلي، رتبه: زهير ظاظا، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان.

(٣) المناوي، محمد عبدالرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، ج٢، ص٣٠٧، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٤) هو محمد شمس الحق العظيم أبادي الهندي، ابو الطيب، محدث، أشهر كتبه عون المعبود شرح سنن أبي داود ت:١٨٥٧م، كحالة، عمر رضا، ت:١٤٠٥هـ، معجم المؤلفين، ج٣، ص٣٤٦، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣، بيروت.

(٥) أبو الطيب العظيم أبادي، عون المعبود، شرح سنن أبي داود ج١١، ص٣٩١.

ويذكر السيوطي[١] في الجامع الصغير أن: «المراد بتجديد الدين، تجديد هدايته وبيان حقيقته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه، أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته»[٢].

ويقول المودودي: «التجديد في حقيقته: هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان»[٣] .

ويقول القرضاوي: «إن التجديد لشيء ما: هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه لو نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهى منه، وترميم ما بلي، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى.

فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، فهذا ليس من التجديد في شيء...

ثم يقول: ولا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة منه، بل يعني العودة به إلى حيث كان في عهد الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان»[٤].

ج- المحور الثالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدّ من وقائع وأحداث ومعالجتها معالجة نابعة من هدى الوحي:

---

(١) هو الحافظ المؤرخ الأديب المصري، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تتلمذ على يد جماعة من العلماء، منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني، كان يحفظ مائتي ألف حديثاً، وألَّف حوالي ستمائة مصنف، وقد اعتزل الناس حين بلغ الأربعين، وألّف في عزلته أكثر كتبه، كانت نشأته في القاهرة وتوفي بها سنة (٩١١هـ - ١٥٠٥م)، الزركلي الأعلام، ج٣، ص٣٠١.

(٢) الوعي، العدد ١٢٩، مقال بعنوان «معنى تجديد الدين»، ص٢٥.

(٣) المودودي، ابو الأعلى، موجز تجديد الدين وإحياؤه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ص٤٤.

(٤) القرضاوي، يوسف، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، ص٢٨، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، المكتب الإسلامي، بيروت.

يقول الكاتب عمر عبيد حسنة: «ليس المراد بالاجتهاد والتجديد الإلغاء والتبديل وتجاوز النص، وإنما المراد: هو الفهم الجديد القويم للنص، فهماً يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقفة في كل عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي»(١).

ويقول عبد الفتاح إبراهيم: «التجديد يعني العودة إلى المتروك من الدين، وتذكير الناس بما نسوه، وربط ما يجد في حياة الناس من أمور بمنظور الدين لها، لا بمنظارها للدين»(٢). ويقول الطيب برغوث عن التجديد هو: «تمكين الأمة من استعادة زمام المبادرة الحضارية في العالم كقوة توازن محورية، عبر إحكام صلتها من جديد بسنن الآفاق والأنفس والهداية، التي تتيح من الترقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراني»(٣).

فيكون التعريف المختار لمعنى التجديد إحياء وبعث ما اندرس منه، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها.

فيكون بعد ذلك التجديد له أصالة مقترنة بالمعاصرة. كما نلاحظ من خلال هذه التعريفات أن كل المحاولات التي تهدف إلى تطويع الدين وجعله مسالماً للجاهلية، ومسايراً لما فرضته قوى الكفر بسطوتها من أعراف وقيم غريبة ومنكرة، تحت شعار التجديد والتطوير والإصلاح ليست من التجديد في شيء»(٤).

يقول الشيخ محمد الغزالي مهاجماً أصحاب الاتجاه التطويري في الإسلام: «وكل محاولة للبتر أو الإضافة أو التحوير هي خروج عن الإسلام، وافتراء على الله، وافتئات على الناس

---

(١) حسنة، عمر عبيد، الاجتهاد للتجديد سيل الوراثة الحضارية، ص٢٠.

(٢) إبراهيم، عبد الفتاح محجوب، حسن الترابي وفساد نظرية تطوير الدين، ص٥٣.

(٣) مقال بعنوان محمد مراح، «مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي»، مجلة القافلة، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ١٩٩٩م.

(٤) أمامة، عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، ص ١٩.

وتهجّم على الحق بغير علم، وليس يقبل من أحد بتّة أن يقول: هذا نص فات أوانه أو هذا حكم انقضت أيامه، أو أن الحياة قد بلغت طوراً يقتضي ترك كذا من الأحكام أو التجاوز عن كذا متن من الشرائع، فهذه محاولات لهدم الإسلام وإعادة الجاهلية..

ثم يقول: فلنعلم أن تجديد الدين لا يعني ارتكاب شيء من هذه المحاولات المنكورة ولم يفهم أحد من العلماء الأوليين أو الآخرين أن تجديد الدين يعني: تسويغ البدع ومطاوعة الرغبات، وإتاحة العبث بالنصوص والأصول لكل متهجم، غير أنّ عصابة من الناس درجت في هذه الأيام على إثارة لفظ غريب حول إمكان ما يسمونه تطوير الدين وجعل أحكامه ملائمة للعصر الحديث»[١]، وبهذا يكون تغيير الدين لا تجديد الدين حيث إن معنى التغيير كما أشار الجرجاني: «هو إحداث شيء لم يكن قبله»[٢] .

ثانياً: مفهوم الخطاب:

فالخطاب في اللغة من الخطاب أو الخطابة وهو: «مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان»[٣].

ولقد أوضحت بعض المصادر اللغوية دلالات لغوية لمادة (خَطَبَ)[٤] منها:

الخَطْبُ: الشأن، والأمرُ صغُرَ أو عَظُم والجمع: خُطُوب وخَطَبَ المرأةَ خَطْباً و خِطْبَةً وخَطَبَ الخاطبُ على المنبر خَطابَةً بالفتح وخُطْبَةً بالضم.

(١) الغزالي، محمد، كيف نفهم الاسلام، ص١٨٤، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

(٢) الجرجاني، ٧٤٠-٨١٦هـ، ١٣٤٠م-١٤١٣م، هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، الفيلسوف من كبار العلماء بالعربية ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز، وله نحو ٥٠ كتاباً، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٧.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت٧١١هـ، لسان العرب، مادة خطب.

(٤) الفيروز أبادي، ت:٨١٧هـ، القاموس المحيط، اعتنى بها: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.

وذلك الكلامُ: خُطُبَة أيضاً أو هي الكلام المنثور المُسجع ونحوه.

ورجلٌ خَطيبٌ: حسن الخُطبة بالضم.

والخطَّابِيَّة[١]: **ببغداد قوم من الرافضة نُسبوا إلى أبي الخطَّاب، كان يأمرهم بشهادة الزُّور على مخالفيهم.**

وكما يمكن لنا أن نقول أن الخطاب هو «اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»[٢].

وفصل الخِطاب: الحكم بالبيِّنة أو اليمين أو الفقه في القضاء أو النطق بأمَّا بعدُ.

نلاحظ «التركيز على الجانب الحواري التفاعلي بين طرفين»[٣].

مفهوم الخطاب اصطلاحاً والفرق بينه وبين الخطبة

«يمثل الخطاب كلاماً بين اثنين، وهذا يستدعي مرسلاً ومستقبلاً ورسالة هي الكلام الشفوي المتبادل بينهما»[٤].

ولا يشترط أن يكون كلاماً مسموعاً بل قد يكون كلام غير مسموع ككلام الإشارة والرسائل المرئية فهي كلام ولكنه غير مسموع.

---

(١) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية، ص٣٥١، ط٢، ١٩٧٥م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٢) الآمدي: سيف الدين بن الحسن، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: إبراهيم العجوز، ص٣٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) القضاه، فريال، أنماط الخطاب العقلي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، بإشراف د.نهاد الموسى، ص٣٥، ٢٠٠٨م، الجامعة الأردنية.

(٤) القضاه، فريال، أنماط الخطاب العقلي، ص٣٥.

وليس معنى اثنين: أنهما شخصان فحسب، بل مقصوده طرفان.

من معاني الخطاب:

ليس المقصود ما ذهب إليه علماء الأصول من تقسيم الخطاب الشرعي إلى ثلاثة فروع وهي خطاب الله وخطاب الرسول وخطاب الأمة[١] بل المقصود الخطاب الديني المتعلق بالفكر والأمة، ومن أشكاله:

أ- **الحجة القوية المقنعة:** بل هي من سمات الخطاب الناجح كما ذكر ذلك عمرو بن عبيد[٢] فيما نقله الجاحظ[٣] عنه في قوله: «إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلَّفين وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان رغبةً في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل على قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب، والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب و استوجبت على الله جزيل الثواب»[٤].

«فالأصل في الخطاب أنه عبارة الكلام الحاسم، أو المعبر عن إرادة الحسم ، أو لنقل: إنه نظام القول العقلي الفاصل بين الخصوم بوصفه القائم على الإثبات والدليل، أو على وضوح الحجة والبرهان أو بوصفه الكلام أو نظام التكلم الجامع لشروط الإقناع والتأثير»[٥].

(١) حمادي، إدريس، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ص٣١ وما بعدها، ط١، ١٩٩٤م، بيروت.

(٢) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، ٨٠-١٤٤هـ، ٦٩٩م-٧٦١م، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين، كان جده من سبي فارس، وأبوه نساجاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة، واشتهر بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي وغيره. الزركلي، ج٥، ص٨١.

(٣) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، ١٦٣-٢٥٥هـ، ٧٨٠-٨٦٩م، الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره، وكان مشوه الخلقة، ومات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات وقعت عليه، له تصانيف كثيرة منها: الحيوان وهو مطبوع في أربعة مجلدات، والبيان والتبيين وهو مطبوع، والتاج وهو مطبوع، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٧٤.

(٤) الجاحظ، (ت:٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج١، ص١١٤، دار الفكر – بيروت.

(٥) الحميري، عبد الواسع، الخطاب والنص، ص١٥، ط١، ٢٠٠٨م، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت.

ب- فن مواجهة الكـــلام: وقد يقصد من الخطاب المواجهة بالكلام كما وضح ذلك الزمخشري[(١)] في أساس البلاغةَ فقالَ: «والخطاب هو المواجهة بالكلام»[(٢)].

مما يعني: «أن الخطاب عبارة عن فن مواجهة الآخرين بالكلام، أو هــو نظـــام صـــياغة الكلام المؤثر في الآخرين وتنظيمه، والتوجه به إليهم بطريقة معينة تجعله قادراً علـــى التـــأثير فيهم وإقناعهم بوجهة النظر التي يتبناها المخاطِب -بالكسر-»[(٣)].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾[(٤)].

كما فالخطاب بأنها: «فن التعليم والتحريض والتوجيه أو فن التأثير والإقنـــاع بـــالرأي أو بالعقيدة أو الأيدولوجيا أو بالتزام السلوك الأخلاقي»[(٥)].

ج- قول عملي لما يواجه المجموع: «فالأصل في الخطابة إذن أنها فـــن مواجهـــة الخطـــوب والأخطار التي تحدق بالمجموع، فبما أنها فن مواجهة الخطوب فهذا يقتضي أنها فنُ القول العملي من حيث إنها لا تهدف إلى التأثير في ذهن المخاطبين فحسب؛ وإنما تهدف كـــذلك إلى التأثير في كيانهم كله... وذلك بهدف توجيه إرادتهم ودفعها إلى العمل»[(٦)].

---

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبـــو القاســـم ٤٦٧-٥٣٨هــــ، ١٠٧٥-١١٤٤م، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر من قرى خوارزم وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، من أشهر كتبه: الكشاف في تفسير القرآن، وهـــو مطبـــوع، وأســـاس البلاغة وهو مطبوع وغيرها الكثير من المؤلفات، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٧٨.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص٢٣٩، ط٣، مركز تحقيق التراث.

(٣) الحميري، عبد الواسع، الخطاب والنص، ص١٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٥) الحميري، عبد الواسع، الخطاب والنص، ص١٤.

(٦) المصدر السابق، ص١٤.

د- **الفرق بين الخطبة والخطاب:** لا شك أن ثمة تطابق بين دلالة الخُطبة والخطـاب حيـث إن كليهما تخاطب جامع لشروط الإقناع والتأثير ولكن الفرق الوحيد الـذي يميـز مفهـوم الخطاب عن مفهوم الخطبة في الوعي البياني المعاصر هو أن مفهوم الخطاب أعم وأشمل لأنه يُلقى في المناسبات الدينية وغير الدينية ويكثر في سياق المنازعـات والخـصومات السياسية والدينية بهدف حسم الخلافات وإنهاء الخصومات بين الفرقاء[١].

ولا أدل على التطابق الكبير بين الخُطبة والخِطاب من معنى الخطابة عند المنطقيين كمـا أشار الجرجاني بقوله: «الخِطابة: عند المنطقيين هي قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، وكما يفعله الخطاب والوعاظ»[٢].

المطلب الثاني: مفهوم الدين والعقيدة والفكر:

أولاً: مفهوم الدين لغة:

(الدين) : الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فرُوعه كلُّها وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل.

فالدِّين: الطاعة، يقال دان له يُدين دِيناً، إذا أصحب وانقاد وطاع.

وقومٌ دِينٌ، أي مطيعون منقادون»[٣].

والدِين: «ما يتدين به الرجل والدِّين السلطان»[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص١٥.

(٢) التعريفات ، ص١١١.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣١٩.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٣١٩.

وقال صاحب مختار الصحاح: دانه يدينه دينا بالكسر أذله واستعبده.

وقد يراد به الحكم ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾[١].

وكلمة (دين) أوردها لسان العرب[٢] بعدة معان نذكر منها:

١- **الدين**: بمعنى الجزاء والمكافأة: ودنته بفعله ديناً، جزيته، فقيل إن: الدين المصدر، والدين الاسم.

وفي المثل كما تدين تدان، أي بمعنى كما تجازي تجازَى.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾[٣] أي: مجزيون محاسبون.

٢- **الدين**: الحساب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[٤] وقيل معناه مالك يوم الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾[٥] أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي.

٣- **الدين**: الطاعة؛ وقد دنته ودنت له: أي أطعته، قال عمرو بن كلثوم:

وأياماً لنا غراً كراماً   عصينا الملك فيها أن ندينا

٤- **الدين**: العادة والشأن؛ تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديدني: أي عادتي.

٥- **الدين**: القهر والإخضاع؛ يقال دنتهم فدانوا، أي قهرتهم فأطاعوا، وأتى منه الديان: وهو فعّال من دان الناس أي قهرهم على الطاعة.

يقول الأعشى مخاطباً الرسول ﷺ: يا سيد الناس وديان العرب.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٢) انظر: لسان العرب مادة (دين).

(٣) سورة الصافات، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الفاتحة، الآية :٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

والديان: هو الله عز وجل، والديان: القهار، وقيل: معناه الحاكم والقاضي.

ومنه قول ذي الاصبع العدواني:

لاه ابن عمك، لا أفضلت في حسب   فينا، ولا أنت دياني فتخزوني

أي لست بشاعر لي فتسوس أمري.

٦- **الدين، السياسة**؛ يقال: دنته، ودينت فلاناً أي وليته سياسته.

وبعد هذه النقول ألحظ أن ثمة جامع لهذه المعاني اللغوية بحيث تشير إلى وجود سيطرة وغلبة من جهة الانقياد، وخضوع من جهة أخرى في جميع مجالات الحياة العامة منها والخاصة.

فعندما يكون الخضوع والانقياد لله، فهنا الدين جاء بمعناه المطلق، وعندما تفسر اللغة الدين بين المخلوق والمخلوق فيكون الدين بمعناه المقيد، لأنّ الخضوع والانقياد الحقيقي أو الكمالي لا ينبغي إلا لله تعالى ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[2].

ولذا كان دين الأنبياء واحد فهو يفسر علاقة الخالق بالمخلوق ولا يمكن أن تختلف هذه العلاقة باختلاف الرسل، لأن المرسل واحداً وهو الله تعالى، قال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣.

فالقرآن نص على أن دين الله في جميع الأزمان هو إفراده بالربوبيــة والاستــسلام لــه وحده بالعبودية وطاعته فيما أمر به ونهى عنه مما هو مصلحة للبشر وعمــاد لــسعادتهم فــي الدنيا والآخرة[1].

فالدين عند الله الإسلام، والإسلام هو حقيقة جميع الأديان السماوية، فالعقيدة التــي تبنــى عليها كل الأديان والتي أساس الإيمان بوجود الله عز وجل، هي دعوة كل الرسل منذ آدم عليه السلام، إلى بعثة خاتم النبيين محمد ﷺ.

الدين اصطلاحاً: هو الاسلام لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2].

ولذا كان معناه في البحث حسب هذا المصطلح.

وسأتطرق إلى معنى الدين عند بعض علماء الإسلام عند التكلم عن التحدي فــي مفهــوم الدين لاحقاً.

ثانياً: مفهوم العقيدة:

تعريف العقيدة لغة:

عقد: العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة ووثوق. وإليه ترجــع فــروع الباب كلها[3].

---

(١) عبده، محمد، رسالة التوحيد، ص١٣٦، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار إحياء العلوم، بيروت.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج٤، ص٨٦.

وعقد العقد: نقيض الحل[١]، وعقد الحبل البيع والعهد يعقده: شده[٢]. وعقد البناء بـــالجص يعقده عقداً: ألصق بعض حجارته ببعض بما يمسكها فأحكم إلصاقها[٣]. والعقد: العهد، والجمـــع عقود، وهي أوثق العهود. وتعاقد القوم: تعاهدوا[٤].

ومن جماع المعنى اللغوي قول «ابن فارس»: «وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه (لزمـــه)، واعتقد الشيءُ: صلب، واعتقد الإخاءُ: ثبت»[٥].

ومن المعاني المتقدمة، يلحظ الآتي:

- أن المعنى اللغوي لكلمة «العقيدة» يرجع إلى أصل عقد، ويدل على: الـــصلابة، والتمـــسك بالثبات، وشدة الوثوق. سواء أكان ذلك طرف واحد منفرد (ذات واحدة) أم بين الطرفين.
- أن هذا المعنى اللغوي يسري في المحسوسات والمعنويات على سواء. كعقد البناء والعسل وكعقد الإخاء والقلب.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٠٩.

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص٣٠٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٠٩-٣١٠، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج٢، ص٦١٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٠٩-٣١٠، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج٢، ص٦١٤.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٨٦.

اشتقاقات كلمة العقيدة في استخدام القرآن والسنة:

هناك عدد من الآيات القرآنية تضمنت لفظ (عقَدَ) وبعض مشتقاته، دون لفظ «العقيدة». وفيما يأتي عرض لها بهدف الوقوف على معانيها في السياق القرآني، وهي:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾[1] أي: «والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم، فآتوهم نصيبهم ...كما وعدموهم في الأيمان المغلظة»[2].

- قوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾[3]، ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي: «بتعقيدكم الأيمان، وهو توثيقها بالقصد والنية»[4]. ومما قاله «ابن عاشور»[5] في سياق تعليقه على القراءات الواردة في كلمة (عقدتم): إن «مادة العقد كافية في إفادة التثبيت»، وإن التعبير عن «التوثق بثلاثة أفعال في كلام العرب: عقد المخفف، وعقد المشدد وعاقد»[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٣.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٥٣٤، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار الخير، بيروت.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج١، ص٦٥٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) وهو محمد الطاهر بن عاشور ١٢٩٦-١٣٩٣هـ، ١٨٧٩-١٩٧٣م، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونية وفروعه بتونس، مولده ودراسته ووفاته بها عين عام ١٩٣٢م شيخاً للإسلام مالكياً ومن مصنفاته المطبوعة، مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير وغيرها..، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٧٤.

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣، ص١٩، ط١، ٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان.

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[(١)]، ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ قـــال: «الطبـــري»[(٢)] يعني: أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربكم، والعقود التي عاقدتموها إياه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقاً، وألزمتم أنفسكم بها الله فروضاً»[(٣)].

- قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾[(٤)] المراد بـــ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾: النساء الساحرات، والعقد جمع عقدة وهي ربط في خيط[(٥)].

ويرجح ابن القيم أن المراد بالنفاثات في الآية الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة[(٦)].

وكما يلحظ، فإن معاني مادة (عقد) واضحة في دلالاتها على: التوثيق والتثبيت والتأكيـــد. وأما ورود كلمة (عقد) في السنة، فلم يثبت ورود كلمة (العقيدة) بهذه الصيغة، ومـــا ورد فـــي الكتب التسعة هو أحد الألفاظ الأربعة الآتية:

عقَد (بفتح القاف)، وعقْد (بتسكين القاف)، وعِقْد (بكسر العين وتسكين القـــاف)، والعُقَـــد (بضم العين وفتح القاف)[(٧)].

وجميعها تقدم ورودها وهي متفقة المعنى مع ما سبق بيانه في الاستخدام القرآني واللغوي (الربط والشد).الا كلمة عِقد أو العِقد (بكسر العين وتسكين القاف)، فقد وردت في سياق حادثـــة

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ٢٢٤-٣١٠هـــ، ٨٣٩م-٩٢٣م، المؤرخ المفسر الإمام، ولد فـــي آمـــل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، من كتبه أخبار الرســـل والملوك وهو مطبوع ويعرف بتاريخ الطبري في ١١ جزءاً، وجام البيان في تفسير القـــرآن وهـــو أيـــضاً مطبوع ويعرف بتفسير الطبري في ٣٠ جزءاً، الزركلي، الأعلام، ج١، ص٧٥.

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شـــاكر، ج٤، ص٣٨٥، ط١، ١٤٢٠هـــــ-٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، لبنان.

(٤) سورة الفلق، الآية: ٤.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص٦٣٠.

(٦) ابن القيم، التفسير القيم، تحقيق، محمد حامد الفقي، ١٤٠٨هـــ-١٩٩٨م ، دار الفكر.

(٧) تجنباً للإطالة في سرد الروايات يرجع إليها في الكتب التسعة..

الإفك وضياع عِقد عائشة رضي الله عنها[١]: وقال «ابن حجر» في معناه: «عِقد بكسر العين: قلادة تُعلّق في العنق للتزين بها»[٢].

العقيدة في الاصطلاح العام:

تعرف العقيدة بالاصطلاح العام بأنها: كل تصور ذهني انطوت عليه نفس الإنسان، واطمأن إليه قلبه، واستيقنها صاحبها على نحو لا يمازجه ريب ولا شك[٣]، فهي جملة من الأفكار تتعلق بحقيقة الحياة والإنسان والكون وعلة ذلك كله، يصدق بها أصحابها ويرون أنها قادرة على توجيه سلوكهم وتحديد أهدافهم وغاياتهم.

وفحوى المعتقد: التصديق والجزم بفكرة ما أو تصور معين بمستوى لا يمكن فيه أن يتسرب أدنى شك إلى النفس المصدقة والجازمة بتلك الفكرة أو ذاك التصور، فيتعامل معه كقضية قطعية خارج إطار القابلية للزعزعة أو التردد.

وهذا المفهوم للعقيدة، مفهوم عام يصدق على أي معتقد سواء أكان سماوياً أم أرضياً، وسواء أكان حقاً أم باطلاً. فالشيوعية لدى معتنقيها عقيدة، والبوذية لدى أتباعها عقيدة، والديمقراطية لدى متبنيها عقيدة، والعلمانية لدى دعاتها عقيدة، والتثليث لدى النصارى عقيدة ... وهكذا.

وبناء على ذلك يجب أن يبتعد المصنفون في مجال العقيدة والمدرسون لها – من كل التخصصات وفي كل المستويات– عن تعريف العقيدة الإسلامية تعريفاً يصدق على مفهوم

---

(١) خطاطبة، عدنان، الأساس العقدي للتربية الإسلامية، ص٥٠، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، كتابة تفسير، باب إن الذين جاءوا بالإفك، ج٩، ص٣٩٣، ح. رقم ٤٧٥٠.

(٣) سمارة، إحسان عبد المنعم، مفاهيم أساسية في العقيدة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، دار الكتاب الثقافي، اربد، والأشقر، عمر سليمان، العقيدة في الله، ص٩، ط٥، ١٤١٤هـ–١٩٨٤م، مكتبة الفلاح، الكويت.

العقيدة في الاصطلاح العام، فلا يصح أن تعرف: بأنها ما اطمأنت له النفس، وجزم به العقل بما لا يساوره شك ولا ريب. فهذا تعريف غير مانع وهو من العموم بمكان.

تعريف العقيدة الإسلامية:

بين يدي تعريف العقيدة الإسلامية لا بد من وضع عدد من الملاحظات وهي:

أولاً: إن الإتيان بهذا العنوان (تعريف العقيدة الإسلامية)، بعد العنوان المتقدم (تعريف العقيدة في الاصطلاح العام) تمييز له وتحديد لصفته.

ثانياً: إن من أكثر الألفاظ دوراناً على الألسنة وتداولاً بين الناس اليوم: «لفظ العقيدة» وما يقاربها ويتفق معها في الاشتقاق، كالاعتقاد، والعقائد، والعقدي...وعلى كثرة استعمال هذه الكلمات التي غدت مصطلحاً شائعاً، فإننا لا نجد لها استعمالاً في القرآن ولا في الحديث النبوي الشريف، وإن كانت مادة عقد قد وردت بمشتقات معينة فيهما كما سبق بيان ذلك.

ثالثاً: إن هذه الكلمة «العقيدة» أو «الاعتقاد» أصبحت علماً على العلم الذي يدرس جوانب الإيمان والتوحيد[١]، وإنّ البحث الاستقرائي يشير إلى أنّ تدوين العقيدة الإسلامية في القرن الثاني الهجري كان تحت عنوان «الفقه الأكبر»، وفي القرن الثالث ظهر مصطلحا «الإيمان» -كعنوان مؤلف مستقل- و«السنة». ثم مع بداية القرن الرابع تتالت مصطلحات «التوحيد» و«الشريعة» و«العقيدة» و«أصول الدين» وغيرها من المصطلحات ذات المضمون العقدي[٢].

---

(١) ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص١٢٢.

(٢) ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص٧٤.

وفي العصر الحديث أصبحت كلمة العقيدة مضافة إلى الإسلام عنوانا على المادة الدراسية في المعاهد والكليات والمدارس، فيقال: «مادة العقيدة الإسلامية»[١].

رابعــاً: إن بعض الباحثين يرى أن لفظ «العقيدة» مستحدث في العصر العباسي للمعنى الــذي استخدم فيه، وأن اللفظ المستخدم في القرآن الكريم والحديث الشريف: «الإيمان».

وقد استخدم لفظ «العقيدة» أجيال من أئمة المسلمين بمعنى الأفكار (مع التحفظ على هذا التعبير هنا) الأساسية التي يجب على المؤمن أن يصدقها ويقبلها، أي: يعتقدها. واستعمال السلف من العلماء والأئمة (لكلمة العقيدة) دليل على جواز استعمال هذه الكلمة لهذا الجانب من جوانب الدين[٢].

خامساً: إن الأمر تأكد لدينا كون المصطلح القرآني والحديثي النبوي المستخدم هو «الإيمان»، وإن لفظ «العقيدة» لم يرد فيهما بمعناه الاصطلاحي، فلا بد من التنبيه على أمر غايــة في الأهمية وهو: أنه رغم الموافقة والقول بجواز استخدام مصطلح العقيدة، إلا أنّــه لا يجوز أن يستخدم بمعنى معين أو دلالة اصطلاحية محــددة تقــضم مــن المــضمون الشرعي المتكامل والدقيق لمصطلح «الإيمان» الذي جاء الأول (مصطلح العقيدة) بديلاً له أو تعبيراً عنه؛ على سبيل المثال: أن يفرغ المضمون مــن الجانــب العملــي وأن يتحول إلى قضايا نظرية مجردة. بل يجب أن يكون استخدام مصطلح «العقيدة» تعبيــراً مشتملاً على المكونات والدلالات الأساسية للمصطلح الشرعي الأصلي وهو «الإيمان»، كما جاء في نصوص القرآن والسنة.

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص٧٣، وينظر: زيوت، يوسف، مصطلح العقيدة تأصيلاً وتطوراً، مجلــة كليــة العلــوم الإسلامية، جامعة بغداد.

ولذا كان الفرق بين الكلمتين العقيدة والإيمان وعدم ترادفهما فالحقيقة أن المعنى المجرد للعقيدة لا يتعلق بعمل ولكن إذا أردنا أن نسقط معنى العقيدة على الإيمان فلا بد من التحرز باشتراط العمل على أساس أنه اصطلاح شرعي مقتبس من أصل لغوي[١].

والآن ننتقل إلى تعريف «العقيدة الإسلامية»، حيث ورد لها تعاريف عدة في مؤلفات العقيدة، من بينها:

- يعرف «عمر الأشقر» العقيدة الإسلامية بأنها: «أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه لأن الله تعالى أخبر بها بطريق كتابه أو بطريق وحيه إلى الرسول ﷺ»[٢].
- ويعرفها «مصطفى الخن» بأنها: «العلم الذي يبحث فيما يجب على الإنسان أن يعتقده ويؤمن به، ويقيم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد اليقين». **وهي كذلك:** «المبادئ الدينية نفسها التي تثبت بالبرهان القاطع»[٣].
- ويعرفها «محمد ملكاوي» بأنها: «مجموعة الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يصدق بها قلبه وتطمئن إليها نفسه وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب»[٤].
- ويعرفها «إحسان سمارة» بأنها: «الفكرة الكلية عن الكون والانسان والحياة، وعما قبل الحياة الدنيا، وعما بعدها، وعن علاقتها جميعاً بما قبل الحياة وما بعدها»[٥].

---

(١) خطاطبة، عدنان، الأساس العقدي للتربية الأساسية.

(٢) الأشقر، عمر سليمان، العقيدة في الله، ص٩-١٠.

(٣) الخن، مصطفى، ومستو، محيي الدين، العقيدة الإسلامية، ص١٨، ط٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، دار ابن كثير، دمشق.

(٤) ملكاوي، محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص٢٠، ط، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار ابن تيمية، الرياض.

(٥) سمارة، إحسان عبد المنعم، مفاهيم أساسية في العقيدة الإسلامية، ص١٦.

- ويعرفها «عبد الرحمن الزنيدي» بأنها: «المباحث المتعلقة بالله من حيث وجوده وربوبيته وإلهيته وأسماؤه وصفاته والأنبياء ورسالاتهم والكتب المنزلة والسمعيات كالملائكة والقدر والحياة البرزخية والأخروية وأمثالها»[١]، المستمدة من الكتاب والسنة[٢].

- ويعرفها «عدنان خطاطبة» بأنها: «منظومة الأصول العلمية –الغيبية– المخبر بها من قبل الوحي، والتي يجب على المسلم اليقين الجازم والإقرار بها كاملة، والعمل بموجباتها»[٣] .

وقد اشتمل تعريف الخطاطبة على موضوعات العقيدة الاسلامية ومصدرها وخصائصها وإثبات الجانب العملي في تعريف العقيدة الاسلامية.

ويرى الباحث اختيار التعريف الأخير لشموله وتحقيقه لمعنى العقيدة.

وبعد عرض هذه المجموعة من التعريفات، فإنه يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

أولاً: تشير أكثر التعريفات إلى أنّ العقيدة أمور وقضايا نظرية (علمية) لا عملية.

ثانياً: تشير إلى أنّ مصدرية العقيدة هي الكتاب والسنة (الوحي).

ثالثاً: تشير كذلك إلى الجانب اليقيني اللازم فيها لدى معتقديها.

رابعاً: وتعرف بعضها العقيدة بتسمية موضوعاتها ومفرداتها، سواء بشكل كليات كتعريف سمارة أم بتفصيل كتعريف الزنيدي.

---

(١) الزنيدي، عبد الرحمن بن زيد، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، ص١٦، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار إشبيليا، الرياض.

(٢) الزنيدي، عبد الرحمن بن زيد، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، ص١٦.

(٣) خطاطبة، عدنان، الأساس العقدي للتربية الإسلامية، ص٥٥.

خامساً: تحتاج بعض التعريفات لإيضاح أكثر كتعريف «الخن» فهو أقرب للعمومية، ومنها ما يحتاج إلى تدقيق في التعابير المستخدمة، كتعبير «سمارة» عن العقيدة بأنّها «فكرة»، كما أن هذا التعريف أيضاً ينقصه مفردة كلية أساسية وهي «الله» جل جلاله. حيث اقتصر على ذكر الكون والانسان والحياة.

سادساً: أكثر التعريفات شمولية وصحة في التعبير عن المعنى الاصطلاحي، هما تعريفا الملكاوي والأشقر- مع استثناء تعريف الزنيدي لكونه تعريفاً بالمفردات وإلا فهو شامل-. ولقد تم اختيار تعريف الخطاطبة لكونه أفاد من التعاريف السابقة فكان هو الأشمل والأوضح، والأكثر دقةً لاحتوائه على الجانب العملي والنظري وهذه هي حقيقة العقيدة الإسلامية.

إيضاحات حول التعريف:

اشتمل هذا التعريف للعقيدة الإسلامية على أربعة جوانب أساسية:

الجانب الأول: موضوعات العقيدة الإسلامية (مضمونها).

الجانب الثاني: مصدرية العقيدة الإسلامية.

الجانب الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية.

الجانب الرابع: إثبات الجانب العملي في تعريف العقيدة الإسلامية.

ثالثاً: مفهوم الفكر الإسلامي:

كان لا بد من التعرض لهذا الموضوع وإن لم يدخل تحت عنوان الدراسة إلا أنّه أساس الدراسة ومرتبط بها ارتباطاً وثيقاً فقضية التجديد بحثت كقضية فكرية من خلال العلماء المفكرين والمتخصصين في ميدان الفكر الإسلامي.

فالفكر لغة: إعمال الخاطر في الشيء وقال الجوهري هو من التفكر وهو التأمل[١].

وفي القاموس المحيط: الفكر، بالكسر وبالفتح، إعمال النظر في الشيء كالفكرة[٢].

ولقد وردت مشتقات الفكر في القرآن الكريم في عدّة مواضع[٣] بصيغة الفعل، ومنها:

أ- قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[٤].

ب- وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾[٥].

أما التعريف الفلسفي للفكر فهو «يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا اطلق على فعل النفس دلّ على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل وإذا اطلق على المعقولات دلّ على المفهوم الذي تفكر فيه النفس»[٦].

والملاحظ من صيغ القرآن الكريم أنها صيغ فعلية، ولعلّ في الأمر نكتة وهي أن المراد من الفكر أمر عملي بل هو كذلك في التعريف اللغوي فالفكر أمر عملي فيه حركة وهذه هي دلالة الفعل الذي يدل على حركة وتفاعل.

ويقصد هذا التفاعل إيجاد معرفة جديدة وبذا يظهر دور العقل فيكون معنى الفكر «احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة»[١] وليس بالضرورة أن يكون الفكر صحيحاً دائماً فهو «ينقسم إلى قسمين: إلى الصحيح وإلى الفاسد»[٢].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة فكر.

(٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة فكر.

(٣) حسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي وردت الكلمة في ثمانية عشر موضعاً بصيغة الفعل وهذه الصيغ هي: فكر، تتفكروا، تتفكرون، يتفكرون، يتفكروا، يتفكرون.

(٤) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

(٥) سورة المدثر، الآية: ١٨.

(٦) الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، ص٣٣٣، ط٦، ١٩٨٧، دار الطليعة، بيروت.

فالفكر عبارة عن «عملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبر، والغاية من هذه العملية طلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء»[٣].

أما الفكر الإسلامي لكي يكون إسلامياً فلابد أن يتصف بعدّة شروط:

أولاً: أن يكون مرتكزاً على كليات الإسلام الأساسية وصادراً عنها وهذه الكليات هي الله والكون والإنسان وطبعته العلاقة بينهما من خلال النصوص القرآنية والسنة النبوية.

ثانياً: ضرورة الالتزام بالمعايير الإسلامية في فهم النصوص بمراعاة أصول الاستنباط طبقاً للقواعد العربية والشرعية كما هي في أصول الفقه وأصول التأويل.

ثالثاً: لا بد من استحضار المقاصد العامة للشريعة التي تحول دون الفهم الحرفي للنصوص والذي ربما يخالف مقاصد الشريعة[٤].

فهذه الشروط تعمل على ضبط الفكر الإسلامي وذلك بربطه بمصدره الذي يعطيه الصفة الإسلامية، ومع هذا فهو ليس مقدساً فقد يخطئ أو يصيب، ومن هنا يحدث الخلط ما بين الفكر الإسلامي والوحي الإلهي، فالفكر الإسلامي جهد بشري أما الوحي الإلهي فهو معصوم أزلي أبدي[٥].

---

(١) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٤٢٥، دار الندوة الجديدة، بيروت.

(٢) الجويني، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أسعد تميم، ص٢٥، ط١، ١٩٨٥م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

(٣) الحلواني، طه جابر، الأزمة الفكرية المعاصرة، ص٢٧، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن.

(٤) فرحات، أحمد حسين، الفكر الإسلامي، مفهومه –معالمه، ص٣٤-٣٥، ٢٠٠٣، دار عمار، عمان.

(٥) يونس، محمد، الخطاب الإسلامي، ص٩-١٠ –بتصرف–، ط١، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م، دار القلم.

المبحث الثاني

دواعي تجديد الخطاب الديني العقدي

إن التجديد في الخطاب الإسلامي أحد أهم ما يميز الإسلام كونه دين رباني سماوي صالح لكل زمان ومكان ولا ريب أن ثمة خصائص داعية إلى ضرورة التجديد ومن أهمها:

المطلب الأول: الخلود والديمومة للإسلام سبب في حاجته للتجديد:

كانت شرائع الأنبياء السابقين لسيدنا محمد ﷺ ينسخ المتأخر منها المتقدم، وكان النبي اللاحق يجدد ما انطمس من معالم الدين السابق وكان تصويب تصرفات البشر وتقويم ما اعوج في حياتهم يتم عبر وحي السماء، ولكن الله شاء أن يختم الأنبياء بمحمد ﷺ وأن تكون شريعته خاتمة الشرائع.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] وقال ﷺ: «وأنا خاتم النبيين»[2] وقال أيضاً: «لا نبي بعدي»[3].

فالشريعة الإسلامية ممتدة إلى قيام الساعة وهي المرضية عند الله تعالى ولا تقبل النسخ ولا التبديل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين برقم ٣٢٧١ ومسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، برقم ٢٦١٠.

(٣) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم ٣١٩٦ ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب برقم ٤٤١٨.

فكان لا بد من التجديد لأمرين:

الأول: لأن نصوص الشريعة محدودة والحوادث التي تقع ممدودة: لذا كان لا بد من التجديد والاجتهاد لأن أحوال الناس وبيئاتهم متغيرة بتغير أماكنهم وأزمنتهم، يقول الإمام الشاطبي(١) –رحمه الله–: «فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصاً على حكمها، ولا يوجد للأوليين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضاً اتباع للهوى، وهو معنى تعطيل التكليف لزوماً، وهو مؤدٍ إلى تكليف مالا يطاق فإذن لا بد من الاجتهاد في كل زمان، لأن الوقائع لا تختص بزمان دون زمان»(٢).

ويقول المناوي معللاً بعثة الله للمجدد رأس كل قرن: «لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل، اقتضت حكمة الملك العلام، ظهور قرم(٣) من الأعلام في غرة كل قرن، ليقوم بأعباء الحوادث إجراءً لهذه الأمة مع علمائها مجرى بني إسرائيل مع أنبيائها»(٤).

أما الثاني: فلأنّ تقادم الزمان وبُعد الناس عن مصدر الوحي يؤدي بدوره إلى اندثار كثير من معالم الدين، وكثرة الفساد، واتساع رقعة الانحراف، وتفشي البدع والضلالات، عندها تصبح الحاجة ملحة إلى بعثة المجددين، وبروز قيادات تعمل على إظهار الإسلام وتقديمه كما أنزله الله وتزيل ما علق به من أشياء دخيلة تحول دون تفاعل الإنسان مع الوحي وتحيي ما اندرس من معالمه وأحكامه.

---

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ٠٠٠–٧٩٠هـ، ٠٠٠–١٣٨٨م: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه: الموافقات في أصول الفقه وهو مطبوع في أربعة مجلدات، والاعتصام مطبوع في أصول الفقه في ثلاث مجلدات، الزركلي، الأعلام، ج١، ص٧٥.

(٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ج٤٠، ص١٠٤، ط ١٩٧٥م.

(٣) القرم من الرجال: السيد المعظم، ابن منظور، لسان العرب.

(٤) المناوي، فيض القدير، ج١، ص١٤.

المطلب الثاني: ما يحمل الخطاب الإسلامي من خصائص تجعله يلزم التجديد

لا شك أن خصائص الخطاب العقدي الإسلامي هي خصائص الإسلام نفسها بشكلها الإجمالي ذلك لأن الخطاب -كما مر سابقاً في مفهومه- ليس هدفاً بحد ذاته بل هو الطريق للهدف وهو العقيدة الإسلامية، ومع ذلك سأوضح الجانب العقدي خصوصاً من تلك الخصائص.

ولقد أشار غير واحد من علماء ومفكري الإسلام إلى هذه الخصائص مثل سيد قطب -رحمه الله- في كتابه القيم (خصائص التصور الإسلامي) وركز على الجانب الفكري والعقدي بينما الداعية الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (الخصائص العامة للإسلام) كان أشمل في طرحه بحيث شمل الجانب العقدي والتشريعي وغيرها من الجوانب الحياتية.

وهذه الخصائص هي[1]:

الربانية:

الربانية: مصدر صناعي منسوب إلى الرب زيدت فيه الألف والنون -على غير قياس- ومعناه الانتساب إلى الرب أي الله -سبحانه وتعالى- ويطلق على الإنسان أنه «رباني» إذا كان وثيق الصلة بالله، عالماً بدينه وكتابه، معلماً له. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[2] والمراد من الربانية هنا أمران:

أولاً: ربانية الوجهة والغاية.

ثانياً: ربانية المصدر والمنهج.

---

(١) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام -بتصرف-، ط٣، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مكتبة وهبة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

أولاً: ربانية الغاية والوجهة

نعني بذلك أن الخطاب العقدي يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بـــالله – تبارك وتعالى– والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية الإسلام لأن المـــؤمن يعلـــم أنَّ حالـــه سيؤول إلى خالقه وقد نسمي هذا الأمر بالإخلاص، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١).

وهذا لا يمنع وجود غايات أخرى نبيلة ولكن كلها تهدف إلى الهدف الأكبر وهو رضى الله –سبحانه وتعالى– فالتشريعات مقصودها تنظيم الحياة والجهاد وقتال الأعداء مقـــصوده ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾(٢).

وكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد، إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون المبدأ خالصاً لله لا لأحد سواه، ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد.

وغاية خلق الجن والإنس عبادة الله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(٣)

بل إنّ غاية خلق العالم كله علويه وسفليه، سمواته وأرضه هي معرفة قدرة الله قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾(٤).

فالخطاب الإسلامي العقدي لا يغازل رأياً ولا يرائي أحداً، لأنه ليس مقصوده ذلك الشيء بل مقصوده رب الأشياء مما يعطي الخطاب أصالة وصدقاً وهذا من أسرار التـــأثر بالخطـــاب الإسلامي في كل وقت وفي كل حين.

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤٢.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

ثانياً: ربانية المصدر والمنهج:

ومعناه أنّ المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى أهدافه وغاياته منهج رباني خالص، لأنّ مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[4]، وقال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[5].

وبهذه الآيات السابقة تتضح الربانية في مصدرها ومنهجها، فهي من الله تحمل البرهان والدليل، وهي واضحة تماماً كالنور المبين، كما فيها خلاص ونجاة، لأنها موعظة وهي تجيب عن كل شيء فتشفي الصدور، لذلك هي هداية ورحمة، ذلكم هو المنهج الرباني وتلك خواصه ومميزاته وهي تنعكس بالضرورة على خطابه سيما الاعتقادي منه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ١.

ثمرات الربانية

أ - معرفة غاية الوجود الإنساني

وهو أنْ يعرف الإنسان لوجوده غاية، ويعرف لمسيرته وجهة، ويعرف لحياته رسالة، وبهذا يحسُّ أنّ لحياته قيمة ومعنى، وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في الفضاء كالذين جحدوا الله أو شكوا فيه، فلم يعرفوا: لماذا وجدوا؟ ولماذا يعيشون؟ ولماذا يموتون؟

أما المؤمن، فحاله حال سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[1].

هذا هو حال من سار على منهج الله الرباني، فهو سعيد لأنه يعرف لماذا وجد وهو سعيد لأنه يعرف لماذا يعيش وهو سعيد لأنه يعرف مصيره فهو وجد للعبادة وهو يعبد الله لذلك، وسوف تكون النهاية –جزاءه من جنس عمله، فالطريق واضح ومنير بخلاف الآخرين.

وبذلك كله يكون للخطاب مقصوده الأصيل قد تحقق لا لذاته فحسب، وإنما لنبعه وأساسه ولتتحقق ثمراته وخصائصه سيما ربانيته.

ب - الاهتداء إلى الفطرة

إنَّ مِنْ ثمرات الربانية أن يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها، والتي تطلب منه الإيمان بالله تعالى ولا يعوضها شيء غيره بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[2].

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٧-٨٢.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

وإذا اهتدى الإنسان إلى فطرته فإنّه يعيش في سلام ووئام مع نفسه ومع فطرة الوجود الكبير من حوله، فالكون كله رباني الوجهة، يسبح بحمد الله قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1].

فالفطرة بذاتها غير مستقرة كالأرض العطشى التي لا يصلحها إلا الماء وكذا الإيمان للفطرة.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[2].

وسرعان ما تتذكر هذه الفطرة خالقها وإنْ حاول إخفاءَها المخلوق قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[3].

إذا تبين ذلك جلياً عُلم أن الفطرة من أهم ثمرات الربانية، فبالتالي هي ركيزة أساسية في الخطاب العقدي يعتمد عليها للتدليل عليها ذاتها من الناحية النظرية وليعلم الإنسان أنها جزء منه من الناحية العملية وبالتالي الوصول إلى غاية الخطاب المنشودة.

ج – سلامة النفس من التمزق والصراع

لقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة هي إرضاء الله تعالى وهذه هي غاية التوحيد التي فيها سعادة الإنسان، فلا يعبد إلا الله ولا يخاف إلا الله... الخ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[4] إنّ الله تعالى ضرب لنا مثلاً عقلياً يوضح سعادة الموحد ويوضح فيه أيضاً شقاء المشرك قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

فمن يقول إنهما مستويان فأيهما السعيد وأيهما الشقي؟ وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾[(١)].

إن الخطاب الإسلامي واحد في غايته وواحد في مصدره، و دعوته واحدة رمزها التوحيد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[(٢)].

إذاً فالنهاية السعادة للمخاطبين والوضوح في رسالته شأنه شأن ربانيته كما أن الخطاب العقدي خالٍ من التمزق والصراع بسبب ربانيته، ولذا لن يؤدي إلى التناقض والتطرف وهي الثمرة التالية.

د-العصمة من التناقض والتطرف

إنّ البشر -بطبيعتهم- يتناقضون ويختلفون من عصر إلى عصر بل في العصر الواحد من زمن إلى آخر، ومن قطر إلى قطر بل في القطر الواحد من إقليم إلى آخر... الخ.

بل إنّ الفرد نفسَه يختلف تفكيره باختلاف زمانه ومكانه، فحال شبابه ليس كحال شيخوخته في تفكيره وحبه وبغضه...الخ.

وهذه هي طبيعة النفس البشرية فلا بد من التناقض والاختلاف في مناهج التصور والاعتقاد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[(٣)] .

إذن فالخطاب الاسلامي وإن كان للبشر دور في صياغته وترتيبه إلا أنه إذا كان متصلاً اتصالاً وثيقاً بالربانية والخصائص الأخرى فإنه سيكون معصوماً من التناقض والتطرف وما

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

نراه في عالمنا من تطرف وتناقضات سببه إما غياب الخطـاب الإسـلامي بالكليـة أو غيـاب الخطاب الإسلامي الأصيل في منهجه وربانيته.

هـ - العدل وعدم التحيز واتباع الهوى

إن من ثمرات الربانية العدل وعدم التحيز واتباع الهوى، لأن الله تعالى مالك كل شـيء، ولأنه غني عن كل شيء، ولأن الله أمر بالعدل ويحب القسط، كما نهى عن الظلم واتباع الهوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[1]، وقـال تعـالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[2].

فالخطاب الإسلامي قائم على العدل وعدم التحيز وعدم اتباع الهوى في طرحه وأسـلوبه وهو غير معني بجهة دون جهة أو أناس دون غيـرهم أو جـنس دون جـنس أو طبقـة دون طبقة...ألخ.

و - الاحترام والسهولة في الانقياد

كما أن الاسلام رباني، فكذا الخطاب فللخطاب مكانته واحترامه، لأنـه يـدعو إلـى رب الأرباب وخالق كل شيء وإذا كانت هذه القدسية للخطاب فلأنه كذلك وبالتالي سيكون الطوع كل الطوع للمنهج الرباني الذي غايته إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ز - التحرر من عبودية الإنسان للإنسان

إن العبودية أنوع وألوان ومن أشدها خطراً وأبعدها أثراً خضوع الإنسان لإنـسان مثلـه، لأن فيه إعطاء حق الخالق للمخلوق وأي مخلوق الذي سخر الله له الكون بأكمله ليعبده وحده لا شريك له، وهو بإدراكه وبفطرته يعلم أنه لا يستحق العبادة ثم هو يتأله على الله ...الخ.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١] فدعوة الإسلام دعوة تحريره من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق، وكذا الخطاب للإسلام فهو يحمل في طياته التحرر من كل شيء إلا الله فليس لأحد عليه سلطان إلا الله فهو عن تحررية على الأصنام البشرية وغير البشرية لينعم الإنسان بخيري الدنيا والآخرة.

معنى الإنسانية

إن الإنسانية تتجلى في الخطاب العقدي كونها مقصودة الخطاب وأحد أطرافه المهمة سيما وأن الخطاب قائم بالأصل لأجل هذا الإنسان وسعادته والخروج به من تيه وظلمات الخطابات الأخرى إلى نور الخطاب الإسلامي قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[٢] إنّ القرآن الكريم الذي هو أحد مصادر الخطاب الإسلامي الأصيلة يهدي إلى الخطاب الإسلامي الذي هو صراط الله العزيز الحميد.

ومن الأدلة والبراهين على أن الخطاب الإسلامي إنساني بطبعه وأسلوبه وهدفه ما يلي:

أ- أنّه جعل الإنسان خليفة الله في أرضه

قال تعالى لملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾[٤].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة هود، الآية: ٦١.

ب- أنّه كلّف الإنسان بحمل هذه الرسالة العظيمة:

التي لم تستطع السموات والأرض والجبال أن يحملنها قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[١] وإنّ من يحمل الرسالة سينقلها بالطبع حتى لا يكون مثله كمثل الحمار يحمل أسفاراً وإلا لم يكن هناك معنى للحمل، وهذا ما أعابه الله على أمثال هؤلاء من بني إسرائيل ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ ﴾[٢].

ج- أنّه ترك للعقل -في مجال العقيدة- أن يهتدي إلى أعظم حقيقتين في هذا الوجود:

الحقيقة الأولى: وجود الله ووحدانيته فوجود الله -كما تهدي إليه الفطرة السليمة- يقتضيه كذلك النظر الصحيح، والعقل الصريح، ولا غرو إذ أقام القرآن الأدلة من الكون ومن النفس على وجود الله سبحانه وتعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٣]، ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ ﴾[٤].

ويتبع ذلك الأدلة العقلية التي ذكرها القرآن على وحدانية الله بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ ﴾[٥].

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾[٦] وفي موضع آخر يقول: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾[٧].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٥.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الطور، الآيات: ٣٥-٣٦.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤.
(٧) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

الحقيقة الثانية: «ثبوت الوحي والنبوة والرسالة فالعقل هو الذي يثبت امكان ذلك ووقوعه بالفعل وأنّ هذا الشخص المعين رسول من عند الله»[١].

إذا كان هذا في مجال الاعتقاد والحقائق العظيمة فكيف بغيرها من المجالات الكونية والاجتماعية والبشرية وغيرها، فإنه لا سبيل لحصر الأمثلة على ذلك.

ثمرات الإنسانية

أولاً:الأخوة

ونعنى بها أخوة بني الإنسان ذلك لأنّ أباهم واحد وأمهم واحدة وهما آدم وحواء، ولقد كان القرآن الكريم وهو رمز الخطاب الإسلامي -كما أوضحنا سابقاً- يوحد البشرية في كثير من ندائاته كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[٢] فالأخوة الإنسانية تساعد في استقبال الخطاب الإسلامي وسرعة تلقيه بحيث يشعر المخاطَب بوحدة حال مع المخاطِب وأنّه يسعى لمصلحته لا إلى هلاكه، والآثار والأدلة من السنة كثيرة على هذا المعنى من خلال سيرته العطرة ﷺ التي كانت ترجمة للقرآن الكريم.

إنّ من أهم ركائز الإيمان بعد الدخول في الإسلام أن يكون المؤمنون إخوة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣].

ولذا آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة.

(١) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص٥٦، ط٣، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، مكتبة وهبة.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

ثانياً: العدل والمساواة

إنّ الخطاب الإسلامي ينظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان فحسب، فلا يميز باللون ولا بالعرق؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾(1).

فلا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى لأنهم في نظر الإسلام كلهم عبيد لله(2) .

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾(3).

«أما الحضارة الغربية فقد أعلنت المساواة مبدءاً وفكرة، ولكنها عجزت عن تحقيقها في مجتمعاتها، ولا زالت مشكلة (التمييز العنصري» حية قائمة»(4).

الشمول

إنّ الشمول الذي نعنيه هو كل ما تتضمنه كلمة الشمول من معان وأبعاد، فهو شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها، بل يستوعب كيان الإنسان كله.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) إشارة إلى خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت» قالوا: بلغ رسول الله ﷺ ثم قال: «أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، ثم قال: «أي شهر هذا؟»، قالوا: شهر حرام، قال: ثم قال: «أي بلد هذا؟»، قالوا: بلد حرام، قال: «فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم» قال: ولا أدري قال: «أو أعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغت؟»، قالوا: بلغ رسول الله ﷺ، قال: «ليبلغ الشاهد الغائب». تعليق شعيب الأناؤوط: إسناده صحيح، حسّنه أحمد، برقم ٢٣٤٨٩، مسند أحمد، ج٣٨، ص٤٧٤، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت،

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٤) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص٩٤.

ولقد استحقت -العقيدة الإسلامية- هذا الشمول من خالقها ذلكم لأن الله أراد أن يكون الإسلام آخر الرسائل منه -جل جلاله- وأن يكون نبيه محمد ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين على الإطلاق فكان من حكمته جل شأنه وتعالت أسماؤه أن يجعل الدين شاملاً وأن يجعل العقيدة شاملة قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[١].

ولا أريد أن أتعرض في دراستي إلى النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإنسانية البشرية ولكن أريد أن أركز على الجانب العقدي في الخطاب.

إن العقيدة الإسلامية توصف بالشمول من أي جانب نظرت إليها:

أ- «فهي توصف بالشمول: باعتبار أنّها تفسر كل القضايا الكبرى في هذا الوجود، القضايا التي شغلت الفكر الإنساني، ولا تزال تشغله وتلح عليه بالسؤال»[٢].

ويقول ابن القيم الجوزية[٣]: « فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص: عموم بالنسبة إلى المرسلِ إليهم، وعموم بالنسبة إلى ما يحتاج إليه من بُعث إليه في أصول الدين وفروعه، فرسالته كافية، شافية عامة، لا تحتاج إلى سواها ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحدٌ من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به.

وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً، وعلّمهم كل شيء، حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنوم والقعود والقيام».

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص١٠٢.

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي، شمس الدين، من أهل دمشق من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار الفقهاء وتتلمذ على ابن تيمية، وانتصر له ولم يخرج عن شيء من أقواله، وقد سجن معه في دمشق. كتب بخطه كثيراً وألَّف كثيراً. من تصانيفه: زاد المعاد، وإعلام الموقعين، ومدارج السالكين، (ت:٧٥١هـ)، انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، والزركلي، الأعلام، ج٦، ص٥٦.

ثم عدد أمثلة كثيرة في مجال العقيدة والشريعة ثم قال: «وبالجملة فقد جاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه»[(١)].

إنّ شمول الشريعة وإحاطتها يؤكد على الحاجة الماسة إلى المجددين الذين يدلون على الصراط المستقيم في كافة شؤون الحياة وذلك بالنظر لطبيعة تركيب الأمة الإسلامية ودخول الأجناس باستمرار في الإسلام، يلزم معه التجديد المستمر وهو أحد أسرار ديمومتها وبقائها وصلاحها إلى يوم الدين.

ب- وتوصف بالشمول لأنّها لا تجزئ الإنسان بين إلهين اثنين كالمجوسية إله الخير وإله النور.

ج- وتوصف بالشمول لأنّها لا تعتمد في ثبوتها على الوجدان وحده، كما هو شأن الفلسفات الإشراقية، وكما هو شأن المسيحية التي ترفض تدخل العقل في العقيدة رفضاً باتاً، وهي كذلك لا تعتمد على العقل وحده كما هو شأن جل الفلسفات البشرية التي تتخذ العقل وسيلتها الفذة في معرفة الله وحلّ ألغاز الوجود.

وإنما تعتمد على الفكر والشعور معاً أو العقل والقلب جميعاً باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الإنسانية.

د- وهي عقيدة لا تقبل التجزئة فيجب الإيمان بها كلها، ومن كفر بشيء منها فلا يُعدُّ مؤمناً قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

(١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٤، ص٣٧٥-٣٧٦، دار الجيل، بيروت.

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾[1].

هـ- أنّها شاملة في ربوبيتها، وألوهيتها وأسماء الله وصفاته.

و- أنّها شاملة في إيمانها بالله وملائكته وكتبه ورسله والقضاء والقدر خيره وشره واليوم الآخر.

ز- أنّها شاملة في عالم الشهادة وعالم الغيب.

إننا لا يمكن أن نحصر هذا الشمول أبداً ولكننا يمكن أن نتفكر في بعض صوره ومفرداته لمعرفة عظمة هذا الدين ذلك لأنه دين الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[3].

إن ثمرات الشمول على الخطاب العقدي كحال الشمول ذاته في عدم إحصائها وعدها ولكننا يمكن أن نقول: إن هذا الشمول يجعل الخطاب العقدي أكثر مرونة واتساعاً كما ويمكن طرحه بكافة الأشكال والصور التي ترمي إلى الهدف ذاته، وهو مقصود الخطاب نفسه.

الوسطية

«ويعبر عنها أيضاً بـ«التوازن» ونعنى بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير وبطرد الطرف المقابل»[4].

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٥٠-١٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص١١٤.

مثل المادية والروحية والفردية والجماعية والواقعية والمثالية والثبات والتغير وما شابهها قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾[١].

ولا ريب أن الله خلق كل شيء وكان في تمام الاتزان والتقدير قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[٢] .

ومن ذلك:

أ- الكون وما فيه قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[٣]، إن الناظر لهذا الكون من أصغر شيء فيه وهي الذرة، إلى أكبر شيء وهما الشمس والقمر ليلحظ التوازن التام فالشحنات منها السالب والموجب حتى تستقر الذرة ولو اختل أي شيء في الكون لانقلب رأساً على عقب: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٥].

ب- أما الإنسان فذلك المخلوق العجيب لا يصلح حاله إلا بالتوازن في ارتفاع نبضه وانخفاضه وفي عمل أجهزة جسمه الدقيق، بل حتى في تنفسه... الخ

قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٧].

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٩

(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٩.

(٤) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٥) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

وتفسير الوسط في الآية بالعدل رواه غير واحد عن النبي ﷺ[١] قال الطبري: «وأنا أرى الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين مثل (وسَّط الدار) محرّك الوسط مثقله، غير جائز في سينه التخفيف. وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهيب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها»[٢].

ولا شك أن الخطاب الإسلامي وسط في اعتقاده؛ ومن ذلك:

أ- فهو وسط بين الخرافيين الذين يصدقون بدون برهان ودليل وبين الماديين الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس دون الالتفات إلى الفطرة والعقل وما يدلان على غير المحسوس من غيب وغيره .

ب- ووسط بين الملحدين الذين ينكرون الله رغم عقولهم الدالة على عظمة الخالق كافرين بما أيقنت به نفوسهم قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾[٣].

ج- ووسط بين من جعل الإنسان إلهاً، وبين من جعل الإنسان مجبوراً غير مختار، راداً بتلك الوسطية على الجبرية[٤] وعلى القدرية[٥] في نفس الوقت.

---

(١) الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢، ص٧٤٦، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، دار الفكر، بيروت.

(٢) الطبري، ابن جرير، جامع البيان، ج٢، ص٧٤٥-٧٤٦.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٤) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى.

والجبرية أصناف:

فالجبرية خالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً.

فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمي كسباً فليس بجبري.الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ج١، ص٨٥، ١٤٠٤هـ، دار المعرفة، بيروت.

(٥) يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازاً من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقاً عليه لقول النبي ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة».

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[(١)].

د- ووسط بين من قدسوا الأنبياء حتى أوصلوهم إلى مرتبة الألوهية وبين من اتهمهم بالكذب والزنا والقمار و كافة الخسائس التي لا تليق بآحاد الناس فضلاً عن أخيارهم من الأنبياء والرسل، كما ذكر ابن جرير آنفاً عن النصارى واليهود.

هـ- ووسط بين من لا يعتد إلا بالعقل دون الوحي ومن لا يقيم للعقل مكانه ودوره.

إنّ كل ما سبق ينعكس بصورة مباشرة على طبيعة الخطاب الإسلامي مما يحعله مميزاً دون غير من الخطابات آخذاً بعين الاعتبار اجتماعها كلها ليكون لها الكمال ككمال صاحب الخطاب وهو رب الأرباب سبحانه وتعالى.

الواقعية - المثالية:

يُقصد بالواقعية: «مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة ووجود مشاهد، ولكنه يدل على حقيقة أكبر منه ووجود أسبق وأبقى من وجوده، هو وجود الواجب لذاته وهو وجود الله

=وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «القدرية خصماء الله في القدر»؟

والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكومة.

فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص من وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا: هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة وهي صفات قديمة ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في إلهيته.

واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه فإن ما وجد في المحل عرض قد فني في الحال، واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتي، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه: جهة ومكاناً وصورة وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيداً، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كله وجه: جهة ومكاناً وصورة وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً. وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها. وسمعوا هذا النمط: توحيداً. الشهرستاني، ج١، ص٤٣-٤٥.

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً»[١] لقد راعى الخطاب العقدي الإسلامي حقيقة الإنسان من حيث إنه مادة وروح ونظر بعين الاعتبار إلى طابع الكون وهو بذلك لم يخل عن المثالية المنشودة لأن المثالية أمر فطري في الإنسان فالإنسان يبحث عن الرقي والمثل الأعلى دائماً وهي «واقعية مثالية أو مثالية واقعية، فقد سلمت من إفراط غلاة المثاليين ومن تفريط الواقعيين من البشر»[٢] قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾[٣].

واقعية العقيدة الإسلامية

«جاء الإسلام بعقيدة واقعية، لأنها تصف حقائق قائمة في الوجود لا أوهام متخيلة في العقول حقائق يقبلها العقل، وتستريح إليها النفس وتستجيب لها الفطرة السليمة»[٤].

ومن مظاهر واقعيتها:

أ- أنها تدعو إلى الإيمان بإله واحد تدل عليه آياته الكونية ذو أسماء وصفات تقبل بها الفطر السليمة والعقول الصحيحة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾[٥].

ب- أنها تدعو إلى الإيمان بالأنبياء والمرسلين وأن خاتمهم محمد ﷺ وأنه من البشر يوحى إليه كما أوحي إلى النبيين من قبله وأنّه ليس بدعاً من الرسل وأنه جاء برسالة أخوته السابقين وأنه جاء رحمة للعالمين.

---

(١) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص١٤٢، بطبيعة الحال ليس المقصود بالواقعية هنا أصحاب مبدأ إنكار ما وراء الحس الذين سيأتي الحديث عنهم عند الكلام عن التحدي الديني.

(٢) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص١٤٣.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٤) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص١٤٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[4].

ج- تدعو إلى الإيمان بحياة أخرى بعد هذه الحياة سرمدية أبدية.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[5].

فمن الواقع أن تكون حياة غير هذه الحياة يكون فيها الجزاء لعمل الإنسان سواء خيراً أو شراً.

د- الإيمان بالجزاء الإلهي العادل.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾[6].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[7].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٧) سورة الزلزلة، الآيات: ٧-٨.

الوضوح

إنّ الخطاب العقدي الإسلامي في القرآن الكريم واضحٌ بينٌ لأنّه مستمد من مصادر واضحة رسمت عقيدة واضحة فكان لزاماً أن يكون خطاباً واضحاً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾[1] هذا في حق القرآن الكريم وقال تعالى -في حق السنة النبوية الشريفة-: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[2] فالقضية الأساس عدم الشرك بالله تعالى وعبادته وحده قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

المبحث الثالث

الثبات والمرونة في الخطاب الإسلامي

المطلب الأول: الثبات والمرونة وكونهما أصل الأشياء وصلاحها:

إن المتعمق في حال الإسلام ليلحظ صفتين مهمتين لبقائه وخلوده سيما بعد الاطلاع على ما سبق توضيحه من ضرورة التجديد وخصائص الخطاب الإسلامي التي لا يمكن أن تقوم تلك الخصائص بشكلها المتكامل والمجتمع بدون الحاجة إلى ثبات يلازمه مرونة.

وغير المتعمق يلحظ تناقضاً ظاهرياً، إذ كيف يكون الشيء ثابتاً ومرناً في نفس الوقت، لذا كان لابد من توضيح هذه المسألة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتجديد.

الثبات لغة:

قال ابن منظور: (ثبت: ثبت الشيء ثباتاً وثبوتاً فهو ثابت)[(١)].

(ثابته وأثبته: عرفه حق المعرفة)[(٢)].

وجاءت آيات بلفظ الثبات أو ما يشتق منها كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾[(٣)].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١﴾[(٤)].

---

(١) لسان العرب، ٢، ص١٩، مادة ثبتت.

(٢) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص١٣٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١١.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾[١].

فالثابت في الإسلام هو ما لا يتغير بتغير الزمان أو المكان، ولا يسوغ أن يكون محل اجتهاد، فأحكامه ثابتة باقية مهما تطورت الحياة، لأن المصالح التي روعيت في تشريعها ثابتة[٢].

قال ابن القيم: «ومادة التثبيت أصله ومنشأه من القول الثابت...والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب، فالقول الحق كلمة التوحيد ولوازمها»[٣].

واصطلاحاً شرعاً:

هي: «الأمور الثابتة على حالة معينة لا تقبل التغير وهي مسلمات عقلية وشرعية تجتمع الأمة عليها وتتميز بها عن غيرها من الأمم والشعوب وضدها المتغيرات»[٤].

فيكون المقصود بالثبات هنا: «هو ما جاء به الوحي من عند الله سواء باللفظ أو المعنى دون اللفظ وانقطع الوحي عن رسول الله ﷺ وهو لم ينسخ فهو ثابت محكم له صفة البقاء والدوام لا تغير له ولا تبديل، وهو كذلك أبداً إلى يوم القيامة»[٥].

ودليل هذا الثبات قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾[٦].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.

(٢) القيسي، مروان إبراهيم، معالم الهدى إلى فهم لإسلام، ص١١٧، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، المكتبة الإسلامية، عمان - الأردن.

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١، ص١٧٧، دار الجيل، بيروت.

(٤) موسى، إبراهيم، الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر دراسة تأصيلية نقدية، ص٢١، ط. ١٤١٨هـ، دار عمار، عمان.

(٥) السفياني، عابد بن محمد، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ص١١، ط. ١٤٠٨هـ، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

ولتوضيح مكانة الثبات في أمور العقيدة ما ورد في دعوة كفار قريش لرسول الله ﷺ أن يعبدوا معبوده سنة وأن يعبد آلهتهم سنة، (قالوا: يا محمد! هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك، فقال: «معاذ الله أن أشرك به غيره»)[١].

فكان هذا الرد الحاسم القاطع من النبي ﷺ: «معاذ الله أن أشرك به غيره» ثم ينزل الوحي مؤكداً قيمة الثبات في العقيدة قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾[٢].

ويقول سيد قطب: «ولحسم هذه الشبهة، وقطع الطريق على هذه المحاولة، والمفاصلة الحاسمة بين عبادة وعبادة، ومنهج ومنهج، وتصور وتصور، وطريق وطريق...نزلت هذه السورة، بهذا التوكيد، وبهذا التكرار، لتنهي كل قول، وتقطع كل مساومة وتفرق نهائياً بين التوحيد والشرك، وتقيم المعالم واضحة، لا تقبل المساومة والجدل في قليل ولا كثير»[٣]. ويواصل سيد قطب في توضيح أبعاد هذه المفاصلة بقوله: «ولقد كانت هذه المفاصلة ضرورية لإيضاح معلم الاختلاف الجوهري الكامل، الذي يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق. الاختلاف في جوهر الاعتقاد، وأصل التصور، وحقيقة المنهج، وطبيعة الطريق. إن التوحيد منهج والشرك منهج آخر...ولا يلتقيان»[٤].

وكمثال آخر يؤكد حرص النبي ﷺ على الثبات تطبيقه للحدود بغض النظر على مَنْ يُقام عليه الحدُّ، ومن ذلك ما ورد في قصة المخزومية التي سرقت وحاولت قريش تخليصها بشفاعة أسامة بن زيد رضي الله عنه لها.

---

(١) الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول، ص٤٦٧، ط. ١٤١١هـ، دار الصلاح، الدمام.

(٢) سورة الكافرون.

(٣) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٩٩١، ط.١٤٠٦هـ، دار الشروق، القاهرة.

(٤) المرجع السابق، ج٦، ص٣٩٩٢.

روى البخاري -في صحيحه- عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «إن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ فقال أتشفع في حدّ من حدود الله ثم قام فخطب قال: أيها الناس! إنما ضلَّ من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سرقت لقطع محمدٌ يدها»[1].

وهنا نسأل هل هذا الثبات يعد خاصية تتميز بها الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع الوضعية؟ أم هو دليل على الجمود والتصلب؟ أم هل يمكن أن نجمع بين الثبات والمرونة؟ وما هي المجالات التي يمكن أن تعمل فيها المرونة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات يمكن أن نسترشد ببعض أقوال أهل العلم.

يشير سيد قطب إلى أن الشريعة الإسلامية تميزت بخاصية الثبات، وأن المجتمعات ذات القوانين الوضعية تكون دائماً عرضة للمتغيرات، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾[2]. حيث يقول: «وتمت كلمة الله -سبحانه صدقاً- فيما قال وقرّر وعدلَ فيما شرع وحَكَم، فلم يبق بعد ذلك قول لقائل في عقيدة أو تصور أو أصل أو مبدأ أو قيمة أو ميزان، ولم يبق بعد ذلك قول لقائل في شريعة أو حكم، أو عادة أو تقليد...ولا معقب لحكمه ولا مجير عليه...إنه ليس المجتمع الذي يصدر هذه الأحكام وفق اصطلاحاته المتقلبة...ليس المجتمع الذي تتغير أشكاله ومقوماته المادية، فتتغير قيمه وأحكامه..حيث تكون قيم وأخلاق للمجتمع الزراعي، وقيم وأخلاق أخرى للمجتمع الصناعي.

---

(١) المرجع السابق، حديث رقم (٦٧٨٨)، ج٦، ص٢٤٠٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

وحيث تكون هناك قيم وأخلاق للمجتمع الرأسمالي البرجوازي، وقيم وأخلاق أخرى للمجتمع الاشتراكي أو الشيوعي...ثم تختلف موازين الناس وموازين الأعمال وفق مصطلح هذه المجتمعات! الإسلام لا يعرف هذا الأصل ولا يقره...الإسلام يعين قيما ذاتية له يقررها الله وهذه القيم تثبت مع تغير أشكال المجتمعات)[١].

ويؤكد يوسف القرضاوي هذا المعنى بقوله: (من أجلى مظاهر الوسطية، التي تميز بها نظام الإسلام، وبالتالي تميز بها مجتمعه عن غيره: التوازن بين الثبات والتطور أو الثبات والمرونة، فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح...الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور وهذه الخصيصة البارزة لرسالة الإسلام، لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية.

فالسماوية –عادة– تمثل الثبات، بل الجمود أحياناً، حتى سجل التاريخ على كثير من رجالاتها وقوفهم في وجه الحركات العلمية، والتحريرية الكبرى، ورفضهم لكل جديد في ميدان الفكر أو التشريع أو التنظيم)[٢].

ويضيف القرضاوي أيضاً موضحاً حال الشرائع الوضعية: (وأما الشرائع الوضعية فهي تمثل عادة المرونة المطلقة، ولهذا نراها في تغير دائم، ولا تكاد تستقر على حال، حتى الدساتير التي هي أم القوانين، وكثيرا ما تلغى بجرة قلم، من حاكم متغلب أو مجلس للثورة، أو برلمان منتخب انتخاباً صحيحاً أو زائفاً حتى يصبح الناس ويمسوا وهم غير مطمئنين إلى ثبات أي مادة، أو قاعدة قانونية)[٣].

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج٣، ص١١٩٥–١١٩٦.
(٢) قرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص٣٠٣–٣٠٤.
(٣) المرجع السابق.

وعلى ضوء ما سبق نجد أن الثبات خاصية تتميز بها الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع (فهو الذي يحفظ للمجتمع المسلم تميزه واستقلاله، وهو الذي يحفظه من الذوبان والفناء في المجتمعات الأخرى، كما أنه يحمي المجتمع من الانجرار وراء أمراض الهوى وشهوات القوى المسيطرة، بل هو الذي يحفظ للشريعة توازنها وعدالتها من أن تعبث بها أهواء القوى المختلفة و تشوهها بلعبة الديمقراطية وغيره)[(١)].

المرونة لغة:

قال ابن فارس: («مرن» الميم والراء والنون أصل صحيح يدل على لين شيء وسهولة)[(٢)] وجاء في لسان العرب: (مَرَنَ يَمرُن مَرانةً ومُرُونةً: وهو لين في صلابة. ومَرَنَتَ يَد فُلانٍ على العمل أي صَلَبُت واستمرت والمَرَانة: اللينُ)[(٣)].

المرونة في الاصطلاح:

إن مفهوم المرونة كغيره من المصطلحات في العلوم الإنسانية تتعدد فيه المفاهيم وتختلف ومرد ذلك الاختلاف إلى أن بعضهم ينظر إلى المرونة من خلال الوسط العلمي الذي يعيش فيه، فمنهم من يرى أنّ المرونة هي التوسط، ومنهم من يرى المرونة هي الحل الأيسر، ومنهم من يرى المرونة في اللين واليسر، ومنهم من يرى المرونة أنّها القابلية للتغير إلى الأحسن والأفضل، ومنهم من يرى المرونة في تحقيق خير الخيرينِ ودفع شر الشرّينِ، ومنهم من يرى المرونة في تقبل الآخرين وأفكارهم، ويشير إلى هذا المعنى الأخير الياسين بقوله: (إنّ على الإنسان أن لا يتخلى عن المرونة في تعامله مع نفسه ومع الآخرين، وليس المقصود بالمرونة

---

(١) الكمالي، عبدالله، الشريعة الإسلامية وفقه الموازنات، ص٤٣، دار ابن حزم، بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٣١٣، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. ١٣٩٩هـ، دار الفكر.

(٣) ابن منظور، ج١٣، ص٤٠٣، دار صادر، بيروت.

بما دون الحق فليس ذلك من المرونة ولا من الشهامة والرجولة، التي يبنيها الدين في الإنسان، وإنما المقصود ألا يقتصر الإنسان في فهمه وتعامله على جانب واحد من جوانب الحق، لا يتعداه إلى غيره من الجوانب، فإذا تعددت آراء العلماء الموثقين حول نقطة معينة، فلنا أن نأخذ برأي من هذه الآراء دون أن نحاول فرضه على الآخرين، ودون أن يمنعنا ذلك من اعتبار أن الآخرين قد يكونون على الحق وحتى لو أخذوا رأياً آخر من غير أن تقوم بيننا مجادلات، أو تنشأ خلافات وخصومات»[١].

إذن نجد الشريعة الإسلامية بطريقة متجانسة تجمع مع هذا الثبات المرونة مع التأكيد على (أن أحكام الشريعة مع ثباتها ورسوخ قواعدها وكلياتها لم تكن جامدة صلبة بل فيها من المرونة والمواكبة للتغيرات الزمانية والمكانية. الأمر الذي جعلها أيضاً خالدة باقية لا يضرها ظهور الجديد من المكتشفات وتطور الأمم والمجتمعات)[٢].

وكنوع من التوضيح المنهجي بين مجال الثبات ومجال المرونة في الشريعة الإسلامية يقرر القرضاوي أنه: (نستطيع أن نحدد مجال الثبات، ومجال المرونة، في شريعة الإسلام ورسالته الشاملة الخالدة، فنقول: إنه الثبات على الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب. الثبات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات. الثبات على القيم الدينية والأخلاقية والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية)[٣].

---

(١) إلياس، جاسم المهلهل، مجلة المنار، عدد١٦ ص١٥، الإنسان بين المرونة والصلابة، دار المجتمع، جدة.

(٢) القحطاني، سفر بن علي بن محمد، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة دراسة تأصيلية تطبيقية، ص٣٧، ط١٤٢٤هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة.

(٣) الخصائص العامة للإسلام، ص٢٠٤-٢٠٥.

وخلاصة القول:

فالمرونة خاصية ثابتة من خصائص الشريعة، ولكنها تعمل في المتغيرات «الوسائل، والأساليب، والفروع، والجزئيات» فهي تتخذ من الثوابت قاعدة ومرتكزات (فالمرونة حصيلة حركة في إطار ثابت، فهي ليست حركة مطلقة، وليست ثباتاً مطلقاً. وبذلك تكون المرونة هي الحد الفاصل بين الثبات المطلق الذي يصل إلى درجة الجمود، والحركة المطلقة التي تخرج بالشيء عن حدوده وضوابطه، أي إن المرونة حركة لا تسلب التماسك، وثبات لا يمنع الحركة)(١). هذا وقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الشواهد التي تؤكد على خاصية المرونة و أهميتها.

ويمكن أن نستخلص من هذا التعريف؛ أن المرونة تكون في تقبل آراء الاخرين، وأن لا يقتصر الإنسان على جانب واحد من الحق، وأن لا يفرض رأيه على الآخرين.

وتعني: أن الله سبحانه وتعالى أودع في هذه الشريعة من عوامل الخصوبة والحيوية، والثراء، ما يجعلها صالحة للنماء والتجدد الذاتي، وقادرة على مواجهة مختلف التقلبات الزمانية والمكانية والبيئية(٢).

ومنهم من يشير إلى أنّ المرونة تكون في القدرة على التكيف، وهي ميزة تساعد على الانفتاح بقوله: (تشير المرونة... باعتبارها خاصة تنم عن القدرة على التكيف والتلاؤم، وميزة تشير إلى الانفتاح على صعيد القدرات والقوى والاستعداد من جانب المرء لتطويعها وملاءمتها بحيث تنطوي على قابلية التطويع)(٣).

---

(١) الصوفي، حمدان، مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ص١٤١.

(٢) أمامة، عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، ص٢٩، دار ابن الجوزي.

(٣) رزوق، أسعد، موسوعة علم النفس، ص٢٧٨، مراجعة: عبد الله عبد الدايم، ١٩٧٩م، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت.

وتعرف المرونة بأنّها: (الحدُّ الفاصل بين الثبات المطلق الذي يصل إلى درجة الجمـــود، والحركة المطلقة التي تخرج بالشيء عن حدوده وضوابطه، أي إن المرونة حركـــة لا تـــسلب التماسك، وثبات لا يمنع الحركة)[1].

ويلاحظ أن كل هذه المعاني السابقة من التوسط والقابلية للتغير والأخذ بأيسر الحلـــول... وغيرها، معاني تتضمنها المرونة.

ولهذا يمكن القول: إن المرونة هي الاستجابة الانفعالية والعقلية التي تمكّن الإنـــسان مـــن التكيف الإيجابي مع مواقف الحياة المختلفة «سواء كان هذا التكيف بالتوسط أو القابلية للتغير أو الأخذ بأيسر الحلول.

والمتتبع لأحوال الأمم السابقة يرى بوضوح أن من أسباب زوال تلك الأمم إما الثبـــات أو المرونة المطلقة، فمثال زوال أمم الثبات المطلق السماوية منها ومثال ما اعتمد علـــى المرونـــة المطلقة الأمم الواقعية.

ولأن هذه الأمة هي آخر الأمم لحمل الرسالة السماوية فكان لابد مـــن اجتمـــاع الثبـــات والمرونة فيها.

كحال الكون والإنسان فالكون مع أنه ثابت في أرضه ومائه وليله ونهاره...الخ، إلا أنّـــه مرن في جزيئاته ومكوناته من الجزر التي تتكون والبلاد التي تعمر وأخرى تخرب وهو حـــال الإنسان الذي هو ثابت بطبيعته الجسمية والخلْقية والمتغير في تفكيره ومداركه التي وصل بهـــا

---

(١) الصوفي، حمدان، مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ص١٤١، رســـالة دكتـــوراه غير منشورة، ط. ١٤١٦هـــ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

إلى أمور لم يكن يخطر بالخيال الوصول إليها ولكنه في جوهره هو نفس الإنسان القديم الذي لا يصلحه إلا الأكل والشرب...الخ[١].

فلذا ظل الإنسان إنساناً والكون كوناً ولكن بشكل مختلف تماماً عما كان عليـــه فاســتحق البقاء بسبب ثبوته ومرونته المتلازمتين.

(١) القرضاوي، يوسف، خصائص الإسلام، ص١٩٧.

المطلب الثاني: مجالات الثبات والمرونة والتوازن بينهما.

مجالات الثبات[١]:

أ- **في العقائد والحقائق الإيمانية والأخبار الغيبية:** فأركان الإيمان، وحقيقة أنّ غاية الوجود الإنساني هي العبودية المطلقة لله وأنّ الدين المرتضى عند الله هو الإسلام، وأنّ الله لا يقبل من الناس دينا سواه، وأنّ معيار التفاضل بين البشر هو الإيمان والتقوى، وأنّ الدنيا دار ابتلاء وعمل، وأن الآخرة دار جزاء وحساب، وغير هذه الأمور من العقائد، ثوابت غير قابلة للتغيير ولا للتطوير، لأنها تقوم على خصائص يقينية ثابتة أجمع عليها الأنبياء، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [٢].

ب- **في الأصول والكليات ومقاصد الشريعة العامة:** فهذه ثابتة لا يطرأ عليها تعديل ولا تبديل، إذ لا يعقل أن يكون مقصود الشرع المحافظة على النفوس والأعراض والعقول والأموال في وقت ما، ثم يتحول قصد الشارع إلى إهدار هذه الأشياء في وقت آخر.

ج- **في القيم والفضائل العامة:** فالصدق والصبر والأمانة والإحسان إلى الناس فضائل لا يعقل أن تصبح في وقت من الأوقات رذائل.

د- **في العبادات الشعائرية:** لأنّها مرسومة على هيئات وصور خاصة، وهي عبادات محضة وأحكامها غير معقولة المعنى، وما كان شأنه كذلك فلا يجري فيه مراعاة المصالح، ولا

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ص١٧٨، والتجديد في الفكر الإسلامي، ص٢٦-٢٨.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

يؤثر عليه تغير الزمان والمكان، ولذا نص العلماء على أن الأحكام التعبدية لا يجري فيها القياس، لأنها غير معقولة المعنى ولا يستطيع العقل البشري إدراك عللها الجزئية حتى تعدى أحكامها إلى أشباهها[1].

هـ- في أحكام الحدود: كحدِّ الزنى، وحدّ السرقة، وحدّ القذف، وحدّ الردة، وحد الحرابة، فهي غير قابلة للتغيير أو التبديل، لأنّ الشارع حدد المقصد من شرعية هذه الحدود، وحدد إلى جانبه الوسيلة التي يجب اتباعها لتحقيق هذا المقصد، فحين نزيد في العقوبة عما حدد الشرع نكون قد ظلمنا الفرد، وحين ننقص منها، نكون قد ظلمنا المجتمع، ولا أحد أخبر بالإنسان من نفسه إلا الله تعالى.

و- أحكام المقدرات: كتقدير الأنصبة في الزكاة، وتحديد عدد الطلقات، وحصص الورثة بنصف أو ربع أو ثلث أو غير ذلك، فهذه المقادير غير قابلة للتطوير والتغيير بحجة رعاية المصالح أو غير ذلك من الحجج.

وأما عن دور المجدد في هذه الثوابت فهو ببيانها والدعوة إلى التمسك بها والعمل بأحكامها والتحذير من تحريفها.

مجالات المرونة[2]:

أ- وأما المرونة في الخطاب الإسلامي والشريعة بشكل عام فتتجلى في ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالعلل – كما وضحنا من أمثلة على المرونة عند التعريف بها.

---

(١) أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، ص٢٣٣- بتصرف-، دار المعارف، مصر.

(٢) للاطلاع بشكل أوسع على (المرونة) ومجالاتها يمكن الرجوع إلى بحث الأستاذ أنس سليم الأحمد بحث بعنوان (المرونة)، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع، الرياض وجدة.

وكذلك تظهر المرونة في تفصيلات الأحكام وأوقات تطبيقها وكيفية تطبيقها فالصلاة مثلا فيها مرونة من حيث إنها صلاة مقيم أو مسافر أو خائف ومرونة في وقت أدائها عند النسيان، أو النوم، بل حتى في حال المرض كيف تؤدى والأمثلة كثيرة لا يمكن حصرها.

ب- المرونة في مجال الاعتقاد:

أما في مجال الاعتقاد، فالملاحظ على كثير من كُتاب ومفكري الإسلام أنه يعتبر مجال الاعتقاد ثابتا مطلقا ولا مرونة فيه، وهذا الأمر لا يحتاج التدليل عليه لشهرته بقولهم على سبيل المثال:

أما العقائد فهي ثابتة لا مساومة فيها...الخ[١].

إنّ هذا أمر فيه عموم وإطلاق ويحتاج إلى تحديد وتوضيح: إن الأمثلة في القرآن والسنة على مرونة العقيدة كثيرة جدا منها:

أ. قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾[٢].

فهذا أمر عقدي مرتبط بالولاء والبراء لا يمكن المساومة عليه بالرغم من ذلك فإننا نجد المرونة فيما تبع الآية بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [٣].

فالاستثناء عند الضرورة وكذلك الأمر في الأحكام كتحريم الميتة إلا عند الضرورة مثلاً: فكيف توصف الأحكام بالمرونة ولا توصف العقيدة بها؟

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٤].

---

(١) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص٣٠٢-٣٠٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

«ولكن الخطر في أن تتحول الاستثناءات إلى قواعد وأصول في التفكير والسلوك»[(١)].

ب. في يوم الحديبية[(٢)] تتجلى المرونة بأروع صورها في أمور العقيدة وذلك بقبوله ﷺ محو (بسم الله الرحمن الرحيم)، وكتابة (باسمك اللهم)، فهل يعتبر هذا إنكاراً لأسماء الله وصفاته؟ بالطبع لا. بل طلبوا -أيضاً- أن يمحو كلمة (رسول الله) بعد اسم النبي محمد ﷺ واستجاب لطلبهم، مع أن عدم الاعتراف بأنه رسول الله ﷺ كفر مخرج من الملة، أليس هذا أمر عقيدي؟

ولقد وجه د. القرضاوي ذلك بقوله: «والسر في هذه المرونة هنا، والتشدد في المواقف السابقة أن المواقف الأولى -يقصد عدم المساومة على الدين يوم عرض عليه أن يعبد ربهم سنة ويعبدون الله سنة- تتعلق بالعقيدة والمبدأ فلم يقبل فيها أي مساومة أو تساهل، فلم يتنازل قيد أنملة عن دعوته أما المواقف الأخيرة -ويقصد ما أشرت إليه- فتتعلق بأمور جزئية وبسياسات وقتية أو بمظاهر شكلية، فوقف فيها موقف المتساهل»[(٣)].

الأمر ليس كما قال الدكتور القرضاوي، فهي ليست مسائل جزئية ولا أمور وقتية ولا مظاهر شكلية بل هي أمور اعتقادية بحتة، ولكن هي من باب أن ثمة أمور اعتقادية تكون فيها مرونة بحسب الحال وبحسب الطلب والفعل وبحسب متعلقات كثيرة يكون فيها المسلم ثابت أو مرن بالقياس على وقائع النبي ﷺ ومما يؤكد ذلك ما حدث مع وفد ثقيف[(٤)].

---

(١) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص٢٠٢.

الغريب أن المثال عند د.يوسف القرضاوي ولم يشر إلى مجال المرونة في العقيدة بل على العكس أكد قضية عدم المساس بالعقيدة وأنها من الثوابت ولا شك أنه لا يخالفنا الرأي إلا أن الأمر يحتاج إلى تمحيص وتدقيق أكثر – والله أعلم.

(٢) سيرة ابن هشام، تحقيق: السقا، والأبياري وشلبي، ج٤، ص١٨٤-١٨٥، ط٣، دار إحياء التراث.

(٣) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص٢٠٧.

(٤) ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحقيق: السقا.

عندما أرادوا الدخول في الإسلام، فسألوا النبي ﷺ يدع لهم (الطاغية) وهي (اللات) ثلاث سنين ثم سنتين ثم سنة ولم يقبل ﷺ بذلك ثم سألوه أن يعبدوه شهراً واحداً فأبى إلا أن يبعث أبا سفيان والمغيرة بن شعبة لتحطيم الأصنام.

وكانوا قد سألوه أيضاً أن يعفيهم من الصلاة وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال ﷺ: «أما كسر أوثانكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه».

أليس كسر الأوثان أمر اعتقادي عملي لإثبات عدم الاهيتها؟ ولكنه ﷺ كان مرناً في ذلك ولم يكن مرناً في العبادة لها أو في ترك الصلاة وهي من الأحكام.

فالقضية –والله أعلم– لا تتعلق بكون العقائد ثابتة والأحكام مرنة، ولكن بأن الشيء الواحد قد يكون مرناً من جهة وغير مرن من جهة أخرى بحسب التعلقات، فلا يجوز الوصف بالمرن المطلق ولا بالثبات المطلق، وأمر العقيدة كغيره محتمل الجوانب يجتمع فيه الثبات والمرونة.

المبحث الرابع

ضوابط التجديد

المطلب الأول: شروط التجديد:

من خلال تعريف التجديد السابق، وملاحظة الأعمال التي اضطلع بها المجددون، نستطيع أن نحدد المجالات الاجمالية التي يتم التجديد من خلالها في مجالات خمسة هي[١]:

أ- الحفاظ على نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية:

لأنه إذا كان المراد من حديث التجديد: إحياء وإعادة ما اندرس من الدين، فإن الدين إنّما يقوم على النصوص الأصلية التي أنزلها الله في كتابه، أو بيّنها رسوله ﷺ، ولا بقاء لدين دون حفظ نصوصه، وما حرفت الأديان السابقة على الإسلام، وانحرفت على الصراط المستقيم إلا بسبب ضياع أصولها، وتقصير أتباع تلك الديانات في حفظها، والتوثق من نقلها.

والقرآن قد تكفل الله بحفظه، حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٢]، وحفظ القرآن يستلزم حفظ السنة، لأنها بيان للقرآن كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٣].

وقد جلّى المعلمي[٤] هذا المعنى حيث قال: «أمّا السنة فقد تكفل الله بحفظها أيضاً، لأن تكفله بحفظ القرآن يستلزم تكفله بحفظ بيانه وهو السنة، وحفظ لسانه وهو العربية، إذ المقصود

---

(١) بسطامي، محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، ص٢٣-٢٥، دار الدعوة، الكويت.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٤) هو عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي، فقيه من العلماء، نسبته إلى بني المعلم من بلاد عتمة باليمن، ولد ونشأ في عتمة ثم قام برحلة علمية واسعة قادته إلى الهند حيث عمل مصححاً لكتب الحديث،

بقاء الحجة قائمة، والهداية باقية، بحيث ينالها من يطلبها، لأن محمداً خاتم الأنبياء وشريعته خاتمة الشرائع، بل دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝١٩﴾[١]، فحفظ الله السنة في صدور الصحابة والتابعين حتى كتبت ودونت»[٢].

وبالرغم من أن الإسلام بنصوصه الأصلية، كتاباً وسنةً، محفوظ بحفظ الله، إلا أن ذلك، إنما يتم ويتحقق بهمم العلماء الربانيين، وجهودهم، وتضحياتهم، وهذا ما حدث بالفعل، فقد حظي القرآن الكريم بعناية بالغة من المسلمين كتابة في السطور وحفظاً في الصدور، وجمع مرتين مرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومرة في عهد عثمان رضي الله عنه، ولا زالت العناية به على مرّ الأزمان في أعلى المراتب.

وأما السنة النبوية فقد تتابع الصحابة على نقلها بدقة وأمانة، وتبعهم في ذلك التابعون وتابعوهم وبذلوا جهوداً ضخمة في جمع كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، ونظراً لظهور الوضّاعين وأهل الأهواء الذين افتروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، فقد اشترط نقلة السنة المعرفة بالإسناد، وقالوا الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وبات علم الإسناد هذا والقواعد العلمية التي شرطها علماء الحديث لقبول الأخبار من أعظم مفاخر المسلمين على غيرهم من أمم الدنيا، وبه حفظ الله هذا الدين من عبث العابثين، ومن أن يتكدر نبعه الأصيل أو يلتبس فيه الحق بالباطل.

=والتاريخ، زهاء ربع قرن، وكان قد تولى رئاسة القضاء بعسير، ولقب بشيخ الإسلام، واستقر به المقام أخيراً في مكة المكرمة، حيث عمل أميناً بمكتبة الحرم المكي، ووافته منيته وهو منكب على بعض الكتب داخل المكتبة، وذلك سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص١٢٦ وانظر مقدمة الكتاب.

(١) سورة القيامة، الآية: ١٩.

(٢) المعلمي، عبد الرحمن، الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والمجازفة، ص٣٩، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

يقول ابن تيمية عن علم الإسناد والرواية: «مما خص الله به أمة محمد ﷺ، وجعله سلماً إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يوثّقون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الملة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة، أهل الإسلام والسنة، يفرقون به بين الصحيح والسقيم، والمعوج والقويم»[١].

إذن فكل الجهود التي بذلت وتبذل لحفظ نصوص الدين الأصلية من الضياع ومن الاختلاط بغيرها تعد من التجديد.

ب- نقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها:

مما لا شك فيه أن رسول الله ﷺ فسّر لأمته معاني القرآن الكريم وبينها بياناً تاماً شافياً، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٢]، وقال: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[٣].

وقد تلقى صحابة رسول الله ﷺ معاني القرآن الكريم من رسول الله ﷺ كما تلقوا ألفاظه، وكذلك الأحاديث، إذ المقصود من الألفاظ معانيها، ومن غير المعقول أن يكون خطاب الله ورسوله لهم بما لا يفهمونه، وعليه يصبح فهم القرآن والسنة بفهم الصحابة وتلقي معاني النصوص منهم، من الأمور التي يتحتم لزومها، خاصة وأن نصوص الوحي كانت بلغة خطابهم اليومية، وقد عايشوا أسباب نزولها، والجوّ المحيط بها، وبادروا إلى العمل بها، وتفاعلت نفوسهم معها، لأنها مست أدق المسائل في حياتهم، وواكبت مختلف ظروفهم وأحوالهم، كل ذلك يجعل فهمهم للنصوص جزءاً لا يتجزأ من الدين، والإعراض عن فهمهم اتباعاً لغير سبيل المؤمنين[٤].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج١، ص٩، مجمع الملك فهد، السعودية.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٤) سلام، أحمد، ما أنا عليه وأصحابي، ص٩٦، -بتصرف-، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

لأنّه إذا تُركت النصوص لأفهام الناس وعقولهم، فلا يبعد أن تتعدد أشكال الـــدين نظـــراً لاختلاف العقول والأفهام، وتأثرها بعوامل الزمان والمكان والبيئة والثقافة والأهواء والنزعات، لذلك يلاحظ أنّ الجهود التي بذلت لتحريف نصوص الكتاب والسنة قد باءت كلها بالفشل، لأنهما محفوظان بحفظ الله تعالى، وإنما نجح ما نجح منها فـــي مجـــال تحريـــف معـــاني النـــصوص وإخراجها عن دلالاتها بأنواع من التأويل وطرق الفهم(١). فإحياء منهج الصحابة ومـــن تـــبعهم بإحسان في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه، والعناية بتوثيق المنقول عنهم في هذا الباب، من أهـــم مجالات تجديد الدين.

ج- الاجتهاد في الأمور المستجدة، وإيجاد الحلول لها:

لأنه إذا كان الإسلام هو دين الله الخالد إلى قيام الساعة، الشامل لكل زمان ومكان ولكـــل إنسان، ونصوصه محدودة بينما الحوادث والمستجدات ممدودة، فلا بد إذن من حتمية فتح بـــاب الاجتهاد لإنزال النصوص المحدودة على الحوادث الممدودة، وإيجاد الحلول الإسلامية المناســـبة لما يطرأ على الناس من مشكلات، وإلا وقع الناس في حرج وضيق نتيجة بعدهم عـــن أحكـــام ربهم، وساغ لأعداء الدين وأصحاب النوايا الخبيثة والنفوس المريضة، اتهام الإســـلام بـــالجمود والرجعية، وعدم الصلاحية لكل زمان ومكان.

د- تصحيح الانحرافات:

مر بنا أن من معاني تجديد الدين، تصحيح الانحراف، وقمع البدع، وتنقية الإســـلام ممـــا يعلق به من العناصر الدخيلة.

---

(١) القيسي، مروان، معالم الهدى، ص١٠٨.

والواقع أن الانحراف عن الدين على شكلين:

الشكل الأول: انحراف في المفاهيم والقيم.

والشكل الثاني: انحراف في السلوك والعمل.

ويعني **الانحراف الأول:** نشوء اعتقادات وتصورات عن الدين على خلاف الحق الذي أنزله الله وأراده.

أما **الانحراف الثاني** فيعني: بقاء الاعتقاد صحيحاً، لكن السلوك والعمل يخالف الاعتقاد والتصور.

وقد عبر العلماء عن الانحراف الاعتقادي بأنه مرض الشبهة، وعن الانحراف السلوكي بأنه مرض الشهوة. يقول ابن قيم الجوزية: «إن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان موته وهلاكه، وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات، هذان أصل داء الخلق إلا من عافاه الله»[1].

وانحراف الشبهة أخطر وأعظم من الانحراف الناشئ عن الشهوة، قال ابن قيم الجوزية: «والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات»، ثم قال: «وهذه الفتنة –فتنة الشبهات– مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال»[2].

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنثور ولاية العمر والإرادة، ج١، ص١١٠، دار الكتب العلمية، بيروت.,

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، ج٢، ص١٦٥، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

لذلك كانت عناية المجددين بتصحيح الانحراف الناشئ عن الشبهات أعظم وأشد، وإن شمل تجديدهم وإصلاحهم الانحراف في السلوك والأعمال أيضاً.

هـ - حماية الدين والدفاع عنه والجهاد في سبيله:

وذلك لأنّ إعادة الدين إلى أصوله، وصيانته من عبث العابثين وتحريف المنحرفين، وحماية العاملين به الحاملين للوائه يحتاج إلى قوة وبأس.

لأنّ قوام الدين: كتاب للهداية، وسيف للنصرة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ﴾[1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «فأخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط، وذكر أنه أنزل الحديد الذي ينصر هذا الحق، فالكتاب يهدي والسيف ينصر ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[2]، ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد، كما قال من قال من السلف: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء»[3].

فكل من يبذل جهداً في ميدانٍ من هذه الميادين الخمسة المتقدمة فله من التجديد نصيب، وبقدر ما تتعدد الميادين التي يخوض المجدد غمارها بقدر ما تعظم رتبته في التجديد، وأكمل المجددين من شمل تجديده الميادين كلها كعمر بن عبد العزيز رحمه الله.

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٨، ص١٨٥.

المطلب الثاني: الشروط الواجب توافرها في المجدد:

نستطيع أن نحدد شروط المجدِد والصفات التي ينبغي أن تتوافر فيه حتى يعد من المجددين، بالتأمل في تعريف التجديد والمجالات التي يتناولها عمل المجددين، وما يلزم عن ذلك من شروط وصفات، ويمكننا حصر ذلك في الشروط التالية:

الشرط الأول: أن يكون المجدد معروفاً بصفاء العقيدة وسلامة المنهج:

وذلك لأنَّ من أخصِّ مهمات التجديد إعادة الإسلام صافياً نقياً من كل العناصر الدخيلة عليه، وهذا لا يحصل إلا إذا كان المجدد من أهل السنّة والجماعة السائرين على منهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام، ومن الطائفة الناجية المنصورة التي جاء وصفها بأنها فرقةٌ من ثلاثٍ وسبعين فرقة، وأنها تلزم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في عقيدتها ومنهجها وتصوراتها.

إذ كيف يمكن إحياء الدين وتصحيح الانحراف ممن انحرف عن جادة أهل الحق إلى فرق الضلالة والباطل؟ وأي دين سيجدده وقد شوّه الدينَ وألبسه ثوباً غير ثوبهِ؟

فليس إذن للفِرق التي تشايعت على الباطل، وتآلفت على الهوى، من التجديد نصيب، ولذلك خطّأ العلماء ابن الأثير حين أورد في إحصائيته للمجددين أسماء بعض علماء الشيعة الإمامية، قال العظيم آبادي في رده عليه: «ولا شبهة في أنَّ عدهما من المجددين خطأ فاحش وغلط بيِّن، لأن علماء الشيعة وإن وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد وبلغوا أقصى مراتب من أنواع العلوم واشتهروا غاية الاشتهار، لكنَّهم لا يستأهلون المُجدِديَّة. كيف وهم يخربون الدين فكيف يجددونه؟ ويميتون السنن فكيف يحيونها؟ ويروِّجون البدع فكيف يمحونها؟ وجلُّ صناعتهم التحريف والانتحال والتأويل، لا تجديد الدين ولا إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة»[١].

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩٢.

الشرط الثاني: أن يكون عالماً مجتهداً:

وذلك لأن من أبرز المهمات التي ينبغي أن يضطلع بها المجدد مواجهة المشكلات التي تتولد في كل عصر، والاجتهاد في وضع الحلول الشرعية لها، وهذا لا يقدر عليه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، وقد تقدم معنا أنَّ: الاجتهاد جزء من التجديد وجانب من جوانبه فلا أقلَّ من أن يشترط للمجدد ما يشترط للمجتهد، وقد أشار السيوطي إلى اشتراط الاجتهاد في المجدد، حيث قال في أرجوزته عن المجددين:

بأنه في رأس كل مائة   يبعث ربنا لهذي الأمة
منّا عليها عالماً يجدد   دين الهدى لأنّه مجتهد

ورتبة الاجتهاد هذه ليست عسيرة إلى الحدِّ الذي تصوره بعض كتب أصول الفقه، ممن ذهب أصحابها إلى إغلاق باب الاجتهاد بعد المائة الرابعة، بهدف قطع الطريق على من تحدثه نفسه بلوغ تلك الرتبة، فقد شرَّطوا شروطاً يكاد يكون من المحال الإحاطة بها، حيث أوجبوا أن يحيط المجتهد بعلوم الآلة كلها من نحو ولغة وبلاغة وبعلوم الشريعة من تفسير وحديث وأصول فقه وعلوم قرآن ومصطلح وسيرة، وبعلمي المنطق وعلم الكلام، وغير ذلك مما يصعب الإحاطة به[١].

والصواب أنّ الاجتهاد سهل ميسور، لمن كانت عنده أهلية النظر، وسنأتي على ذكر هذه المسألة لاحقاً، والمهم هنا أن نعلم أن المجدد يشترط فيه أن يكون محيطاً بمدارك الشرع، قادراً على الفهم والاستنباط مطَّلعاً على أحوال عصره، فقيهاً بواقعه، يقول المناوي: إنّ على المجدد أن يكون «قائماً بالحجة ناصراً للسنة، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والنظريات، من نصوص الفرقان وإرشاداته ودلالاته واقتضاءاته، من قلب حاضر وفؤاد يقظان»[٢].

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩٢.

(٢) المناوي، فيض القدير، ج١، ص١٤.

ويقول العظيم آبادي: «إنّ المجدد للدين لا بد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، ناصراً للسنة، قامعاً للبدعة»[١].

ويقول السيوطي:

يشار بالعلم إلى مقامه   وينصر السنة في كلامه
وأن يكون جامعاً لكل فنٍّ   وإن يَعُمَّ علمُه أهلَ الزمن[٢]

ويقول الشيخ المودودي: «من الخصائص التي لا بد أن يتصف بها المجدد هي: الذهن الصافي، والبصر النفاذ، والفكر المستقيم بلا عوج، والقدرة النادرة على تبين سبيل القصد بين الإفراط والتفريط، ومراعاة الاعتدال بينهما، والقوة على التفكير المجرد عن تأثير الأوضاع الراهنة، والعصبيات الراسخة على طول القرون، والشجاعة والجرأة على مزاحمة سير الزمان المنحرف»[٣].

ويقول في تعداده لعمل المجدد: «الاجتهاد في الدين، والمراد به أن يفهم المجدد كليات الدين، ويتبين اتجاه الأوضاع المدنية والرقي العمراني في عصره، ويرسم طريقاً لإدخال التغيير والتعديل على صورة التمدن القديمة المتوارثة، يضمن للشريعة سلامة روحها وتحقيق مقاصدها، ويمكّن الإسلام من الإمامة العالمية في رقي المدنية الصحيح»[٤].

الشرط الثالث: أن يشمل تجديده ميداني الفكر والسلوك في المجتمع:

وذلك لأنَّ تصحيح الانحراف من أخصِّ المهمات التي ينبغي أن يقوم بها المجدد، ومعلوم أنَّ الانحراف يطرأ على السلوك كما يطرأ على الفكر، بل إن غالب الانحرافات السلوكية

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩١.

(٢) المرجع نفسه، ج١١، ص٣٩٤.

(٣) المودودي، أبو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدين، ص٥٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٥-٥٦.

منشؤها انحرافات فكرية، فيقوم المجدد بتصويب الأفهام والأفكار، وتخليصها مما داخلها من شكوك وشبهات، ويحيي العلم النافع، والفهم الصحيح للإسلام، ويبثه بين الناس، وينشره بالتدريس، وتأليف الكتب، وغير ذلك من الوسائل المتاحة، ثم يعمد إلى إصلاح سلوك الناس، وتقويم أخلاقهم، وتزكية نفوسهم، وإبطال التقاليد المخالفة للشريعة، وإعلان الحرب على البدع والخرافات، والمنكرات المتفشية في حياة الناس، ومواجهة الفساد بمختلف أشكاله وصوره، وخاصة الفساد في الحكم والإمارة.

وبهذا يكون المجدد قد جمع بين القول والفعل، والعلم والعمل، وقد أشار السلف إلى هذا الشرط بقولهم عن المجدد أنّه ينصر السنة ويقمع البدعة(١).

الشرط الرابع: أن يَعُمَّ نفعُه أهلَ زمانه:

وذلك لأنَّ المجدِّد رجل مرحلة زمنية، تمتد قرناً من الزمن، فلا بد إذن من أن يكون منارةً يستضيء بها الناس، ويسترشدون بهداها، حتى مبعث المجدد الجديد على الأقل، وهذا يقتضي أن يعم علم المجدد ونفعه أهل عصره، وأن تترك جهوده الإصلاحية أثراً بيناً في فكر الناس وسلوكهم، وغالباً ما يتم تحقيق ذلك عبر من يربيهم من تلامذةٍ، وأصحاب أوفياء، يقومون بمواصلة مسيرته الإصلاحية، وينشرون كتبه وأفكاره، ويؤسسون مدارس فكرية تترسم خطاه في الإصلاح والتجديد.

وقد أشار السيوطي إلى هذا الشرط حين قال:

وأن يكون جامعاً لكل فن   وأن يعم علمه أهل الزمن(٢)

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩١.

(٢) المرجع نفسه، ج١١، ص٣٩٤.

المبحث الخامس

مشروعية الكلام في حديث التجديد رواية ودراية

المطلب الأول: تخريج الحديث وذكر رواياته

وردت في السنة النبوية المطهرة، عدّة إشارات إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى سيحفظ هذا الدين، وسيبقيه خالداً منتصراً إلى قيام الساعة، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[١]، وذلك عبر علماء ربانيين عدول يبعثهم الله بين الفترة والفترة، ليحموا هذا الدين، ويحيوا سننه، ويجددوا ما اندرس من معالمه، وسنذكر هذه الأحاديث التي أفادت هذا المعنى في مبحث مستقل.

إلّا أنّ لفظة التجديد، لم ترد إلا في حديث واحد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا الحديث أخرجه عدد من أئمة الحديث في مصنفاتهم وهم: أبو داود[٢] في سننه، والحاكم[٣] في مستدركه، والبيهقي[٤] في معرفة السنن والآثار، والطبراني[٥] في معجمه الأوسط، والخطيب

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) هو أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، إمام أهل الحديث في زمانه، له السنن أحد الكتب الستة، جمع فيه (٤٨٠٠) حديثاً أنتخبها من (٥٠٠٠٠) حديث، توفي سنة ٢٧٥هـ ، الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٢٢.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمد الضبي النيسابوري الحافظ الكبير المشهور بالحاكم، صاحب المستدرك على الصحيحين، طلب العلم في الصغر، وكتب عن نحو ألفي شيخ، انتهت إليه رياسة الحديث وفنونه في خراسان بل في الدنيا، توفي سنة ٤٠٥هـ، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٢٧.

(٤) هو الإمام العلم أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي، الحافظ صاحب التصانيف الكثيرة السائرة، لزم الحاكم مدة، وأخذ عنه وعن غيره، توفي ٤٥٨هـ، قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة غير البيهقي، الزركلي، الأعلام، ج١، ص١١٦.

(٥) هو الإمام الحافظ الثقة، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة، كان واسع الحفظ بصيراً بالعلل والرجال والأبواب، كثير التصانيف والرحلة والمشايخ، توفي سنة ٣٦٠هـ، الذهبي، الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٢١.

البغدادي في تاريخه، وأبو عمرو الداني[١] في الفتن، والهروي[٢] في ذم الكلام، وابن عدي[٣] في الكامل[٤][٥]، وسأكتفي بذكر روايتي أبي داود والحاكم.

أولاً: رواية أبي داود لحديث التجديد

قال أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة: حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة ﷺ فيما أعلم عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

قال أبو داود عقب ذكره للحديث: عبد الرحمن بن شريح الإسكندري لم يجز به شراحيل[٦]، قال الألباني: «ولا يعلل الحديث قول أبي داود –هذا– وذلك لأن سعيد بن أبي أيوب ثقة ثبت، كما في التقريب[٧]، وقد وصله وأسنده، فهي زيادة ثقة يجب قبولها[٨].

---

(١) هو عثمان بن سعيد بن عثمان من أهل دانية بالأندلس، أبو عمر الداني، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، له أكثر من مئة تصنيف، توفي سنة ٤٤٤هـ، الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٠٦.

(٢) هو الهروي، عبد الله بن عروة، من حفاظ الحديث، توفي سنة ٣١١هـ، الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٠٣، صاحب كتاب الأقضية.

(٣) هو الإمام عبد الله بن عدي الجرجاني أبو أحمد، علامة بالحديث ورجاله، أخذ عن أكثر من ألف شيخ، وكان يعرف في بلده بابن القطان، واشتهر بين علماء الحديث بابن عدي، وهو من الأئمة الثقات في الحديث والجرح والتعديل، توفي سنة ٣٦٥هـ، الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٠٣.

(٤) الجرجاني، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج١، ص١١٤.

(٥) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج٢، ص١٥٠، مكتبة المعارف، الرياض.

(٦) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ج٤، ص١٠٩.

(٧) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، ج١، ص٢٣٣، برقم (٢٢٧٤)، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الرشيد، حلب.

(٨) الألباني، محمد بن ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢، ص١٥١، برقم (٥٩٩).

ثانياً: رواية الحاكم في مستدركه للحديث:

قال الحاكم: «حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الربيع بن سليمان بن كامل المرادي، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد، عن أبي علقمة عن أبي هريرة ﷺ ولا أعلمه إلا عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[١]. وقد سكت الحاكم عن الحكم على الحديث، وكذا فعل الذهبي حيث أورده في تلخيصه للمستدرك ولم يحكم عليه بشيء.

إلّا أنّ السخاوي ذكر الحديث في المقاصد الحسنة، وعزاه لأبي داود والطبراني في الأوسط وقال: «وسنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات»، وعزاه للحاكم أيضاً وقال: «وكذا صححه الحاكم»[٢]، فلعل السخاوي اطلع على نسخة مخطوطة للمستدرك، ووجد فيها تصحيح الحاكم للحديث، لأن النسخة المطبوعة ليس فيها هذا التصحيح.

وقد ذكر السيوطي هذا الحديث في جامعه الصغير، ورمز إلى صحته[٣]، وقال عنه ابن حجر[٤]: «وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهوراً في ذلك العصر، ففيه تقوية للسند المذكور مع أنه قوي لثقة رجاله»[٥].

---

(١) الحاكم، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، ج٤، ص٥٢٢.

(٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ص٢٠٣، دار الكتاب العربي، لبنان.

(٣) السيوطي، الجامع الصغير، ج١، ص٧٤.

(٤) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين، من أئمة العلم ومن أشهر العلماء، أصله من عسقلان بفلسطين، وولد في القاهرة، عام ٧٧٣هـ، وأقبل على الحديث ورحل في طلب العلم حتى أصبح حافظ الإسلام في عصره، ولي قضاء مصر، ثم اعتزل، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ، الضوء اللامع، الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٧٨-١٧٩.

(٥) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج١١، ص٣٨٨.

وذكر المناوي الحديث في فيض القدير وصححه[١]، وكـذا الـسخاوي[٢] فـي المقاصد الحسنة[٣]، والعراقي[٤]، كما في مرقاة الصعود[٥]، وقال الألباني: «والسند صحيح، ورجاله ثقات، ورجال مسلم»[٦].

وبهذا يكون الحديث قد صححه جمع من الأئمة الحفـاظ مـنهم: الحـاكم، والـسخاوي، والسيوطي، والمناوي، والعراقي، وابن حجر.

بل نقل العلقمي عن شيخه الإجماع على صحة الحديث حيث قال: «اتفق الحفاظ على أنـه حديث صحيح»[٧]، وقال السيوطي في مرقاة الصعود: «اتفق الحفاظ على تصحيحه»[٨].

---

(١) المناوي، فيض القدير، ج٢، ص٢٨٢.

(٢) هو العلامة المتفنن محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي مؤرخ حجة، وعـالم بالحـديث وفنونه والتفسير والأدب، صاحب اللامع في أعيان القرن التاسع، والإعلان بالتوابع، والمقاصد الحسنة، وفتح المغيث، وغيرها من المصنفات الكثيرة والمفيدة، ولد وعاش في القاهرة، وتوفي بالمدينة سـنة ٩٠٢هـ، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٩٤.

(٣) السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ص٢٠٣.

(٤) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل الحافظ القارئ، المشهور بالحافظ العراقـي، أصـله كردي، من كتبه ذيل الميزان، والنكت على منهاج البيضاوي وتخريج إحيـاء علـوم الـدين، تـوفي سـنة ٨٠٦هـ.

(٥) المناوي، فيض القدير، ج٢، ص٢٨٢.

(٦) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢، ص١٥٠.

(٧) العظيم آبادي، عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج١١، ص٣٩٦.

(٨) المرجع نفسه، ج١١، ص٣٩٦.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للحديث وذكر الفوائد المستنبطة منه:

أولاً: المعنى الإجمالي للحديث:

يعدُّ هذا الحديث إحدى البشائر بحفظ الله لهذا الدين مهما تقادم الزمان، وبكفالتــه ســبحانه إعزاز هذه الأمة ببعثة المجددين الربانيين الذين يحيونها بعد موات، ويوقظونها من سبات، بمــا يحملونه من الهدى والنور، وأنّ هذا البعث والإحياء يتجدد كل قرن من الزمان.

والحديث يمنح المسلم طاقة من الأمل الأكيد، بأنّ المستقبل للإسلام، مهما تكاثرت قــوى الشر، وتعاظم طغيان أهل الباطل، وبأن النور سيسطع، مهما احلولك الليل، واشتد الظلام، ونحن في الوقت الحاضر، بحاجة ماسّة إلى تأكيد هذا المعنى، ونشره بين الناس، حتى نقاوم موجــات اليأس والقنوط التي عمّت النفوس، فجعلتها تستسلم للذل والخنوع، بحجة أننا في آخر الزمــان، وأنه لا فائدة ولا رجاء من كل جهود الإصلاح التي تبذل، لأن الإسلام في إدبار والكفــر فــي إقبال، وها قد ظهرت علامات الساعة الصغرى، ونحن في انتظار العلامــات الكبــرى التــي سيعقبها قيام الساعة.

وقد يستدل أصحاب هذا الاتجاه ببعض الأحاديث، ويفهمونها على غير الوجه المراد منها. من ذلك استدلالهم بحديث أنس رضي الله عنه عند البخاري: «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم»[١]، وحديث: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»[٢].

---

(١) البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم الحديث ٦٥٤١.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريباً، رقم الحديث ٢٠٨، والترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، رقم الحديث ٢٥٥٤، وابن ماجه، كتــاب الفتن، باب بدأ الإسلام غريباً، رقم الحديث ٢٩٧٨، والدارمي، كتاب الرقاق، باب الإسلام بدأ غريبــاً، رقــم الحديث ٢٦٣٧، وأحمد، مسند أحمد، رقم الحديث ٣٥٩٦.

وينسون أنه لا يجوز أن نفهم هذه الأحاديث، بمعزلٍ عن الأحاديث الأخرى التي تحمل البشرى والأمل للأمة، مثل حديث: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره»[١]، وحديث: «بشِّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض»[٢].

وحديث: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، عزاً يَعز اللهُ به الإسلامَ، وذلاً يَذل به الكفر»[٣]، وكذا حديث التجديد الذي معنا.

والجمع بين هذه الأحاديث وأحاديث غربة الإسلام أنّ الأحاديث مجتمعة تدل على سنة من سنن الله الكونية في تدافع الخير والشر، والحق والباطل، وأن الظهور والغلبة يكون لهذا تارة ولهذا تارة أخرى، ولا تعني الأحاديث غربة الإسلام بإطلاق، وضعف أهله والداعين إليه على الدوام، بل تكون الغربة في بلد دون آخر، وفي قوم دون غيرهم، وفي زمن دون زمن كما ذكر ابن القيم[٤].

ولذلك شهد التاريخ الإسلامي حقباً من الظهور والإشراق، كعهد عمر بن عبد العزيز، وبعض سلاطين الدولة الأيوبية، على إثر حقب مظلمة، تراجع فيها سلطان الإسلام، وتجب الإشارة هنا إلى أنّ حديث التجديد الذي نحن بصدد شرحه، وكذا الأحاديث التي تحمل البشرى بعودة الإسلام إلى واجهة الحياة، وإن كانت أخباراً يقينية صدرت عن الصادق المعصوم، ولا بد

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الأمثال عن رسول الله، باب مثل الصلوات الخمس، رقم الحديث ٢٧٩٥، وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث ٥٨٥٤.

(٢) حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (٢٠٢٧٣)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ج٣٣، ص٣٩٩، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة.

(٣) حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٦٣٤٤)، ج٢٦، ص٢٦٢.

(٤) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٣، ص١٩٦، ١٩٨٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

أن تتحقق كما أخبر، إلا أنّها تحمل في مضمونها تكليفاً واستنهاضاً لعزمات المسلمين بوجــوب السعي الدؤوب لتحقيق نصر الله لهذا الدين، وإعزاز أهله كما هي سنة الله في ترتيب المــسببات على الأسباب[١].

ثانياً: إشكاليات في فهم الحديث:

إن الله يبعث لهذه الأمة... البعث: هو الإرسال والإثارة، ومعنى إرســال العــالِم: تأهلــه للتصدي لنفع الأنام، وانتصابه لنشر الأحكام[٢].

- **وقوله ﷺ: «لهذه الأمة»**: ذكر القاري أنه يحتمل أن يكون المراد بالأمة أمــة الإجابــة كمــا يحتمل أن تكون الأمة أمة الدعوة[٣]، لكن المناوي رجّح أن يكون المراد أمــة الإجابــة، لأن قوله ﷺ: لهذه الأمة، إشارة إلى أمة الإسلام على امتداد قرونها وأجيالها، كــأن النبــي ﷺ يستحضرها أمامه، ويشير إليها بقوله –هذه الأمة– ومما يرجح كون الأمة أمة الإجابة إضافة الدين إليها في قوله: دينها[٤].

ويلاحظ في قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة»: أن هذا المبعوث لم يعد همه نفسه فقط، بل تجاوز ذلك ليعيش لهذه الأمة، فهو صاحب عزيمة وهمة يعيش هموم أمته، ويبذل قــصارى جهده، مواصلاً عمل النهار بالليل، لينقذ هذه الأمة من وهدتها، ويعيد لها ثقتها بدينها، ويردهــا إلى المنهج الصحيح، مصابراً على ما يعترض سبيله مــن عقبــات، ومغالبــاً كــل المــشقات والتحديات، ليصل إلى رفعة هذه الأمة، وعودة مجدها[٥].

---

(١) انظر: حسنة، عمر عبيد، الاجتهاد للتجديد، ص٧، والقرضاوي، من أجل صحوة إسلامية، ص٢٢.

(٢) مقدمة فيض القدير، ج١، ص١٧.

(٣) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٨٦.

(٤) المناوي، مقدمة فيض القدير، ج١، ص١٤.

(٥) المنتدى الإسلامي التجديد في الإسلام، ص١٩، ط٢، ١٤١١هـ–١٩٩٠م، ، لندن.

• **وقوله: «على رأس كل مائة سنة»:** الرأس في اللغة يمكن أن يراد به أول الشيء، كما يمكن أن يراد به آخره[١]، وقد اختلف العلماء في المراد من الرأس في هذا الحديث، فقال بعضهم: المراد: أول المائة.

وقال آخرون: المراد آخرها[٢]، وهذا ما اختاره ابن حجر[٣] والطيبي[٤] والعظيم آبادي[٥]، وقد احتج العظيم آبادي لاختياره، بكون الإمامين الزهري وأحمد بن حنبل غيرهما من الأئمة المتقدمين والمتأخرين، اتفقوا على أن من المجددين على رأس المائة الأولى، عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشافعي رحمه الله، وقد توفي عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف، وتوفي الشافعي سنة أربع ومائتين[٦]، ولا يمكن عدّ عمر بن عبد العزيز مجدد المائة الأولى باعتبار أولها لأنه لم يكن مولوداً أولها فضلاً عن أن يكون مجددها، وكذا الإمام الشافعي لم تكن ولادته بداية المائة الثانية فضلاً عن أن يكون مجددها.

ثم إنه جرى بين العلماء خلاف آخر حول تحديد رأس القرن وقتاً لبعثة المجدد، هل هذا التجديد اتفاقي، فيمكن أن يبعث المجدد في أول القرن، كما يمكن أن يبعث في وسطه وفي آخره؟ أم أن التحديد في الحديث احترازي، وأن من وقع تجديده في وسط القرن لا يعد مجدداً؟

نسب العظيم آبادي القول بأن التحديد برأس القرن اتفاقي، إلى بعض السادات الأعاظم، ولكنه لم يرتضه، ورجح كون القيد احترازياً، وهذا الرأي هو رأي الأكثرين، حيث نراهم عددوا المجددين تبعاً لرأس القرن. فذكروا عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١هـ، والشافعي

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٨٦.
(٢) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٨٦.
(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٢٩٥.
(٤) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٨٩.
(٥) المرجع نفسه، ج١١، ص٣٨٧.
(٦) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٨٧.

المتوفى سنة ٢٠٤هـ، وابن سريج[١] المتوفى سنة ٣٠٦هـ، والباقلاني[٢] المتوفى سنة ٤٠٣هـ، والغزالي[٣] المتوفى سنة ٥٠٥هـ، والرازي[٤] المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وابن دقيق العيد[٥] المتوفى سنة ٧٠٣هـ، والعراقي المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

ولم يذكروا في عداد المجددين أمثال ابن الجوزي[٦] المتوفى سنة ٥٩٧هـ، وابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ، وابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ، والشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠هـ، وابن الوزير[٧] المتوفى سنة ٨٤٠هـ، وابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ، والدهلوي[٨] المتوفى سنة

---

(١) هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، فقيه الشافعية في عصره، قام بنصرة المذهب الشافعي في أكثر الآفاق حتى عدّ مجدد القرن الثالث، وكان حاضر الجواب، له نحو أربعمائة مصنف، توفي في بغداد سنة ٣٠٦هـ، الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٨٥.

(٢) هو إمام المتكلمين ورأس الأشاعرة، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني البصري المالكي صاحب المصنفات، أخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي، صاحب الأشعري، وكان له بجامع المنصور حلقة عظيمة وكان ورده في الليل عشرين ترويحة في الحضر والسفر، فإذا فرغ منها كتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه، ويعد أكبر الأشاعرة، توفي سنة ٤٠٣هـ، ومن كتبه، الرد على الملاحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٧٦.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد المشهور بحجة الإسلام، له نحو مائتي مصنف، ولد سنة ٤٥٠هـ، وتوفي سنة ٥٠٥هـ، وهناك أحمد بن محمد أبو حامد الغزالي وقد أنكر الذهبي وجوده كما في طبقات السبكي، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٢.

(٤) هو فخر الدين العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين، القرشي الطبرستاني الأصل، الشافعي، المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة، كان صاحب مال وأبهة، وبزة حسنة وحظوة عند السلاطين وكان ذا باع طويل في الوعظ، وكان من كبار المتكلمة في زمانه وحصل بينه وبين الكرّامية نزاع شديد، حتى قيل إنهم سموه فمات بهراة سنة ٦٠٦هـ، وخلف تركة ضخمة من الأموال والمصنفات، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٣١٣.

(٥) هو محمد بن وهب القشيري المعروف بابن دقيق العيد، الفقيه، الأصولي، المحدث، له مصنفات نافعة، منها: شرح العمدة، توفي سنة ٧٠٢هـ، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٨٣.

(٦) هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، يصل نسبه إلى أبي بكر الصديق، الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف الكثيرة، له عبادة ونسك وجمال طلعة وحسن معاشرة وطيب مظهر، توفي رحمه الله سنة ٥٩٧هـ، الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٣١٦.

(٧) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الشهير بابن الوزير، من أعيان أهل اليمن، نبذ التقليد وتحرر من الزيدية، واعتنق مذهب السلف، وألف في ذلك العديد من التصانيف من أشهرها: إيثار الحق، والعواصم والقواصم، توفي سنة ٨٤٠هـ، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٣٠٠، ومعجم المؤلفين، ج٨، ص٢١٠.

(٨) هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي، الدهلي، الهندي الملقب شاه ولي الله، حنفي من المحدثين، له مصنفات كثيرة منها، الفوز الكبير في أصول التفسير، وحجة الله البالغة، توفي سنة ١١٧٦هـ، الزركلي، الأعلام ج١، ص١٤٩، ومعجم المؤلفين، ج٤، ص٢٩٢.

١١٧٩هـ، والشوكاني[١] المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، وغيرهم من الأعلام لأن وفاتهم لم تقع على رأس القرن.

والراجح والله أعلم أن التحديد برأس القرن تقريبي وليس احترازياً.

ويرى الباحث أن هذا الخلاف في عدّ المجددين لا داعي له، لأن من يقوم بإحياء الدين وتجديده، وتصحيح الانحراف ليس باعثه أن يسميه الناس مجدداً، ولا يضيره أن يعترف الناس له بهذا اللقب أو أن ينكروه عليه، فمنصب المجدد ليس منصباً ينال به المرء الامتيازات في الدنيا، كما أنه ليس مطلوباً من أحد شرعاً أن يعترف لشخص ما أنه مجدّد، ولا يطعن عدم الاعتراف بمنصب التجديد لعالم ما بعقيدة أحد ولا بدينه، وما عُدّ من عُدّ من المجددين إلا بطريق غلبة الظن، وعليه فالله أعلم من هو المراد قطعاً بالحديث، خاصة وأن مبدأ القرن اختلف العلماء فيه، هل يعتبر من المولد النبوية أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة[٢].

ويبقى أن يقال: إن كل من قام بإحياء الدين وإعادته جديداً كما شرعه الله، وقمع البدع وصحح انحراف الناس، يشمله اسم التجديد، ولا يضيره ذكر اسمه في عداد المجددين أم لم يذكر، ووافق تجديده بداية القرن أم لم يوافق.

والحديث يشير إلى أن نهاية القرن هي التوقيت الزمني لكل دورة من دورات التجديد، يقول الطيبي[٣]: «تخصيص الرأس إنما هو لكونه مظنة انخرام علمائه غالباً، وظهور البدع،

---

(١) هو العلامة المجتهد محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليماني، فقيه مفسر، ترك المذهب الزيدي، ونصر السنة، ولي القضاء في صنعاء ودرَّس بجامعها وأفتى، له مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وجودة فهمه بلغت ١١٤ مؤلفاً، وكان يرى حرمة التقليد، توفي سنة ١٢٥٠هـ، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٩٨.

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩١.

(٣) هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان، كان شديد الرد على المبتدعة وكانت له ثروة طائلة فأنفقها في وجوه الخير، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، توفي سنة ٧٤٣هـ، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٥٦.

وخروج الدجالين»[١]، فلا بد عندها من تحقق الوعد الإلهي بظهور من يعيد تجديد الإسلام ونفي ما لحق به مما ليس منه.

هل يشترط لعد المجدد أن تقع وفاته على رأس المائة؟

يشترط بعض العلماء لاستحقاق المجدد هذا الوصف أن تقع وفاته على رأس القرن، إلا أن هذا الرأي مرجوح لأن كلمة «البعث» في الحديث تدل على الإرسال والإظهار، والموت قبض وزوال، يقول المناوي: «وهنا تنبيه ينبغي التفطن له، وهو أن كل من تكلم على حديث إن الله يبعث .. إنما يقرره بناء على أن المبعوث على رأس القرن يكون موته على رأسه، وأنت خبير بأن المتبادر من الحديث إنما هو: أن البعث وهو الإرسال يكون على رأس القرن، أي أوله، ومعنى إرسال العالم: تأهله للتصدي لنفع الأنام، وانتصابه لنشر الأحكام وموته على رأس القرن أخذ لا بعث، فتدبر»[٢].

فالمقصود من الحديث: أن المجدد من تأتي عليه نهاية القرن وقد ظهرت أعماله التجديدية، واشتهر بالإصلاح وعمّ نفعه، ولا يشترط أن تقع وفاته قبيل نهاية القرن، أو أن يبقى حياً حتى يدخل عليه القرن التالي، لذلك استنكر العظيم آبادي ما ذكره ابن الأثير والطيبي وغيرهما من «أن المجدد هو الذي انقضت المائة وهو حي معلوم مشهور مشار إليه، فجعلوا حياة المجدد وبقاءه بعد انقضاء المائة شرطاً له، فعلى هذا من كان على رأس المائة، أي آخرها ووجد فيه جميع أوصاف المجدد، إلا أنه لم يبق بعد انقضاء المائة بل توفي على رأس المائة الموجودة قبل المائة الآتية بخمسة أيام مثلاً لا يكون مجدداً»[٣]. وعقب على كلامه هذا بقوله: «لم يظهر لي على هذا الاشتراط دليل»[٤].

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩١.
(٢) المناوي، مقدمة فيض القدير، ج١، ص١٧.
(٣) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩٠.
(٤) المرجع نفسه، ج١١، ص٣٩٠.

هل مجدد القرن واحد أم متعدد؟

أثار قوله ﷺ: «من يجدد لها دينها» سؤالاً في الماضي والحاضر، هو: هل المقصود بلفظة «من» الواردة في الحديث فرد واحد من أفراد الأمة وأفذاذها يحيي الله به دينها، أم المراد بها ما هو أوسع من ذلك فيشمل الأفراد والجماعات.

ذهب كثير من العلماء إلى أن المجدد فرد واحد، ونسب السيوطي هذا الرأي إلى الجمهور فقال في أرجوزته عن المجددين:

وكونه فرداً هو المشهور قد نطق الحديث والجمهور[١]

ولعل أصحاب هذا الرأي استندوا إلى إحدى روايات الحديث حيث عينت كون المجدد رجلاً واحداً، وقد أخرجها البيهقي من طريق أحمد بن حنبل قال: «يروى في الحديث عن النبي ﷺ: «إن الله يمنّ على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم»، وإني نظرت في مائة سنة فإذا هو رجل من آل رسول الله وهو عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائة الثانية فإذا هو محمد بن إدريس الشافعي»[٢].

وقد اشتغل أصحاب هذا الرأي بتعداد المجددين الأفراد، وذكروا على رأس كل قرن واحداً منهم.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن كلمة مَن في الحديث للعموم كما هو في أصل وضعها اللغوي[٣]، فتشمل الواحد والجماعة على حد سواء.

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩٤.

(٢) المرجع نفسه، ج١١، ص٣٨٨.

(٣) ابن قدامة، روضة الناظر، ج٢، ص١٨، ط٢، ٢٠٠٢م، مؤسسة الريان.

ومن هؤلاء العلماء: ابن حجر، وابن الأثير[١]، والذهبي[٢]، وابــن كثيــر[٣]، والمنــاوي، والعظيم آبادي.

يقول ابن الأثير في شرحه لحديث التجديد: «والأولى أن يحمل الحديث على العموم، فــإن قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً، وإنما قد يكون واحداً، وقد يكون أكثر منه، فــإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث الفقهاء خاصة، كما ذهب إليه بعض العلماء، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعاً عاماً في أمور الدين، فــإن انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثير، مثل أولي الأمر، وأصحاب الحديث، والقراء والوعاظ، وأصــحاب الطبقات من الزهاد، فإن كل قوم ينفعون بفن لا ينفع به الآخر.. ثم ذكر وجه النفــع الحاصــل للأمة من أصحاب الفنون المختلفة ثم قال: فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلــى حــدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة، يجددون للناس دينهم»[٤].

---

(١) هو العلامة المحدث اللغوي الأصولي مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكــريم الشيباني المشهور بابن الأثير الجزري، ثم الموصلي الكاتب، حتى مات سنة ٦٠٦هـــ، وهو أخو ابن الأثيــر المؤرخ وابن الأثير الكاتب، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٧٢.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الذهبي شمس الدين أبو عبد الله الحافظ، مؤرخ الإسلام العلامة المحقق المصنف صاحب التصانيف البديعة في التاريخ والرجال وغيرها، شافعي المذهب من غيــر تقيــد، تتلمذ على ابن تيمية وتأثر به خصوصاً في الاعتقاد، وتتلمذ على الحافظ المزي وزامل ابن القيم وابن كثير، توفي رحمه الله سنة ٧٤٨هـــ، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٣٢٦، وانظر ترجمته وافية في: مقدمة الجــزء الأول من سير أعلام النبلاء.

(٣) هو الحافظ المؤرخ الفقيه المفسر إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي الدمــشقي أبــو الفــداء، ولــد ســنة ٧٠٤هـــ، طلب العلم من صغره ورحل من أجله، وله تصانيف كثيرة تناقلها الناس في حياته، توفي بدمــشق سنة ٧٧٤هـــ، الزركلي، الأعلام، ج١، ص٣٢٠.

(٤) ابن الأثير، مبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد ا لقادر الأرنــاؤوط، ج١١، ص٣١٩، ط١، ١٩٧٢م، مكتبة الحلواني وغيرها.

ويقول ابن حجر العسقلاني: «قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه، ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله»[١].

ثم يعلق ابن حجر على كلام النووي هذا فيقول: «ونظير ما نبه عليه ما حمل عليه بعض الأئمة حديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أنّ جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدّعي ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفاً بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا»[٢].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص٢٩٥، والنووي، شرح مسلم، ج١٣، ص٦٧.

(٢) المصدر السابق، ج١٣، ص٢٩٥، والمصدر السابق، ج١٣، ص٦٧.

ويقول الذهبي: «مَن -هنا- للجمع لا للمفرد، فنقول مثلاً: على رأس الثلاثمائة: ابن سريج[١] في الفقه، والأشعري[٢] في الأصول، والنسائي[٣] في الحديث...»[٤].

ويقول ابن كثير: «الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف»[٥].

ويقول العظيم آبادي: «واعلم أنه لا يلزم أن يكون على رأس كل مائة سنة مجدد واحد فقط، بل يمكن أن يكون أكثر من واحد»[٦].

ويقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري[٧]: «المراد بمن يجدد: ليس شخصاً واحداً، بل المراد به جماعة، يجدد كل واحد في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية، ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية، ويكون سبباً لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلى أن يأتي أمر الله»[٨].

---

(١) هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس: فقيه الشافعية في عصره، له نحو أربعمائة مصنف، قام بنصرة المذهب الشافعي فنشره في أكثر الآفاق حتى قيل: «منّ الله في المائة الثانية بالإمام الشافعي فأحيا السنة وأخفى البدعة، ومنّ بابن سريج في المائة الثالثة فنصر السنن وخذل البدع، وكانت وفاته ببغداد سنة ٣٠٦هـ»، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص١٢٩، والزركلي، الأعلام، ج١، ص١٨٥.

(٢) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري البصري، ولد سنة ٢٦٠هـ، وإليه ينتسب الأشاعرة، كان في بداية أمره معتزلياً ثم تاب من مذهب الاعتزال وعاد إلى مذهب السلف وألف في ذلك كتابه: الإبانة في أصول الديانة، توفي سنة ٣٢٤هـ، وبلغت كتبه (٣٠٠) كتاب منها الرد على ابن الراوندي، الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٦٣.

(٣) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني، النسائي، الإمام الحافظ أحد الأئمة المبرزين، والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين، قال الحاكم: «كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال»، ت٣٠٣هـ، الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٧١.

(٤) المناوي، مقدمة فيض القدير، ج١، ص١٤.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي الشيري، ج٦، ص٨٩، ط١، ١٩٨٨، دار إحياء التراث العربي.

(٦) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١١، ص٣٩٢.

(٧) هو العلامة الفقيه خليل أحمد بن مجيد الأنصاري الحنفي، أحد العلماء الصالحين له مصنفات كثيرة، توفي سنة ١٣٤٦هـ، مقدمة بذل المجهود في حل أبي داود، ج١، ص٢١-٢٤.

(٨) السهارنفوري، خليل أحمد، بذل المجهود في حل أبي داود، ج١٧، ص٢٠٢-٢٠٣، ١٩٧٢م، دار اللواء، الرياض.

ثم ينقل عن شيخه محمد يحيى حَمْلُه لمَن في الحديث على الجماعة أيــضاً دون الأفــراد ويعلل ذلك بأنّه: «لا ينطبق على كثير ممن شرف بالتجديد أن يكون جدد كل نوع مــن أنــواع الدين، فكم من محدث ليس له من تجديد الفقه نصيب، وكم من باعث على أعمال حسنة هو فــي نشر أقسام العلوم غريب»(١).

هكذا يتبين لنا أن حمل لفظة «من» في الحديث على العموم أولى، لأنّ التاريخ والواقع يثبــت وجود أكثر من مجدد رأس كل قرن من القرون الخوالي، ولأنّ مهمة التجديد مهمة ضخمة واســعة لكونها لا تقتصر على جانب من جوانب الدين، ولأن رقعة الأمة الإسلامية تمتد على مساحة شاسعة يصعب معها على فرد بل مجموعة أفراد أن يقوموا بعملية التجديد الشامل المطلق.

الفائدة من عدّ المجددين(٢):

سبق أن ذكرنا أنّ الاعتراف لشخص ما بلقب المجدد ليس بالأمر اللازم شــرعاً، ولكــن يجب على المرء أن يتحلى بالإنصاف والأمانة، والصدق وشدة التحري قبل أن يخلع لقب المجدد على أحد الناس أو يحجبه عنه، وذلك لأنّ وصف الشخص بالمجدّد شهادة له بالفضل والخيرية، وفي ذلك دعوة للناس لأن يقتدوا به ويتأسوا بأعماله وصفاته، فإذا كان مستحقاً لذلك اللقب نكون قد قدمنا خدمةً للأمة الإسلامية بإبراز نموذج حي، ومثال عملي، من النماذج والأمثلة التي تمثلت الإسلام في واقع حياتها، أما إذا لم يكن الشخص مستأهلاً للقب المجدد، فيكون في عده في زمرة المجددين خداعاً للناس وتزويراً للحقائق.

---

(١) السهارنفوري، خليل أحمد، بذل المجهود في حل أبي داود، ١٧، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) سعيد، بسطامي محمد، مفهوم تجديد الدين، ص٤٤-٤٥.

المجدّد هو دين الأمة وليس الدين نفسه:

يلاحظ المتأمل في قوله ﷺ «من يجدد لها دينها» أنه أضاف الدين إلى الأمة ولم يقل يجدد لها الدين، وذلك لأنّ الدين بمعنى المنهج الإلهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وما اشتمل عليه من عقائد وعبادات وأخلاق وشرائع تنظم علاقة العبد بربه وعلاقته بغيره من بني جنسه، ثابت كما أنزله الله لا يقبل التغيير ولا التجديد.

أما دين الأمة بمعنى علاقة الأمة بالدين ومدى تمسكها وتخلقها به، وترجمتها لـه واقعاً ملموساً على الأرض، فهو المعنى القابل للتجديد والتغيير، حيث يطرأ عليه الانحراف والتغيير والنسيان، فيأتي المجدد ليعيد الناس إلى المستوى الذي ينبغي أن يكونوا عليه بعلاقتهم مع الدين[١]، وقد تقدم الكلام بهذا الشأن[٢] .

المطلب الثالث: أحاديث مشابهة لحديث التجديد:

وردت في السنة النبوية أحاديث مشابهة لحديث التجديد، تحمل في طياتها البشرى بحفظ الله لهذا الدين، وإظهاره على الدين كله، وحمايته لأهله القائمين عليه.

وسنعرض بعضاً من هذه الأحاديث:

أولاً: حديث يرث هذا العلم...

أخرج البيهقي في السنن الكبرى قوله ﷺ: «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين»[٣].

---

(١) القرضاوي، يوسف، من أجل صحوة إسلامية، ص٢٦-٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، دار المعرفة، كتاب الشهادات، باب الرجل من أهل الفتيا ويسأل عن الرجل من أهل الحديث، ج١٠، ص٢٠٩.

والحديث أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث[١]، وابن وضاح[٢] في البدع والنهي عنها[٣]، وابن عدي في الكامل بأسانيد مختلفة[٤].

وقد اختلفت أقوال العلماء في درجته بين مضعِّف ومحسِّن ومصحِّح، وممن ذهب إلى تصحيحه: ابن القيم[٥]، وابن الوزير[٦]، ورأى القاسمي[٧] في قواعد التحديث أنه حسن[٨].

والحديث يدل على ما دل عليه حديث التجديد من أن الله يقيض لهذا الدين، ويوكل به علماء أمناء عدول يحفظونه، وينفون عنه ما يلصقه به أهل الضلال والباطل، مما يشوه جماله، وأن هذا التوكيل الإلهي يتكرر في كل جيل يخلف الجيل الذي سبق.

يقول القاسمي في معرض شرحه للحديث: «وفيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية، وتعظيم لهذه الأمة المحمدية، وبيان لجلالة قدر المحدثين وعلو مرتبتهم في العالمين، لأنّهم يحمون مشارع الشريعة، وفنون الروايات من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابهة إليها»[٩]، والحديث يكشف عن حقيقة في غاية الأهمية، وهي أن فساد الدين وتحريفه إنما يحصل عبر واحد من طرق رئيسة ثلاثة وهي:

---

(١) الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص١١، ٢٨، ٢٩.

(٢) هو محمد بن وضاح، أبو عبد الله، محدّث من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق وأخذ عن كثير من العلماء، وعاد إلى الأندلس فحدث مدة طويلة، وانتشر بها عنه علم جم، توفي سنة ٢٨٦هـ، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٣٣، وانظر مقدمة كتابه بنفس التوثيق.

(٣) ابن وضاح، البدع والنهي عنها، ص١-٢، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

(٤) الجرجاني، عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ج٣، ص٣١، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت.

(٥) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والإرادة، ج١، ص١٦٣.

(٦) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الإرناؤوط، ج١، ص٣٠٨-٣١٢، ط٣، ١٤١٥هـ-١٩٩٤، مؤسسة الرسالة.

(٧) هو جمال الدين بن محمد القاسمي (وهو نفسه محمد جمال الدين القاسمي ولعله اسم مركب، والله أعلم)، ولد بدمشق سنة ١٢٨٣هـ، كان إمام الشام في عصره علماً وعملاً ودعوة إلى طريقة السلف الصالح في العلم والعمل وله مؤلفات عديدة مشهورة، توفي سنة ١٣٣٢هـ، الأعلام، ج٢، ص١٣٥.

(٨) القاسمي، جمال الدين بن محمد، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص٤٧.

(٩) المصدر السابق، ص٤٧.

الطريق الأول: الغلو: ويقع الغلو تارة في الأعمال، وتارة في الأشخاص، وتارة في الآراء، فالغلو في العبادات يؤول بأهلها إلى البدعة في الدين.

والغلو في الأشخاص يؤول بأهله إلى تبديل الدين، قال ابن تيمية: «ثم إنّ الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلّال المتعبدة والمتصوفة، حتى خالط كثيراً من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه»(١).

والغلو في الآراء هو التعصب المذموم، ويفضي إلى اعتقاد العصمة في غير المعصوم.

الطريق الثاني من طريق تحريف الدين، تقديم العقل على النقل، واتباع الهوى: فالشرع هو الحاكم على العقل، وإذا وجد في الشرع أخبار لا تدركها العقول فالواجب على العقول تصديقها والتسليم لها لا ردها وإنكارها، وكم من ضلالات وبدع ما نشأت إلا بسبب استحسان العقل القاصر وتقديمه على الشرع، من ذلك: رد الأمور الغيبية، التي صحت به الأحاديث كالصراط، والميزان، وعذاب القبر ونعيمه.

الطريق الثالث من طرق تحريف الدين، الجهل بالشريعة: ويقع الجهل بالشريعة من جهات ثلاث:

أ- **الجهة الأولى: الجهل بمصادر الشريعة:** ويندرج تحت ذلك: الجهل بالأحاديث الصحيحة، والجهل بمكانة السنة من التشريع، والجهل بإجماع الأمة، والجهل بمحل القياس. فالجهل بالأحاديث الصحيحة ينشأ عنه إثبات الأحكام بأحاديث غير ثابتة. والجهل بمكانة السنة من التشريع، ينشأ عنه إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها، وإحلال بدع مكانها. والجهل بإجماع الأمة يترتب عليه خرق الإجماع وإحداث أقوال وأفعال مخالفة للإجماع. والجهل بمحل القياس ينشأ عنه الاجتهاد في مورد النص، وإثبات عبادات بطريق القياس.

---

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج١، ص٧٦.

ب- الجهة الثانية: الجهل بقدر هذه الشريعة وكمالها وشمولها وإحاطتها بجميع النـــوازل: وقد أدى هذا السبب بأقوام آخرين إلى إقامة معارضة بين آيـــات القـــرآن وأحاديـــث الرسول ﷺ، فأخذوا بعضها وتركوا بعضها الآخر.

ج- الجهة الثالثة: الجهل بوسيلة فهم مصادر الأحكام، وهي اللغة العربية وأساليبها: إذ نشأ عن الجهل باللغة العربية التي هي اللغة التي نزل بها الـــوحي تحريـــف الكلـــم عـــن مواضعه وفهم النصوص على غير مراد الشارع منها.

د- الانتصار لمذهب بعينه دون غيره مما يسبب التحريف كما حدث لبعض الفرق كالـــشيعة وغيرها.

هـــ- التأويل المتعسف، ولي أعناق النصوص بسبب اتباع الهوى.

ثانياً: حديث: «لا تزال طائفة...»:

أخرج البخاري ومسلم وغيره قول الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتـــي ظـــاهرين لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة»[١].

يقول ابن تيمية في شرح هذا الحديث: «يخبر الصادق المصدوق أنه لا تزال طائفة ممتنعة من أمته، على الحق أعزاء لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل، فأمّا بقاء الإسلام غريباً ذليلاً في الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا»[٢].

وقد اختلف أهل العلم في تعيين الطائفة التي أشار إليها الحديث، قال النووي: «وأمـــا هـــذه الطائفة، فقال البخاري: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فـــلا أدري

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، رقم الحديث ٦٧٦٧، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، رقم الحديث ٣٥٤٤، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين، رقم الحديث ٢١٥٥، وابن ماجـــه، المقدمة، باب لا تزال طائفة من أمتي، رقم الحديث ٦، وأحمد في مسنده، رقم الحديث ١٥٠٤٤.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٨، ص٢٩٦.

من هم، قال القاضي[١]: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث... ثم ذكر النووي أن الأولى عدم حمل الحديث على طائفة مخصوصة، وأن الطائفة المنصورة فرقة بين أنواع المؤمنين من فقهاء ومحدثين وزهاد ومقاتلين وغيرهم من أهل الخير، وأنه لا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»[٢]، وقد تقدم النقل عنه قريباً.

فهذا الحديث يؤكد المعنى الذي دلّ عليه حديث التجديد من أن الله لا يخلي الزمان من أهل الحق الذين ينصرون الدين ويحفظونه نقياً صافياً كما أنزله الله حتى تبقى حجة الله على عباده إلى قيام الساعة، وقد بوّب الخطيب البغدادي لهذه المسألة بقوله: «ذكر الرواية أن الله تعالى لا يخلي الوقت من فقيه أو متفقه»[٣]، وقال ابن تيمية: «ومن المتفق عليه أن هذه الأمة معصومة عن إضاعة الحق، أو جهل نص محتاج إليه، بالنسبة إلى جميع العلماء، أما بالنسبة لبعضهم فقد يخطئ العالم أو يجهل النص. فإذا ثبت أن الحق لا يمكن أن يضيع عن عامة الأمة، لزم أن يقوم بهذا الحق قائم واحد على الأقل»[٤].

ثالثاً: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة..

أخرج أبو داود وأحمد وغيرهما عن أنس بن مالك ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر اليحصبي، كان فقيهاً عابداً مالكي المذهب من غير تقيد في الغالب، ولي قضاء سبتة، ولذلك يقال له السبتي، ثم قضاء غرناطة، وصنف تصانيف بديعة، توفي بمراكش مسموماً، سنة ٥٤٤هـ، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٩٩.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٣، ص٦٧.

(٣) صحيح الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ت٤٦٢هـ، تحقيق: عادل العزازي، ج١، ص١٣٧، ط٢، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، السعودية.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٩، ص٢٠١.

وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قيل: مــن هي يا رسول الله؟! قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[١].

وقد صحح هذا الحديث جمع من الحفاظ والأئمة، منهم: الحاكم، والذهبي، وابــن حجــر، وابن تيمية، والشاطبي، والعراقي، والبوصيري.

والحديث وإن كان فيه بيان ما سيقع للأمة من تفرق واختلاف، إلا أن فيه بشرى بحفظ الله لدينه بإقامة فرقة ناجية تلتزم بهدي الرسول ﷺ وصحابته في اعتقادها وسلوكها.

---

(١) الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث ٢٥٦٤، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، رقم الحديث ٣٩٨١، وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث ٥٣٤٣.

الفصل الثاني

التحديات العقدية المعاصرة وضرورة التجديد لمواجهتها

- **المبحث الأول:** التحدي العقدي غير الجلي المباشر.

المطلب الأول: عن مفهوم التحديات العقدية.

المطلب الثاني: التحديث العقدي في إنكار الإله.

المطلب الثالث: يتناول التجديد في الأدلة على وجود الله.

المطلب الرابع: التحدي العقدي في إنكار الدين.

المطلب الخامس: التجديد في إدراك أهمية الدين وضرورته.

- **المبحث الثاني:** التحدي العقدي غير المباشر.

المطلب الأول: التحديات الداخلية.

المطلب الثاني: التحديات الخارجية.

المبحث الأول

التحدي العقدي المباشر

المطلب الأول: مفهوم التحديات العقدية:

لا شك أن العقيدة الإسلامية هي التي تربط الإنسان بالله تعالى في كافة مجـالات حياتـه ليحقق عبوديته لله تعالى وبالتالي فإن التحديات التي تواجه العقيدة الإسلامية تهدف أو تؤول إلى إضعاف ربط الإنسان بربه ذلك أنه بإضعاف الرابط تضعف العلاقة وبالتالي بُعدُ الإنسان عـن ربه مما يسهل السيطرة عليه، وهذا ما يريده أعداء الله.

إنَّ من أهم ما يجب فهمه هو أنّ الإسلام مرتبط بعقيدته التي تعطي تصوراً صحيحاً حول حقائق رئيسة في الوجود وهي: الله، والكون، والإنسان، وغاية خلقه، وما هـي حقيقتـه ومـا مصيره، وما هي علاقته بمن حوله، وأين مركزه في الوجود؟ فالعقيدة ليست فقط هي الجانـب الغيبي في الدين كما هو مشهور، بل هي الدين كُلُه في جانبه الغيبـي والعملـي دون انفـصال بينهما، ذلك أنّ معظم المواطن التي يرد فيها ذكر الإيمان في القرآن الكريم يقترن معه العمـل، فالإيمان والعمل قرينان لا ينفكان عن بعضهما في الإسلام، والعمل في حقيقته سلوك يقـوم بـه المؤمن مستسلماً لربه الحكيم العليم، معظِّماً لأمره ونهيه مبتغياً مرضاته مستشعراً مراقبته[١].

إنّ التحديات العقدية هي التحديات المتعلقة بالأصل الذي تنبثق عنه فلـسفة الإسـلام، وهـذا الأصل هو التوحيد بمفهومه الشامل عقيدةً وشريعة ومنهاج حياةٍ، فكل تـشويه لعقيـدة التوحيـد أو

---

(١) داود، منى بنت عبد الله حسن، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسـلامية، رسـالة ماجستير في تخصص التربية الإسلامية، كلية التربية والدراسات الإسـلامية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، جامعة اليرموك، الأردن.

رؤيتها للوجود أو محاولة فصل العقيدة عن الشريعة أو الدين عن الحياة، أو حصر الدين في شعائر تعبدية لا علاقة لها بالحياة يعدُّ تحد عقدياً كلياً ينبغي أن تستنفرَ الأمةُ جهدها في التصدي له[١].

فالعقيدة أصل والشريعة فرع، والعقيدة هي الأساس الذي تبنى عليه الشريعة، وبهذا فإنّه لا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة، أي أنّ الأمر الإسلامي يحـتم اجتمـاع الـشريعة والعقيدة، بحيث لا تنفرد إحداهما دون الأخرى، على أن تكون العقيدة هي منبع الشريعة، وتكون الشريعة تأكيداً على انفعال القلب بتلك العقيدة، وعليه فإن من آمن بالعقيدة، وألغى الـشريعة أو أخذ بالأخيرة وترك أمر الأولى، لا يكون مسلماً عند الله تعالى[٢][٣].

يواجه الدين في العالم المعاصر موجتين من التحديث: إحداهما إلحادية لا ترى في الـدين إلاّ «تخلصاً من الواقع» ولجوءاً إلى التخديرات الروحية التي أبرز ما فيها أنها توجـه الـسلوك الإنساني توجيهاً سلبياً إزاء مشاكل الحياة، ومن ثم إزاء عناصـر التقـدم والـسعادة البـشرية. والموجة الأخرى لا تمت إلى الفلسفة السابقة إلاّ بصلة غير مباشرة ولكنها تماثلها في الابتعـاد عن الحقيقة الدينية، أعني بها موجه التحلل من القيم الدينية[٤] .

---

(١) انظر: محمد، مروان، الموقع الإلكتروني لجمعية الكتاب والسنة، تحت عنوان التربية الإسلامية والتحـديات العقدية، العدد الثالث.

(٢) انظر: شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ص١١، ط١٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الـشروق، – بتصرف–.

(٣) راجع معنى العقيدة الذي تم تقريره سابقاً في مفهوم العقيدة.

(٤) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص١٩٦، نقلاً عن كاتب روسي (بوخارين)، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الكفر العربي، القاهرة.

المطلب الثاني: التحدي العقدي في إنكار الإله:

فإذا كانت العقيدة -كما سبق- هي الأصل والدعامة الأساسية التي يرتكز عليها الإسلام بأصوله وفروعه، وعليه تقوم جميع حقائق الكون، وحيث إن أهم جوانب العقيدة الإسلامية، هو الإيمان بوجود واجب الوجود، وهذا الإيمان يستلزم الإيمان بما أمر به واتباع ما أنزل من شرائع، وهذا يمثل جوهر العقيدة الإسلامية، والحقيقة الأولية الثابتة لدى جميع المؤمنين بالحق سبحانه وتعالى، حيث إثبات وجوده يستلزم باقي الأمور الأخرى. فضلاً عن أنّ كل ما حولنا اليوم يتحدى هذه الحقيقة الكبرى، يتحداها بشدّة الإنكار، أو باستهزاء الامبالاة، ويتحدّاها بعضهم بنقضها أو باعتبارها غير ذات موضوع بالنسبة لما هو عليه الإنسان وما هو صائر إليه. حتى واقعنا الإسلامي يتحدى في بعض جوانبه هذه الحقيقة أيضاً، وهذا هو الأمر الغريب والشيء المريب[١].

إن روح المدنية المعاصرة[٢] هي روح كل الظواهر المتغيرة، التي تعتبر التحدي الأكبر والأهم، للروح الإسلامية خاصة، والروح الدينية العامّة، وهي روح الغيب الذي لا يتغير أبداً، فالله تعالى هو الأول والآخر، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣]، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٤]، وتسع رحمته كل شيء ويضيق عنها كل شيء، وهذا التحدي لجميع الأديان الذي يتمثل في قول أحد علماء المسيحية: «إن العدو الحقيقي للإسلام والمسيحية واليهودية.. في هذا الزمان لم يعد منها بل صار خارجاً عنها، فهو عدو جديد أخرجه التمدّن الجديد، وهذا العدو اللدود تطربه أصوات تنازع الأديان بعضها مع بعض، ويثلج صدره سروراً كلما رآها يكفّر بعضها بعضاً

---

(١) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٣١، -بتصرف-.

(٢) والمعاصرة أن يعيش الإنسان عصره عارفاً من حوله وما حوله مدركاً للمؤثرات والبواعث والمتغيرات والمستجدات والتحولات مع حسن التصرف تجاه جميع ذلك وفق التصور الإسلامي الشامل، الإبراهيمي، موسى إبراهيم، الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر، ص٢٠. وسيأتي الكلام عن العصرانية عند الكلام عن الحداثة.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٨.

ويطعن بعضها على بعض، وهذا العدو الذي يهدها على السواء والذي إذا استطاع هدم واحدة منها هدم معها الباقيات بلا مراء، هو المبادئ المادية المبنية على البحث بالعقل دون سواه»[١].

«فالروح الإسلامية كينونة، والروح المدنية صيرورة، وهذه الروح منطلقة في اكتشاف قوانين الصيرورة والتغير المادي، متجاهلة ما لا يتغير، جاحدة له أو ساخرة منه»[٢].

ليس التحدي العاتي بجديد كل الجدة في تاريخ الإسلام أو تاريخ التدين، فالقرآن يخبرنا بأنّ الدهريين تصدوا لمحمد ﷺ معلنين أن لا شيء إلا الدهر، وأنّه هو وحده الذي يهلك ويحيي ويميت، والقرآن ينبئنا أنّ الطبيعيين جابهوا إبراهيم بالنار، والقمر والشمس، فلما رآها تأفل (أي تتبدل وتتغير ظلمةٍ ونور) ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ ٧٦﴾[٣][٤].

ولهؤلاء الدهريين والطبيعيين أسماء أخرى قديمة وجديدة، فهم حيناً ماديون أو حسيون، أو زمانيون، أو تطويريون، أو ذرائعيون، أو وجوديون، أو ظواهريون، ولكنهم يستوون جميعاً في التوقف عند ظواهر التغير، ومعالم الوجود، ونواميس الحركة والتنكر للذّات أو الجوهر[٥] الذي يقوم وراء هذا التغير، ويظل كما هو كائناً وموجوداً بذاته وإن تغير كل شيء[٦].

وإذا كان علماء الكلام قد واجهوا تحديات الدهريين والطبيعيين بمنهج علم الكلام قديماً، وخدموا العقيدة الإسلامية وصانوها بما وضعوه من منهج كلامي جدلي لصد الفلسفة وتحدياتها، فإنّ الأمر في العصر الحديث يختلف عن سابقه، والقضية الإيمانية المعاصرة تواجه تحديات مختلفة، وفي مقدمتها الإلحادية المادية المعاصرة.

---

(١) صبري، مصطفى، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادهُ المرسلين، ج١، ص١٢٧، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، المكتبة الإسلامية.

(٢) صعب، حسن، الإسلام وتحديات العصر، ص١٧، ط٥، ١٩٨١م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

(٤) صعب، حسن، الإسلام وتحديات العصر، ص١٧.

(٥) طبعاً لا يُقصد بالجوهر هنا تعريفهُ عند الكلاميين والذي سيأتي بيانه في الهامش ولكن يُقصد به المُسَبِّب.

(٦) صعب، حسن، الإسلام وتحديات العصر، ص١٧-١٨.

وهذه تختلف عن الفلسفة وأصولها التي واجهها علماء الكلام قديماً بمنهجهم الجدلي، وذلك لأنّها بالإضافة إلى الفلسفة وتفرعاتها فإنّ لها دعامة كبيرة تقوم عليها ألا وهي الدعوى العلميــة المقامة على التجربة الحسية.

من هذا فإن منهج التصدي لمثل هذه المسائل، لا يُغني فيه علم الكلام شيئاً، فضلاً عن أنّ منهجه قد واجه نقداً شديداً قديماً وحديثاً، فلعلماء الكلام: «وإنْ ظنوا أنّهم أقرب إلى روح الــدين فإنّهم لم ينصفوا أنفسهم، ولم ينصفوا الفلاسفة، لأنّ منهجهم كان منهجاً واهياً بعيداً عــن مــنهج القرآن في كثير من المسائل؛ لأنّه منهج جدل، وليس منهج إقناع، وهو أعجز عن أن يقنع علماء الكلام أنفسهم، بدليل أنّهم لم يؤلفوا جبهةً واحدة، واختلفوا فيما بينهم، ولم يفطنوا إلى ما فطن إليه ابن رشد، وهو أن خلافهم في كثير من الأمور يرجع سببه إلى عدم تحديدهم لهذه الأمور أو إلى سوء تحديدها»[١].

إنّ هذه الدعوى التي انتهجها علماء الكلام قد واجهت نقداً شديداً من كثير من العلماء وفــي مقدمتهم الإمام الغزالي في كتابه «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» وكتابه «إلجام العــوام عــن علم الكلام»، والفيلسوف ابن رشد في كتابه «مناهج الأدلة في عقائد الملة»، ثم هاجمهم كثيــر مــن المحدثين ومن بينهم الدكتور محمود قاسم في كتاباته عن فلسفة ابن رشد وغيره، فقــد قــال فــي مقدمته لكتاب ابن رشد «مناهج الأدلة في عقائد الملة»: «أنّهم (أي الأشاعرة والمعتزلة) لم يوافقــوا في الكشف على الأدلة البرهانية التي احتوى عليها كتاب الله، وإنّما جنحوا إلى استخدام أدلة أخرى عليها مسحة غالبة من الجدل الكريه .. لأنه يثير من الشكوك أكثر مما يدعو إلى الإقناع»[٢].

---

(١) قاسم، محمود، دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص١٣٣، ط٥، سنى ١٩٧٣م، القاهرة.

(٢) قاسم، محمود، مقدمة لكتاب ابن رشد «مناهج الأدلة في عقائد الملة»، ص١٢-١٣، ط٢، مكتبــة الأنجلــو المصرية، القاهرة.

لذا فإنني لن أتطرق إلى أدلة الفلاسفة ولا إلى المتكلمين[١] سيما أن الدراسة تبحث عن التجديد ومن أهم صور التجديد؛ التجديد في علم العقيدة وإثبات وجود الله تعالى. إلا أنني لا أنفك

---

(١) إنني أقصد بأدلة الفلاسفة على سبيل المثال أدلة ابن رشد وغيره فابن رشد استدل بدليلين في معرض رده على المتكلمين وزعم أنها الأدلة الشرعية:

أولهما: دليل العناية: وينبني على أصلين: أحدهما أن جميع الموجودات ههنا موافقة لوجود الإنسان، والأصل الثاني: أنّ هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق، فأما كونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له. والمكان الذي هو فيه أيضاً، وهو الأرض، وكذلك تظهر أيضاً موافقة كثير من الحيوان له والنبات والجماد وجزئيات كثيرة مثل الأمطار والأنهار والبحار، وبالجملة الأرض والماء والنار والهواء، وكذلك أيضاً تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان، أعني كونهما موافقة لحياته ووجوده... فمعرفة منافع الموجودات، داخلة في هذا الجنس، ولذلك وجب على من أراد ان يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص كل منافع جميع الموجودات، انظر ابن رشد «مناهج الدلة في عقائد الملة» ص١٥١-١٥٢، ط٢، تحقيق: محمود قاسم، مكتبة الإنجلو المصرية، مع تقدمة في نقد مدارس علم الكلام.

وثانيهما: دليل الاختراع: ويدخل في هذه الأدلة الحيوان والنبات والسموات، وهذه الطريقة في البرهنة على وجود الله تعالى تتبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس، فيقول ابن رشد: «أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ سورة الحج، الآية: ٧٣.

ثم يقول: إن في هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات؛ ولهذا كان واجباً لمن أراد معرفة الله تعالى حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء، ليقف على الاختراع الحقيقي، في جميع الموجودات، ويدلل ابن رشد على ذلك، بأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع، ومن تتبع معنى الحكمة في كل موجود، وتعرف على أسباب وجود الخلق، والغاية المقصودة به، لكان وقوفه على دليل العناية أتم وأكمل.

انظر أيضاً ص١٥٢ مقدمة لكتاب ابن رشد «مناهج الأدلة في عقائد الملة».

وهناك دليل آخر للفلاسفة وهو دليل الحركة الذي تبناه أفلاطون وتلميذه أرسطو انظر «ابن رشد وفلسفته الدينية» للدكتور محمود قاسم.

وأقصد بأدلة المتكلمين -وهي كثيره- على سبيل المثال:

دليل إمام الحرمين على حدوث الأعراض، واستحالة تعري الجواهر عنها، ويثبت أنّ الجواهر لا تسبق الأعراض، والأعراض حادثة، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث على الاضطرار مع غير حاجة إلى نظر واعتبار وهذا ينتج عنه أنّ العالم حادث، واحتاج في حدوثه إلى سبب، هذا السبب هو الله تعالى.

والدليل الثاني الذي استخدمه الإمام أبو المعالي، هو التفرقة بين الواجب والممكن، ويتلخص هذا البرهان في أنّ العالم جائز الحدوث وعدمه، وكل وقت صادفه وقوع وحدوث العالم كان من المجوزات تقدمه عليه بأوقات ومن الممكن تأخر وجوده عن وقته الذي حدث فيه بساعات. فإذا وقع الوجود الجائز بدلاً من استمرار العدم المجوز، قضت العقول ببداهتها بافتقاره إلى مخصص خصصه بالوقوع، وهذا المخصص هو السبب الذي

عن الأصل في كون الله خالق (محدِث) وما سواه مخلوق (حادث) وهو من الحوادث فلا مـــانع من أن أربط الأدلة القرآنية بما أنتجه العلم من تطور يدل دلالة واضحة على وجود الله تعالى بل على وحدانيته سبحانه.

وبذلك أكون تمسكتُ بأصاله الدين، حيث إنني تمسكتُ بكتاب الله في إثبات المعاني العامة وتصرفت فيما استجد من أمور العلم مما يعطي تفاعلاً في الخطاب الإسلامي مع من وقع فـــي تيارات الإلحاد ظاناً أن الدين ليس له علاقة بالعلم ولا يمكن أن يفهم بمفاهيم العصر الحديث.

إنّ اعتماد الحس والعقل في الدلالة على وجود الله نهج علمي حديث سيما باجتماعهما مما يعطي ثباتاً عقلياً وطمأنةً قلبياً بينما نجد الأدلة القديمة كانت تعتمد في دلالتها على انفراد أحدهما عن الآخر وهذا الأمر اجتمع في كتاب الله تعالى.

فلقد ورد في كتاب الله تعالى، المفهوم الحقيقي والكامل للإله، ووضع منهجاً متكاملاً فـــي المعرفة، ورسم الطريق الصحيح لمعرفة وجود الله تعالى وما يجب له من صـــفات، وخاطـــب القرآن الكريم بأسلوبه البديع جميع العقول وعلى كل المستويات الفكرية. والجدير بالذكر هنا، هو أن القرآن الكريم يحث الإنسان على العلم والحكمة، وبأمر بتدبر آيات الله تعالى والنظـــر فـــي الكون وما فيه من أسرار خفية، وذلك باستعمال ما وهبه الله تعالى من أدوات المعرفـــة، وفـــي مقدمتها الحواس والعقل، ويوجب عليه استعمالها، والمقصود من كل هذا هو أن يتنبه الإنـــسان إلى هذه الآيات الكونية ليستدل بها على وجود الله تعالى، كما أنّ القرآن الكريم يعيب على أهـــل

جعله على ما هو عليه الآن، وهو الله –سبحانه وتعالى انظر: الإرشاد للجويني، ص١٧٢٩، تحقيق: محمـــد يوسف موسى، القاهرة.

• **ملاحظـــة:** استدل الأشاعرة وهم يمثلون قسماً من المتكلمين على وجود الله –سبحانه وتعالى– بعـــدة بـــراهين أهمها: البرهان القائم على نظرية الجوهر والفرد، والبرهان القائم على التفرقة ليس الواجب والممكن وأرادوا أن يبرهنوا على وجود الله بحدوث العالم، والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى، والعالم عبارة عن جواهر وأعراض، فاضطروا إلى إثبات الجوهر الفرد، فالجوهر هو المتميز وكل ذي حجم متميز، والعـــرض هـــو المعنى القائم بالجوهر، كالألوان، والطعوم والروائح والحياة والموت. انظر: الجويني، الإرشاد، ص١٧.

التقليد الذين لا يستخدمون عقولهم في النظر وتدبر آياته وعدم قبول الحق المخالف لمـــا نـــشأوا عليه وألفوه، كما أنّه ينهى عن اتباع الظنّ والهوى في الحكم على الأشياء ويطلب البرهان على ما يتقرر من قضايا وأحاكم، ويرفع من مكانة العلماء؛ وذلك لأنّ آياته وحكمهـــا إنّمـــا تتجلـــى للعلماء، وأنّهم أحقّ الناس بإدراكها والبرهنة من خلالها على وجود الله، وبذلك يعظم أمره لديهم، ويخشونه ويخافونه. ومن اليسير على من أراد أن يتصفح القرآن الكريم أن يخرج منه بالشواهد على ما ذكره به، ولقد جعل القرآن الكريم مسألة إثبات الله مسألة بحث علمي في ضوء العقـــل والحس، ويؤخذ من آيات كثيرة في القرآن الكريم أنّ الإيمان بالله ثمرة العلم وأنّ الجحود بوجوده سببه الجهل[١].

المطلب الثالث: التجديد في الأدلة على وجود الله:

إنّ مما دعاني أن أدرس هذا الأمر هو حاجتي شخصياً عندما كنت أدرس الشريعة وأردت تعلم العقيدة لأزداد صلة بالله تعالى وليزداد خوفي منه تعالى ورجائي فيما عنده ولكننـــي بعـــد دراستي الأولى زاد قلبي قسوة عندما كنّا ندرس أدلة وجود الله، فحتى الأدب مع الله لـــم ترعـــه انتِباهاً فقلت: وهل هذا علم العقيدة الذي تعلمه أصحاب محمد ﷺ؟ فكانوا قادة الأُمـــم فعرفـــت الإجابة عندما نظرت لحالنا فلم نكن إلاّ أراذل الأمم، فقلت من وقتها لابد من التجديد في العقيدة لا سيما في أدلة وجود الله.

ولا شك أنّ القرآن الكريم يحوي كل شيء، قـــال تعـــالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[٢]، فكيف بعلم العقيدة وخاصة إثبات واجب الوجود وتوحيده؟

---

(١) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٣٨، نقلاً عن مجلة عالم الفكر تحت عنوان (الإيمان بالله في عصر العلم)، لمحمد عبد الهادي أبو ريدة.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

أ- أدلة القرآن الكريم:

لقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تتحدث عن الله تعالى؛ عن وجوده ووحدانيته وصفاته كما أنه قد جاء بالمعنى الواضح والمفهوم الصحيح لكلمة الألوهية، وما يتبعها من معنى العبادة الحقة للإله الواحد القهار.

وقد جاء منهج القرآن الكريم ليواجه التيارين؛ التيار الأول هو الإلحاد وجحود الإله، والتيار الثاني، هو التيار الذي يؤمن بالإله على خلاف في تصور ذلك الإله، وقد كان الإسلام أقرب إلى التيار الثاني من الأول، والإسلام جاء لينظم حركة الحياة كلها، والإيمان أمر يعود على المسلمين فيما بعد تطبيقهم لمنهج القرآن الكريم، والأمر الذي يهمنا هنا، أنّ القرآن الكريم جاء بالقول الفصل في أمر العقائد وكل المشاكل التي أثارها الفكر والعقل الإنسانيان، وذلك على الحق الذي جاء به في كل منها بالحجج المنطقية والأدلة العقلية والوجدانية التي يؤمن بها كل من العقل والقلب معاً، وكان همّ المسلمين في صدر الإسلام هو فهم ما جاء به كتاب الله في هذه المسائل بعد أن آمنوا به على علم وبصيرة، وذلك بطريق الدلائل الكونية التي لفتتهم إليها وحثتهم على إعمال العقل فيها(١).

وقد جاء بعدة براهين مختلفة لم تكن في كتاب من كتب الأديان المنزلة كما تكررت في القرآن الكريم؛ وذلك لأنّه خاطب أقواماً مختلفة، منهم المنكرون وغيرهم مشركون -أي الذين يؤمنون بالتوراة والإنجيل ويختلفون في مناهج ومذاهب الربوبية والعبادة- وكانت دعوته لكافة الناس من أبناء ذلك العصر الذي نزل فيه، وسائر العصور الأخرى، فهو لأمة العرب وللأمم الأخرى غير العربية(٢).

---

(١) انظر: موسى، محمد يوسف، القرآن والفلسفة، ص١٦، نهضة مصر، ط١، القاهرة.

(٢) انظر: العقاد، عباس محمود، الله، ص١٤٨، ط١، نهضة مصر، القاهرة، -بتصرف-.

ولقد أوضح القرآن الكريم المنهج والطريق السليم للمعرفة بوجود الله تعالى، وما يجب له من صفات الكمال، وكانت دعوته للناس في أساسها مبنية على النظر العقلي، وثمرة التأمل الفكري، وخاصة في مسائل العقائد التي يجب أن تقام على دليل التعقل والبرهان.

ولن نستطيع أن نتتبع ونحصي كل الآيات التي تتحدث عن منهج المعرفة القرآنية، ولا إحصاء كل الآيات التي وردت فيها البراهين على وجود الله تعالى؛ لأن القرآن الكريم قد خاطب الناس بكل الأدلة البرهانية على قدر عقولهم واختلاف مداركهم ومعارفهم، حتى أنّه أشار إلى المعرفة الفطرية المغروزة في الروح الإنسانية. ولكنه دائماً يوجه الإنسان إلى استخدام عقله وفكره، في تدبر مخلوقات الله تعالى، وتوجيه حواسه إلى النظر في علامات وآيات -وكل ذلك في السموات أو الأرض أو في أنفس الناس كلها علامات وآيات- لمن يستخدم عقله وفكره الاستخدام السليم فيصل إلى معرفة واجب الوجود، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

ويثبت القرآن الكريم الدلالة الضرورية من الخلق على وجود الحق الخالق -سبحانه وتعالى- ويرد على المنكرين بضروريات فكرية، فيقول تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[5].

---

(١) سورة الغاشية، الآية:١٧.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ٢٠-٢١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٤) سورة الجاثية، الآيات: ٣-٤.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

والقرآن الكريم يرشد العقل الإنساني إلى معرفة السبيل المؤدي إلى الله تعالى، في وضع القضية الإيمانية، ثم يأتي بما يدلل عليها، ويقول الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1].

فهذه الآيات تنبه الإنسان إلى وجود الله تعالى، ثم تبين الطريق المؤدي إلى معرفة ذلك وكثير من هذه الآيات تجمع بين دليل الخلق ودليل العناية، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٦٣-١٦٤.

أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[١].

توضح هذه الآيات الكريمة، معرفة الله وتعظيمه، ثم تدبيره وخلقه لهذه الأشياء وما في هذا الكون، وتبين الذين اتبعوا أهواءهم وظلموا أنفسهم، ومالوا عن الحق والعلم، ولم يتسخدموا عقولهم في الطريق الذي يؤدي إلى معرفة الله تعالى، كما توضح الآيات الدين القيم الذي يطابق الطبيعة والفطرة التي خلق الناس وجبلوا عليها، أي الفطرة المغروزة في كل إنسان، والتي إن لم يمل إلى هواه لأدّته إلى المعرفة الصحيحة، وهذه الأدلة تكاد تتضمن كل ما عداها من أدلة قديمة وحديثة رغم أساليب التعبير بحسب اختلاف البيئة أو الزمن.

إنّها تتضمنها في صورتها السهلة: الأثر يدل على المؤثر، أي استدلال الفطرة البسيطة، وتتضمنها في صورتها الكلامية. كل حادث لابد من محدث له وأيضاً الصورة الفلسفية القديمة الممكن والواجب، وفي صورتها الفلسفية الحديثة، سواء رجعنا فيها إلى شعور الوجدان أو فكرة الكمال أو غير ذلك[٢].

ونقطة البداية لآيات وجود الله هي النظر في هذا العالم، كما أنّها نقطة الرد على الجاحدين أيضاً، والقرآن الكريم انفرد بين الكتب المنزلة بأن جعل مسألة وجود الله مسألة بحث علمي في ضوء العقل والحس، يؤخذ من آيات كثيرة في القرآن الكريم أن الإيمان بالله ثمرة العلم وأن الجحود بوجوده سببه الجهل[٣].

---

(١) سورة الروم، الآيات: ١٧-٣٠.

(٢) محمود، عبد الحليم، التفكير الفلسفي في الإسلام، ص٥٣، دار المعارف، القاهرة.

(٣) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٧١، نقلاً عن مجلة عالم الفكر تحت عنوان (الإيمان بالله في عصر العلم)، لمحمد عبد الهادي أبو ريدة.

ويصرح القرآن الكريم بأن المنكرين والجاحدين إذا استمروا بعد النظر في الكون وما في مخلوقات الله من آيات دالة على وجوده على إلحادهم، فليس هناك ما يؤثر فيهم، فالقرآن يـدعو الإنسان إلى النظر في الكون، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾[2].

وإننا نجد في القرآن الكريم إلى جانب ما أشرنا إليه آيات كثيرة توجه الإنسان إلى حقيقـة نفسية واقعية، عن طريق الترهيب والترغيب، وزيادة على ذلك ما يحتوي القرآن الكـريم مـن أمثال تعبّر عن الحقائق وقد ساقها للموعظة والنصح.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾[3]. ومن مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾[4].

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة غافر، الآيات: ٢٨-٢٩.

(٤) سورة الحج، الآيات: ٢-٣١.

والقرآن الكريم في بعض آياته استخدم دليلاً آخر يقوم على أساس افتراض وجود فكرة الإله في أذهان من خاطبهم بهذا الدليل، من مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[2]، فهذه الآيات تفرض وجود الفكرة مسبقاً في ذهن المخاطبين بها ولعلها رد على أهل الكتاب في تصورهم للإله.

إذن فالقرآن الكريم استخدم كثيراً من الأدلة والبراهين وورد فيه ما يدل أيضاً على أن الإيمان بالله هو عهد وميثاق، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾[3].

فهذه الأدلة منها ما له طابع علمي فلسفي، ومنها ما له طابع نظري منطقي، ومنها أدلة إقناعية متنوعة تكفي لإقناع الإنسان على أساس سيكولوجي، وكلها لا تقطع الصلة بين الفكر والواقع[4]، فالنظر للبراهين التي جاء بها القرآن الكريم وخصّها بالتوكيد والتدبر هي أقوى البراهين إقناعاً وأحراها أن تبطل القول بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها، ونعني بها **أولاً** برهان: ظهور الحياة في المادة ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾[5]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ﴾[6].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٢-١٧٤.

(٤) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٧٣.

(٥) سورة الروم، الآية: ١٩.

(٦) سورة الملك، الآية: ٢٣.

ثانياً: برهان التناسل بين الأحياء لدوام بقاء الحياة، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾[(١)]، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾[(٢)].

وبهذا نخلص إلى أن إقامة الأدلة والبراهين على وجود واجب الوجود، يجلبه الحس والعقل والفطرة والعلم على حد سواء، كل هذا يسلم به المؤمن ويعقله الفيلسوف والمفكر ويقبله الإنسان البسيط، وعليه تكتمل المعرفة الإنسانية، ويأتي القرآن الكريم في نهاية المطاف مؤكداً العلم والإيمان بالله تعالى في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[(٣)]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[(٤)]، من هنا يتبين أنّ أمر الأدلة والبراهين مختلف ومتباين؛ لأنّ وسائل الاقتناع عند الناس مختلفة ومتباينة، وقد راعى القرآن الكريم هذه الحقيقة النفسية والعقلية؛ ولهذا تنوعت في القرآن الكريم –كما رأينا– وسائل الدعوة إلى الله تعالى، بأسلوب آية في البلاغة والبيان: «حتى إن الذي يستعرض أساليب الهداية القرآنية إلى عقيدة الألوهية يجدها قد أحاطت بأطراف هذه المسالك، وأشبعت تلك النزعات جميعاً، بل ربما في كل منهج عناصر جديدة، لم يفطن إليها الباحثون»[(٥)] قديماً ولا حديثاً.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة ق، الآية: ١٨.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٤) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٥) دراز، محمد عبدالله، الدين، ص١٧٦، مطبعة السعادة، ١٣٨٩هـ–١٩٦٩، القاهرة.

ب- أدلة علمية:

إنّ مما لا شك فيه أنّ ثمة أدلة حادثة تدل على وجود الله تتلائم وطبيعة الأزمان والأشخاص ولكنها قد وجدت كلها في كتاب الله، ولكن العلم الحديث يضفي عليها شيئاً من التفصيل ممّا يؤدي بالإنسان تأكيد تلك الحقائق والإيمان بها إذ أنّ الإنسان بطبعه جدليّ فضولي، قال تعالى -عن إبراهيم عليه السلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(١).

وهنا نُشير إلى بعض القوانين العلمية التي ثبتت حديثاً وتدل على إتقان الخلق والصنع وأن ثمة خالق عالم مدبر خلق فهدى، وكل هذا يبطل فكرة الإلحاد والصدفة ويبرهن على وجود الله تعالى.

أولاً: مما أثبته العلم الحديث في الديناميكا الحرارية، أنّ الحرارة تنتقل من الأجسام الأقل برودة إلى الأكثر، أي من الأجسام الساخنة إلى الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس، وهذا ما يسمى بالقانون الثاني في الثرموديناملك(٢).

وقد عبر عالم أمريكي عن هذا القانون وكيف أنه يثبت عكس ما ادّعته المادّية الإلحادية بقوله: «قد يعتقد بعضهم أن هذا الكون هو خالق نفسه، وعلى حين يرى البعض الآخر أنّ الاعتقاد بأزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد بوجود إله أزلي، ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي، فالعلوم تثبت بكل وضوح أنَّ هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً، فهناك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٢) انظر في تفصيل هذا القانون وتطبيقاته، ف.بوش، أساسيات الفيزياء، ترجمة: سعيد الجزيري ومحمد أمين سليمان، ص٣٢٥-٣٥٣، ١٩٨٢، دار ماكجروهيل للنشر، الطبعة العربية، القاهرة.

يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية، ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حـرارة الأجسام وينضب منها معين الطاقة، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيماوية أو طبيعيـة، ولـن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون. ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليـات الكيماوية والطبيعية تسير في طريقها، فإنّنا نستطيع أن نستنتج أنّ هذا الكون لا يمكن أن يكـون أزلياً، وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود وهكذا توصلت العلوم – دون قصد– إلى أن لهذا الكون بداية، وهي بذلك تثبت وجود الله؛ لأن ما له بدايـة لا يمكـن أن يكون قد بدأ نفسه ولا بد له من مبدئ أو من محرك أول أو من خالق، هو الإله»[١].

ثانياً: قوانين الحركة الإلكترونية (حركة اللاتعين–هيزنبرج): من المعلوم أنّ المواد تتألف مـن عناصر، وهذه العناصر التي يتكون منها الكون كله مؤلفة من جزيئات، وهذه الجزيئـات مركبة من ذرات، كل ذرة تتركب من ثلاثة أشياء متناهية الصغر، وإحداها تمثل شـحنة سالبة تسمى إلكترون، والثانية تحمل شحنة موجبة تسمى بروتون، والثالثة متعادلة الشحنة تسمى نيوترون، هذه الثلاثة الإلكترون والبروتـون والنيـوترون تـشكل نـواة الـذرة، والإلكترون يدور في فلك له حول النواة بسرعة كبيرة في حركة دائرية، وهو بـلا هـذه الحركة يبقى في مداره متحركاً حول النواة لا يخرج عن هذا المدار إلا إذا اكتـسب قـوة نووية تسمى (الكونتم) ولا يعود إلى مدار أقل إلا إذا فقد مثل ذلك الكونتم الذي أخرجه من مداره الأصلي[٢].

---

(١) مونسما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، ص٢٧، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسما، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلّق عليه: د. محمد جمال الدين الفندي، ١٩٦٨، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

العالم الأمريكي الذي أشرنا إليه هو إدوارد لوثركسيل وهو عالم في علم الحيوان.

(٢) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٥٧.

وجميع ذرات الكون تتكون من هذه العناصر الثلاثة، والإلكترون في جميع ذرات الكـــون يأخذ هذا الوضع المشار إليه، وليس هناك وضع آخر يكون عليه غيـــر هـــذا. وهـــذه الحركـــة الإلكترونية، نجدها في كل الأجرام السماوية فمثلاً بعد الشمس عن كواكبها السيارة التي تـــدور حولها كالبعد بين الذرة والإلكترونات التي تدور حولها نسبياً.

من كل هذه الحقائق عن النواة ومكوناتها وتشابه الأجرام في الفضاء مع هذا النظام الـــذي تسير عليه الإلكترونات في حركتها الدائرية، تُنبئنا هاتان الأسرتان (أسرة الذرة وأسرة الشمس) وحركاتهما، بأنَّ هناك نقطة بداية زمانية ومكانية بدأ منها الشيء الدائر، دورتـــه ســـواء كـــان إلكتروناً أو قمراً، أو جرماً سماوياً.

وحيث إن هذه الحركة غير مستأنفة كما يبدو، إذن لا بد أن تكون هنـــاك بدايـــة زمانيـــة ومكانية لحركة الإلكترون أو الجرم. وهذه البداية في حقيقتها هي بداية وجود الذرات نفسها، إذن فالكون كله المركب من هذه الذرات لابد له من بداية ونشأة وخالق له من العدم[١].

ثالثاً: استحالة مبدأ الصُّدفة رياضياً وعقلياً: معنى المصادفة: هو وقوع فعل من غير ســـبب أو علّة محددة وتكون سبب حدوثه وقد تكون في بعض الأحيان ممكنة وأحياناً أخرى تكـــون في حكم المستحيل عقلاً[٢].

لقد قام العالم الرياضي السويسري «تشارلز يوجين جاي»[٣] بحساب عوامل تكون جـــزيء بروتيني واحد في الحياة، فاتضح أن الفرصة لا تتهيأ عن طريـــق المـــصادفة لتكـــون جـــزيء

---

(١) حوى، سعيد، الله جل جلاله، ص٢٤–٢٥، ط٣، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م، دار الهلال، القاهرة.

(٢) موريسون، كريسي، الإنسان يقوم وحده، ص٥١، ألفه في رده على كتاب الملحد (هكسلي) الإنـــسان يقـــوم وحده، ترجمة محمود صالح الفلكي تحت عنوان (العلم يدعو للإيمان) ط٥، ١٩٦٥، مكتبة النهضة المصرية، ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، نيورك.

(٣) تشارلز يوجين جاي، عالم طبيعة سويسري، حاول أن يقوم بحساب احتمالية الخلق بالصدفة لجُزيْء واحـــد من البروتين. ومن المعروف أن جُزيْء البروتين يتكون من أربعة عناصر مختلفة على الأقل. ولكي يُبـــسِّط

بروتيني واحد إلا بنسبة (١ إلى $١٠^{١٦٠}$) أي بنسبة (١ إلى رقم عشرة مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة)، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات، وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات.

ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة بنفسها ٢٤٣ من السنين ($١٠^{٢٤٣}$ سنة)[١].

ومن هذا يتضح أنّ حظ المصادفة يزداد وينقصُ، حسب الأعداد والأشياء التي تتزاحم للظهور وعليه نقول: إن حظ المصادفة بين شيئين متعادلين يكون بنسبة (٢:١)، وإذا كانت عشرة يكون نجاح المصادفة (١٠:١)، لأن لكل واحد من هذه العشرة فرصة الفوز مماثلة لفرصة أي واحد آخر بدون أي تمايز، وهذا الأمر يكون في أعداد المائة أو الألف، ولكنه عندما يصبح الأمر في أشياء أعدادها بالملايين بل البلايين، فإنّ حظ الصُّدفة يصبح في حكم العدم بل المستحيل، فإذا حدث أن أخبرنا إنسان معروف بالصدق أن الذي أحدث هذه الأشياء هو مدبر قادر وعالم حكيم، وأخبرنا إنسان آخر معروف بالصدق أيضاً أنّ الذي أحدث الأشياء هو

=الحساب افترض جاي أن الجزيْء البروتيني مكوّن فقط من عنصرين فحسب من ٢٠٠٠ ذرة بوزن ذري (١٠) وبعدم تناظر للجزيْء من (٠,٩)، بهذه الشروط المبسّطة قدّر جاي احتمال خلق البروتين بالصدفة يبلغ (٢,٠٢) س١٠-٢٣١ فإذا أخذنا هذه النتيجة في الاعتبار في إطار عمر وحجم كوكبنا الأرضي، فإن خلق مثل هذا الجزء قد يستغرق ١٠٢٤٣ بليون سنة تحت ظروف ٥١٠١٤ اهتزازة في الثانية. وتبعاً لذلك، لا يوجد إمكانية أن الحياة قد نشأت بالصدفة خلال ٤,٥ بليون سنة التي يُفترض أنها عمر الأرض، http://www.eltwhed.com.

(١) مونسما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، ص١٠، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسما، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلّق عليه: د. محمد جمال الدين الفندي، ١٩٦٨، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

الصُّدفة، لا شك أنّ الإنسان العاقل يرجح ترجيحاً مطلقاً أنّ الأول هو الصادق، لماذا؟ لأن الترجيح يعود إلى القانون الرياضي في الصدفة نفسها، وهو أمر عقلي لا يمكن الخروج عنه، ومنطوقُه هو: «أن حظ المصادفة من الاعتبار يتناسب تناسباً عكسياً مع عدد الوحدات الأشياء المتكافئة موضع الاعتبار»[١].

ومن هذا نخلص إلى أن بداهة العقل تحكم بأن حظ المصادفة في مسألة الكون لا يمكن أن تقبل على الإطلاق، هذا العالم بما فيه من ترتيب وتنظيم وإحكام لا يقبل الإنسان العاقل أن يقول إنّه ولد بالصدفة، وخاصة إذا كان إنساناً يملك عقلاً علمي الاتجاه.

ج- اعتراف علماء المادة بوجود الله:

مع أن علماء المادة لا يعتبرون أنّ من عملهم إثبات وجود الله ولكن لابد للعالم الذي يقتنع برأي معين من أن يدافع عنه، فهم يسيرون عن طريق الفحص والتحليل وبيان وجوه الاحتمالات الممكنة لحل مشكلة ما مطروحة ويأتي بما يناقضها لبيان الحق فيها ومنهم على سبيل المثال:

١- فرانك آلن[٢]: من علماء الطبيعة، عالم بيولوجي (علم الأحياء):

يعالج مشكلة وجود الله تعالى فيقول: كثيراً ما يقال إنّ هذا الكون موجود فكيف نُفسرُ وجوده ونشأته؟ هنالك أربعة احتمالات للإجابة عن هذا السؤال:

---

(١) حوى، سعيد، الله جل جلاله، ص٣٤، ط٣، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، دار الهلال، القاهرة.

(٢) فرانك ألن، هو عالم الطبيعة البيولوجية، ماجستير ودكتوراه من جامعة كورنيل، New work، أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا، مونسما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، ص٥-١٠، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسما، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلّق عليه: د. محمد جمال الدين الفندي، ١٩٦٨، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال، وهو ما يتعارض مع القضية التي سلمنا بها حول وجوده، وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم، وإما أن يكون أبدياً ليس لنشأته بداية، وإما أن يكون له خالق.

أما الاحتمال الأول فلا يقيم أمامنا مشكلة سوى مشكلة الشعور والإحساس، فهو يعني أن إحساسنا بهذا الكون وإدراكنا لما يحدث فيه لا يعدو أن يكون وهماً من الأوهام ليس له ظل من الحقيقة ... (وحيث إنه كذلك فلا يحتاج إلى مناقشة أو جدال).

أما الرأي الثاني القائل بأن هذا العالم بما فيه من مادة وطاقة قد نشأ هكذا وحده من العدم، فهو لا يقل عن سابقه سخفاً وحماقة ولا يستحق هو أيضاً أن يكون موضع للنظر أو المناقشة.

والرأي الثالث الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية، إنما يشترك الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون، وذلك في عنصر واحد هو الأزلية، وإذاً فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت وإما أن تنسبه إلى إله حي يخلق.

ثم وضح (فرانك آلن) في ضوء العلم الحديث ونتائجه ذلك التناسق والغائية التي تتجلى مثلاً في ملاءمة الأرض للحياة البشرية والتي تتخذ صوراً عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية، بل هي تلائم الحياة الإنسانية في جوانبها المختلفة المادية والعقلية والروحية والعاطفية، وذلك بفضل الوضع الممتاز الذي تتخذه الأرض بالنسبة للشمس وبقية المجموعة الشمسية والنجوم الأخرى.

٢- جون كليفلان كوثران: عالم كيمياء.

يوضح كيفية خضوع أجزاء المادة لقوانين محددة لا يمكن أن تكون راجعة إلى العشوائية أو الصدفة العمياء، مثل التشابه بين خواص العناصر الكيميائية الموجودة في كل قسم من أقسام

الترتيب الدوري لها حسب وزنها الذري، الذي وضع جدوله وأساسه العالم الروسي (مندليف)[١] فهذا الاكتشاف لا يطلق عليه اسم المصادفة الدورية ولكنه يسمى (القانون الدوري).

ويشير إلى تركيب الذرة والتفاعلات الكيميائية التي نشاهدها كلها ترجع إلى وجود قوانين خاصة بها وليست محض مصادفة عمياء.

فهذا العالم من الجزيئات والذرات والإلكترونات والبروتونات وغير ذلك، مع ما يبدو عليها من التعقيد في التركيب فإنها تتكون جميعاً من نفس الأنواع الثلاثة الرئيسية البروتونات الموجبة، والإلكترونات السالبة، والنيوترونات المتعادلة. ثم يقول ناقداً المذهب المادي: «فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة؟ أو أنها هي التي أوجدت هذا النظام، وتلك القوانين ثم فرضته على نفسها؟ لا شك أن الجواب سوف يكون سلبياً. بل إن المادة عندما تتحول إلى طاقة أو تتحول الطاقة إلى مادة فإنّ كل ذلك يتم طبقاً لقوانين معينة، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين، التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها[٢].

وهو يشير بعد ذلك إلى ما دلت عليه دراسة الكيمياء من أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة. وعلى ذلك فإن

---

(١) ديميتري إيفانوفيتش مندليف، ولد في توبولسك، سيبيريا، (٨ فبراير ١٨٣٤ – ٢ فبراير ١٩٠٧) وهو كيميائي روسي.

اعماله: له شهرة كبيرة لانه هو وعالم آخر كانا أول من فكر في النسخة الأولى من الجدول الدوري للعناصر. وعلى عكس الذين ساهموا في فكرة الجدول الدوري، استطاع مندليف توقع الخواص الكيميائية للعناصر التي لم تكتشف في وقتها. وفي حالات عديدة غامر بالسؤال عن دقة الأوزان الذرية المقبولة وقتها، وكان يجادل بانها لا تتطابق مع المتوقع لها بواسطة القانون الدوري، وقد أثبتت الأبحاث لاحقا صحة كلامه.

وأكثرُ أهميةً من ذلك قام بالتحقق من حقول وتركيب النفط. وساعد في عمل أول مصفاة زيت في روسيا. وقد مات في سان بطرسبرج بسبب الإنفلونزا. وتم تسمية العنصر رقم ١٠١، مندليفيوم باسمه. http://ar.wikipedia.org.

(٢) مونسما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، ص٢٤.

المادة ليست أبدية، ومعنى ذلك أنها ليست أزلية، إذن لهـا بدايـة. وعليـه فـإنّ هـذا العـالم المادي لابد أن يكون مخلوقاً، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسـنن كونيـة محـددة لـيس لعنصر المصادفة بينها مكان(١) ثم يستطرد في برهانه على وجود الخالق -سـبحانه وتعـالى- قائلاً: فإذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التي يخضع لهـا، فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي. وتدل الشواهد جميعاً على أن هـذا الخـالق لابد أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة. إلا أن العقل لا يستطيع أن يعمل في العالم المادي كما في ممارسة الطب والعلاج السيكولوجي دون أن يكون هنالك إرادة، ولا بد لمن يتصف بالإرادة أن يكون موجوداً وجوداً ذاتياً. وعلى ذلك فإن النتيجة المنطقية الحتمية التي يفرضها علينـا العقـل ليست مقصورة على أن لهذا الكون خالقاً فحسب، بل لا بد أن يكون هذا الخالق حكيمـاً عليمـاً قادراً على كل شيء حتى يستطيع أن يخلق هذا الكون وينظمهُ ويدبره، ولا بد أن يكـون هـذا الخالق دائم الوجود تتجلى آياته في كل مكان، وعلى ذلك فإنّه لا مفر من التسليم بوجود الله خالق هذا الكون وموجهه(٢).

٣- المستشار (كلودم هاتلوي)(٣):

عالم متخصص في تصميم العقول الإلكترونية يعتمد في إثباته لوجـود الله علـى أسـاس الخبرة النفسية والتجربة الشخصية، حيث إنه صرح بأن عمله في تصميم مخ إلكترونـي عـدة سنوات جعله يُقدر التصميم والإتقان أينما كان، ويصرح بأنّ الإيمان بالله هو الملاذ الوحيد الذي تطمئن إليه الروح، وهو في التصميم والإبداع ما يدل على المبدع والخالق، وبهذا يرفض نـشأة الكون على أساس الصدفة.

---

(١) مونسما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، ص٢٥.

(٢) مونسما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، ص٢٥.

(٣) مونسما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، ص٨٩-٩١.

ونحن نورد النص كاملاً حيث إنه بذاته يغني عن الشرح والتحليل، والمهم ملاحظة البرهنة العلمية التي يستمدها والتي تميز الروح العلمية في هذا العصر، فهذا طريقه الاستدلال المنطقي المقام على مقومات علمية مبنية على الفحص والتحليل.

فيقول: «أما من حيث الأسباب الفكرية التي تدعوني إلى الإيمان بالله، فإنني أحسب أن أبدأ بذكر الحقائق التي لا سبيل إلى إنكارها والتي لا شك في أن غيري ممن أسهموا في هذا الكتاب (أي كتاب الله يتجلى في عصر العلم) قد تناولوها، وهي أن التصميم يحتاج إلى مصمّم، وقد دعم هذا السبب القوي من أسباب إيماني بالله ما أقوم به من الأعمال الهندسية، فبعد اشتغالي سنوات عديدة في عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربائية، ازداد تقديري لكل تصميم أو إبداع أينما وجدته، وعلى ذلك فإنه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا إلا من إبداع إله أعظم لا نهاية لتدبيره وإبداعه وعبقريته، حقيقة أن هذه طريقة قديمة من طرق الاستدلال على وجود الله، ولكن العلوم الحديثة قد جعلتها أشد بياناً وأقوى حجة منها في أي وقت معنى. إنّ المهندس يتعلم كيف يوجد النظام، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد والقوانين الطبيعية في تحقيق هدف معين، إنه يُقدّر الإبداع بسبب ما يوجهه من الصعاب والمشكلات عندما يحاول أن يضع تصميماً جديداً. لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم مخ إلكتروني يستطيع أن يحل بسرعة بعض المعادلات المعقدة المتعلقة بنظرية (الشد في اتجاهين) ولقد حققنا هدفنا باستخدام مئات من الأنابيب المفرغة والأدوات الكهربائية الميكانيكية والدوائر المعقدة ووضعها داخل صندوق بلغ حجمه ثلاثة أضعاف حجم أكبر (بيانو) ولا تزال الجمعية الاستشارية العلمية في (لانجلي فيلد) تستخدم هذا المخ الإلكتروني حتى الآن.

وبعد اشتغالي باختراع هذا الجهاز سنة أو سنتين، وبعد أن واجهت كثيراً من المشكلات التي تطلبها تصميمه ووصلت إلى حلها، صار من المستحيلات بالنسبة لي أن يتصور عقلي أنّ مثل هذا الجهاز يمكن عمله بأي طريقة أخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم، وليس العالم من حولنا إلا مجموعة هائلة من التصميم والإبداع والتنظيم. وبرغم استقلال بعضها عن بعض، فإنها متشابكة متداخلة، وكل منها أكثر تعقيداً في كل ذرة من ذرات تركيبها من ذلك المخ الإلكتروني الذي صنعتُه. فإذا كان هذا الجهاز يحتاج إلى تصميم أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكيميبيولوجي الذي هو جسمي، والذي ليس بدوره إلا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وإبداع إلى مبدع يبدعه؟

إن التصميم أو النظام أو الترتيب، أو سمها ما شئت لا يمكن أن تنشأ إلا في طريقتين: طريق المصادفة، أو طريق الإبداع والتصميم وكلما كان النظام أكثر تعقيداً بعد احتمال نشئته عن طريق المصادفة ونحن في خضم هذا اللانهائي لما نستطع إلا ان نسلِّم بوجود الله.

من خلال ما سبق نستطيع أن نقول إن دليل العلم المعاصر على وجود الإله هو الدليل الغائي والقائم على مبدأ الدقة والإحكام(١).

---

(١) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٦٥، نقلاً عن مجلة عالم الفكر تحت عنوان (الإيمان بالله في عصر العلم)، لمحمد عبد الهادي أبو ريدة.

المطلب الرابع: التحدي العقدي في إنكار الدين:

تكلمت في التحدي العقدي الأول من الجانب الأهم وهو: إنكار الإله والتجديد في إثبات واجب الوجود ولا شك أن ارتباط التحدي في إنكار الدين مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتحدي في إنكار الإله، لذا كان لابد من التكلم بموضوع هذا التحدي، حيث إن معظم التحديات المعاصرة ترتبط بهذا التحدي فالعلمانية وغيرها من التحديات تتعلق بالدين، لأنها تقول باقتصار الدين ووظيفته على العلاقة فيما بين العبد وربّه، وعزل الدين عن شؤون الحياة الأخرى.

إن التحدي العقدي المعاصر في إنكار الدين[١] كان نتيجته للصراع الفكري الذي حدث في أوروبا عن مصادر المعرفة، وكيفية الحصول عليها، ظهرت ثلاث مراحل، تميز بها الفكر الغربي، وكلها تدور حول المصادر الرئيسة للمعرفة وهي الدين والعقل والحواس[٢].

في المرحلة الأولى ساد الدين كمصدر أساسي وأولى للمعرفة، وفي هذه الفترة كانت الفلسفة خادمة للدين، تقوم بشرح مضامين عقائده وإقامة الحجج والبراهين على صدقها في حدود العقل الإنساني[٣].

وكان الرأي السائد لدى الفلاسفة –رغم ظهور الحركات الإصلاحية– أن الألوهية هي المرجع الأخير للوجود والمعرفة على السواء[٤] واستمر الوضع على هذا الحال باعتبار الوحي هو المصدر الأول والأخير للمعرفة حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهو ما يسمى

---

(١) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص١٩٦.

(٢) المطلب السابق، ص١٩٧.

(٣) أبو ريان، محمد علي، الفلسفة الحديثة، ص١١، ط١، ١٩٦٩م، دار الكتب العلمية، القاهرة، وانظر: البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٤٩، ط١٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٤) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٥٣، ط١٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

بعصر التنوير في تاريخ الفكر الأوروبي، ثمّ أصبح العقل هو المصدر الأول للمعرفة دون غيره، واستخدام الفيلسوف الألماني نيتشه[١] (ت١٨١٤)، مبدأ النقيض الذي يجد أساسه في فكرة «تصور الإنسان لنفسه» للوصول إلى سيادة العقل على ذاته واستقلاليته في الوجود عن غيره، وتبعية عالم الأشياء إلى العقل[٢] وبهذا أصبح العقل سيد الميدان، والمصدر الأول للمعرفة، في مقابل الدين والطبيعة[٣] وسلك هيجل الألماني (ت١٨٣١م) طريق «نيتشه» واستخدم نفس المبدأ لتأكيد قيمة العقل، غير أن نيتشه، وقف به عند تأكيد سيادة العقل، بينما هيجل، استرسل عن طريق الخطوات الثلاث التي سماها: (بالدعوى، ومقابل الدعوى، والجامع بينهما) للوصول إلى تأكيد سيادة الدين أيضاً وليس العقل فحسب[٤] ومن هنا تميز الفكر الغربي بالفلسفة العقلية أو المثالية وهي تبدأ عند مؤرخي الفلسفة ابتداءً من ظهور كتاب «كانت» (نقد العقل الخالص) سنة ١٧٨١م، وتنتهي هذه الفترة بوفاة هيجل سنة ١٨٣١م، ولكن استمر تأثير النزعة العقلية في الفكر الغربي حتى نهاية القرن التاسع عشر، وظل هذا الأثر واضحاً عند بعض فلاسفة القرن العشرين، وخاصة في انجلترا عند «برادلي»[٥].

---

(١) فريدريك فيلهيلم نيتشه، (ولد ١٥ أكتوبر، ١٨٤٤ – ٢٥ أغسطس، ١٩٠٠)، فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز الممهدين لعلم النفس، وكان عالم لغويات متميزاً. كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة، المادية، المثالية الألمانية، الرومانسية الألمانية، والحداثة عُموماً بلغة ألمانية بارعة. يعد من بين الفلاسفة الأكثر شيوعا وتداولا بين القراء. وفاته: عانى نيتشه في نهاية حياته من مرض عقلي حيث دخل المصح العقلي لكن أمه العجوز سارعت بإخراجه ليعيش معها إلى أن توفي. .http://ar.wikipedia.org

(٢) أبو ريان، محمد علي، الفلسفة الحديثة، ص٢٤.

(٣) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٢٦٤.

(٤) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٦٤، ط١٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٥) فرانسيس هيربرت برادلي، ١٨٤٦–١٩٢٤م.

أبو ريان، محمد علي، الفلسفة الحديثة، ص٢٢–٢٣.

ويعد العام الذي توفي فيه هيجل هو البداية التقريبية للفلسفة المعاصرة، التي تميزت بما انطبع به الفكر الإنساني من جرّاء التقدم العلمي الهائل، الذي حدث نتيجة الاكتشافات العظيمة في مجال العلوم الطبيعية، والتكنولوجيا، وما حدث من تطور على الحياة الاجتماعية والثورات الصناعية والسياسية، وما لحق الإنسان من نهوض حضاري في شتى المجالات، ومع أنّه ليس من اتفاق بين الفلاسفة على ما يجب أن يكون من روابط وصلات بين الفلسفة والعلم في ضوء الاكتشافات والإنجازات التي حققها التقدم العلمي(١) إلا أنّ الصراع الفكري الذي اشتعل لدى العقلية الأوروبية بين الكنيسة ورجال النهضة العلمية لم يختلف في هذا العصر عن سابقه، وربما أدت الكشوف العلمية إلى زيادة هذا الصراع وتعميق أثره، وخاصة أنّ الفلسفة المعاصرة أصبحت ترتكز في أساسها على «الطبيعة» دون أي اعتبار لشيء آخر، وبهذا هيمنت الفلسفة الطبيعية بالتدريج على سيادة العقل والدين معاً، وعليه أصبح «الواقع المحسٌّ» هو المصدر اليقيني للمعرفة، ومن هنا ظهرت الفلسفة الوضعية Positivism، والتي أصبحت فيما بعد من أهم سمات الفكر الغربي الحديث والمعاصر.

ويقول محمد البهي: إنها قامت في جو معين وعلى أساس خاص، أما الجو المعين: فهو يشتمل على جانبين:

أولهما وأهمهما: سيطرة الرغبة على غالبية كبيرة من العلماء والفلاسفة في معارضة الكنيسة وأصول معرفتها التي استغلتها في خصومة المعارضين فترة من الزمن، وبديهي أنّ هذه المعرفة هي المعرفة الدينية للمسيحية الكاثوليكية بوجه خاص، والتي وصفت بأنها معرفة ميتافيزيقية بوجه عام.

---

(١) أبو ريان، محمد علي، الفلسفة الحديثة، ص٢٥٣.

وثانيهما: هو اعتقاد فلاسفة الوضعية بإفلاس الفلسفة العقلية المثالية وعدم قدرتها للوصول إلى هدفها الذي أرادته وهو إبعاد التدخل الكنسي في عملية توجيه الإنسان، وتنظيم العلاقات الإنسانية على هذا الأساس. وأما الأساس الخاص الذي قامت عليه الفلسفة الوضعية، فيتلخص في وضع الطبيعة على أنها مصدر الأساس للمعرفة، والحقيقة والواقع أو الحس كلها بمعنى واحد وتعني الطبيعة، وهي في نظر الوضعيين ليست مصدراً مستقلاً فحسب للمعرفة، بل هي المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية، وأنّ المثل الأعلى لليقين يأتي عن طريق العلوم التجريبية[1] ويعتبر «أوجست كونت»[2] (١٧٩٨-١٨٥٧م) صاحب الفلسفة الوضعية وأول بنّائيها، بعد الكونت «دي سان سيمون»[3] (١٧٦٠-١٨٢٥م) وشارل فوربي (١٧٧٢-١٨٣٧م) الذي يُعتبر أحد آباء الشيوعية الحديثة، وهما مصلحان اجتماعيان تأثر بهما «كونت». وثلاثتهم لا تتجاوز نظرتهم الفلسفية عن رغبتهم في الإصلاح الكامل للجماعة البشرية، وذلك لأنّهم رأوا المجتمع في حالة تدهور فيجب إعادة تنظيمه بسلطة زوجية توحّد بين العقول، وهذه السلطة ليست سلطة الكنيسة بل سلطة العلم

---

(١) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٦٦، ط١٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) الاسم: أوغست كونت، ولد في مدينة مونبلييه (١٧٩٨-١٨٥٧) وهو عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي.

اعماله: أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية

أهم مؤلفاته: محاضرات في الفلسفة الوضعية، ونظام في السياسة الوضعية. http://ar.wikipedia.org.

(٣) هنري دي سان سايمون وهو كونت فيلسوفاً فرنسياً يميل إلى مبدأ تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، ولد عام ١٧٦٠م.

اعماله: وكانت دعوته موجهة إلى الاهتمام بالصناعة، ونوه إلى أهمية الحياة البرلمانية في الاقتصاد، ودعى إلى أن يكون البرلمان مكوناً من ثلاثة مجالس هي:

مجلس الاقتراع، مجلس الفحص، ومجلس التنفيذ.

وفاته: لقد توفي في عام ١٨٢٥م. http://ar.wikipedia.org.

الواقعي وسيادته. والذي يضع حدّاً لفوضى الأفكار، ويحقق أسباب النظام والإصلاح وينتهي إلى إلغاء الدين واللاهوت الكنسي، وإحلال دين آخر جديد بدلاً منه(١).

ويدلل «كونت» على مذهبه باستخدامه لتاريخ العقل، فيقول: إنّ العقل مرَّ بحالات ثلاث: حالة لاهوتيه، وحالة ميتافيزيقية، وحالة وضعية(٢).

فهذا القانون الذي يسمى بقانون الدورة الثلاثية (أو قانون المراحل الثلاث) التي تمر فيها المعرفة: وهي الدين، الميتافيزيقيا، الواقعية، هو القانون الذي وضعه «كانت» لتأييد المعرفة الحسية، التي تحل فيها الملاحظة محل الخيال والاستدلال(٣).

ويأتي «كارل ماركس»(٤) (١٨١٨-١٨٨٣م) الذي وضع مذهب المادية التاريخية وهو فيلسوف يهودي ألماني، أقام فلسفته الاجتماعية الاقتصادية على أساس المادية الجدليّة التاريخية، التي يتألف منها كتابه «رأس المال» الذي شرح فيه فلسفته هذه والتي أقامتها على طريقة هيجل، وتُعتبر الشيوعية الإلحادية نتيجتها الأولى والرئيسية. ومبدؤها الذي أقامه على أساس المادية الجدليّة التاريخية يتلخص في أنّ المادة هي كل الموجود وأن مظاهر الوجود على اختلافها، نتيجة تطور متصل للقوى المادية(٥) واستخدم «ماركس» مبدأ النقيض الذي عرف للفيلسوفين

---

(١) انظر: البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٦٨، ط١٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) انظر: كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٣١٧.

(٣) انظر: كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٣١٨، البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٦٩-٢٧٠، ط١٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٤) كارل ماركس ولد في ٥ مايو ١٨١٨مدينة (ترير) في ولاية (رينانيا) الألمانية، وهو فيلسوف ألماني، سياسي، وصحفي، ومنظّر اجتماعي.

اعماله: قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ اجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية. لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي.

وفاته: ١٤ مارس ١٨٨٣. http://ar.wikipedia.org.

(٥) انظر: كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤٠٢.

الألمانيين من قبله «نيتشه وهيجل» غير أنه استخدمه في مجال آخر غير «التصور الإنساني» عند «نيتشه» أو مجال الفكرة التي عرفت في المذهب الهيجلي. فقد استخدمه في مجــال الاقتــصاد، مستنداً على دراسته التاريخ الإنساني[١] ومن هنا اشتهر مذهبه باسم الماديّة التاريخية، ولما كــان قد استخدم الجدل الهيجلي أيضاً في مذهبه التاريخي وصف بالماديّة الجدلية التاريخية. والذي يهم في هذا الصدد هو أن «ماركس» في نظريته المادية، قد تأثير «بكومت» وذهب إلى القــول بــأن المادة أكثر أهمية وأسبق وجوداً منَ العقل، والعقل متوقف على المادة فــي وجــوده ولا يمكــن وجوده منفصلاً عنها[٢] وأخطر ما في هذه الفلسفة هو نكرانها للدين مطلقاً، فــ«ماركس» لا ينكر بقاء الروح بعد موت الجسد فحسب بل يرفض الدين من أساسه، ويرى أنّ كل دين لعنة، والدين هو أفيون الشعوب ويجب منعه عنه حتى ينهض –على حدِّ قوله– للمطالبة بحقِّه ويُــنفض عــن كاهله الخنوع والاستسلام[٣] وقد ساد الفكر الأوروبي اتجاهات فلسفية أخرى خاصــمت الــدين واستخفت باللاهوت وحطت من شأن رجاله، كمذهب الحسيين والتجريبيين، والفلــسفة العمليــة Pragmatism في أمريكا، وكلّها مذاهب حسية على حدِّ قول توفيق الطويل: ومادية تنكر ما وراء العالم المحسوس وتستخف بالأديان[٤].

وقد شجع مذهب «دارون»[٥] في التطور على ظهور تلك الفلــسفات الطبيعيــة والماديــة والوضعية، وقدم تفسيراً آلياً ميكانيكياً للوجود، وأغنى المفكرين عن فكــرة «الغائيــة» والنظــام

---

(١) انظر: البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٧٥، ط١٢، مكتبــة وهبــة، القاهرة.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٣) انظر: كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤٠٣.

(٤) انظر: الطويل، توفيق، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٢٥٣، ط٣، ١٩٧٩م، دار النهضة العربية، القاهرة.

(٥) انظر: تشارلز داروين، ولد ١٢ فبراير ١٨٠٩ شروسبري، شروسفير، إنجلترا، وهو عالم حيوان، اشــتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي، حول نشأة الإنسان.

المعقول في تفسير الظواهر البيولوجية[١]. وبعد هذه العُجالة عن بعض الاتجاهات الفكرية في أوروبا خلال عصر النهضة العلمية وما حدث عليها من تطور خلال القرن العشرين، فإنّه يتبين للدارس أنّ الفكر الأوروبي يتصف بعدد من الخصائص يمكن أن ترجع إلى اثنتين:

أولاهما: أنّ هناك اضطراباً وخلطاً في الأفكار الغربية الحديثة والمعاصرة.

ثانيهما: يختص الفكر الغربي بظهور أفكار هدّامة ومعارضة للدين وللعقل أيضاً، تهدف إلى الحط من القيم الأخلاقية والاجتماعية، وتنكر المعرفة العقلية والدينية، وإن كان هناك بعض المذاهب الروحية التي يؤيدها بعض الفلاسفة إلا أنها روحية عصرية عرجاء -كما يقول يوسف كرم[٢]- والفلسفة الحديثة في جملتها لا تؤمن بالعقل ومعانيه ومبادئه ولا تؤمن بجواهر ثابتة حتى تقول بنفس خالدة وإله كامل ومفارق للطبيعة[٣].

وإظهار هذه الفكرة، هو السبب الذي يدفع إلى اقتباس لمحة موجزة عن الفكر الغربي لاستنتاج ما تشكله فكرة إنكار الدين من تحدٍّ حضاري للإسلام، في كلا جانبيها: سواء التي ترى عدم أهمية الدين أو التي تقوم بإبعاده من مجال الحياة أو ما يسمى بالعلمانية.

ومما زاد في خطورة هذا التحدي، هو انتقال هذه الأفكار إلى المجتمع الإسلامي، كما انتقل غيرها من الأفكار والنظم والمفاهيم الأوروبية التي اشرت إلى بعض منها فيما سلف.

=مؤلفاته: صدر كتاب داروين بعنوان أصل الأنواع في عام ١٨٥٩م والذي كان بمثابه نقطة البداية في دخول فكرة الأصل المشترك للكائنات لتفسير التنوع في الطبيعة في المجتمع العلمي.

الوفاة: دفن داروين في كاثدرائية وستمنستر آبي في لندن إلى جانب كل من وليم هرتشل وإسحق نيوتن تكريمًا لتميّزه في هذا المجال. http://ar.wikipedia.org .

(١) قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٢٩٢-٢٩٣، توفيق الطويل.

(٢) يوسف كرم ولد في مدينة طنطا في ٨ سبتمبر عام ١٨٨٦ من أبوين مسيحيين نزحا من لبنان واستوطنا مصر، وهو مفكر مصري ومؤرخ للفلسفة.

وفاته: ورحل يوسف كرم الخميس ٢٨ يناير عام ١٩٥٩. http://www.marefa.org .

(٣) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٧-٩.

فهناك دعاة من المفتونين بالحضارة الغربية وأساليبها في الحياة، قد حملوا راية هـذه الفلـسفات الهدّامة للدين والأخلاق، ومن بينها القول: «بخرافة الدين وإنكار قيمته في التوجيه»، فهذا الـرأي واضح أنّه وليد الفكر المادي الذي ظهر في أوربا، وحمله من يدّعون الثقافة والتجديد في الفكـر الإسلامي، وصاحبت هذه الفكرة، دعوى أخرى تشكل مع سابقتها اتجاه الفكر الغربـي ومـدى نفوذه وتغلغُله في شرفنا الإسلامي، وهي فكـرة أن الإسـلام ديـن لا دولـة، والتـي آثارهـا المستشرقون في أول أمرها. نتيجة لمنهجهم في نقد المسيحية ونظام الكنيسة إبان فترة الـصراع بينهم وبين رجال النهضة العلمية، وتسربت إلينا عن طريق كتاباتهم ومقالاتهم، أو عن طريـق تلاميذهم الذين يُخفون حقيقتهم في تقليدهم للغرب تحت صفات وأسماء مختلفة أو تحت ما يسمى بالتجديدّ والاتجاه الأول لا يظهر تأثيره[١].

أما الاتجاه الثاني: فيظهر جلياً في كتابات كثيرة ويجسده واقع أنظمة الحكم فـي الـدول الإسلامية والعربية، ومن بين هذه الكتابات على سبيل المثال لا الحصر كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لمؤلفه علي عبد الرزاق[٢]، الذي حاول فيه أن يثبت أنّ «الإسلام دين لا دولـة» مجـاراة لدعاوى الغرب وما وضعه الفكر الاستشراقي من دراسات عن الإسلام ونظام الحكم فيه يقـول محمد محمد حسين[٣] عن هذا الكتاب «فهو يعتمد على المستشرقين فيما لا يوثق بهم فيه» ويسوق

---

(١) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٢٩، ط١٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) علي حسن أحمد عبد الرازق، ولد في قرية أبو جرج بمحافظة المنيا في أسرة ثرية تملك ٧ آلاف فدان سنة ١٨٨٨م.

اعماله: مؤلف كتاب الإسلام وأصول الحكم عمل علي عبد الرازق بالمحاماة، ثم انتخب عـضوا فـي مجلـس النواب، ثم عضوا في مجلس الشيوخ، ثم اختير وزيرا للأوقاف. في سنة ١٩١٥م عين قاضياً شرعياً.

من مؤلفاته: له عدد من الكتب، منها: أمالي علي عبد الرازق، والإجماع في الشريعة الإسـلامية، ومـن آثـار مصطفى عبد الرازق.

الوفاة: توفي في جمادى الآخرة من عام ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م. http://www.marefa.org

(٣) محمد محمد حسين، ولد في سوهاج، من مدن الصعيد في مصر سنة ١٩١٢م، وهو أديب إسلامي مصري، غير مكثر في ميدان الكتابة، لكنه رصين الأداء، مقتدر في استيفاء جوانب ما يطرقه، عالِم يدرب طلابه، ثم لا ينسى جهدهم.

على ذلك مثالاً بالمستشرقين توماس أرنولد[١]، الذي أخذ عنه مؤلف الكتاب المذكور الكثير، وهو يعتمد فيما قال على المستشرقين أكثر من اعتماده على المصادر العربية الأصلية على كثرتها واهميتها وتوافرها[٢] وكان هدف هذا الكتاب هو إثبات أن الإسلام دين وليس دولة، والرسول صاحب الرسالة فقط ومنفذ لها دون أي شيء آخر. فيقول المؤلف: «إن محمداً ﷺ ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة دولة وأنّه لم يكن للنبي ﷺ ملك ولا حكومة، وأنّه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يُفهم سياسةً من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولاً كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة ولا داعياً إلى ملك»[٣] ويرى أن ما جاء به الإسلام لا يخرج عن كونه عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فهو شرع ديني خالص لله تعالى، ولمصلحة البشر الدينية لا غير[٤]، ويعتقد أنّ الدين الإسلامي، لا شأن له بالخلافة أو القضاء ولا غير ذلك من وظائف الحكم ومراكز الدولة وإنما هي أمور ترجع فيها –على حدّ تعبيره– إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة[٥]، ويقول محمد محمد حسين عن هدف هذا الكتاب: «ويدور الكتاب المؤلف كلُّه حول هدم فكرة

=مؤلفاته: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (في جزأين)، والإسلام والحضارة الغربية، وأزمة العصر، وأصله ثلاثون حديثًا كتبت لتبث من إذاعة الرياض عام ١٣٩٧ هـ.

وفاته: توفي محمد محمد حسين سنة ١٤٠٢ هـ الموافق ١٩٨٢م، حيث بلغ من العمر سبعين سنة. http://ar.wikipedia.org.

(١) توماس وولكر أرنولد، ولد ١٩نيسان ١٨٦٤، وهو مستشرق بريطاني شهير.

اعماله: ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور، وفي عام ١٩٠٤ عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن وكان عضو هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى ، عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصرية عام ١٩٣٠. ويذكر أنه كان معلما للمفكر الإسلامي الهندي محمد إقبال.

الوفاة: ٩حزيران ١٩٣٠. http://ar.wikipedia.org .

(٢) حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج٢، ص٧٤، وهو أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية.

(٣) عبد الرزاق، علي، الإسلام وأصول الحكم، ص٦٤-٦٥، ط٢، ١٣٤٤هـ-١٩٣٥م، مطبعة مصر.

(٤) الإسلام وأصول الحكم، ص٨٥.

(٥) المصدر السابق، ص١٠٣.

الخلافة كنظام إسلامي في الحكم، ليصل من ذلك إلى النتيجة التي ختم بها كتابه، حين أنكر أن تكون الخلافة أو القضاء أو وظائف الحكم ومراكز الدولة جميعاً من الدين في شيء، ووصفها بأنّها: «خطط دنيوية صرفة» لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها ولم ينكرها، ولا أمر بها ولا نص عليها، وإنّما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة. وقد حاول المؤلف أن يصل إلى هذه النتيجة من كل طريق(١) وقد وقد حاول أحمد خان(٢) زعيم الحركة الإصلاحية في الهند خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مثل هذه المحاولات، على أساس تقليد النظم الغربية، وأسسها المادية(٣) ويذكر أنور الجندي(٤) بأنّ مجموعة من الدراسات

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج٢، ص٧٦.

(٢) سير سيد أحمد خان بهادر، ولد السيد أحمد خان بن محمد متقي خان في (٦ ذو الحجة ١٢٣٢هـ=١٧ من أكتوبر ١٨١٧م)، وهو رجل تعليم وسياسي يعتبر رائد التعليم الحديث للمسلمين في الهند بتأسيسه الكلية المحمدية الأنجلو شرقية ، والتي تطورت لتصبح جامعة عليكرة الإسلامية لاحقاً. أعماله أوجدت جيلاً من المثقفين والسياسيين المسلمين والذين شكلوا حركة عليكرة لفصل المسلمين عن الهند.

اعماله: عاون أخاه الأكبر السيد محمد خان في إدارة جريدة "سيد الأخبار"، ونشر في سنة (١٢٦٤هـ=١٨٤٧م) كتابه "آثار الصناديد" وهو موسوعة شاملة لمدينة دهلي وأمرائها وملوكها. وبعد أن مكث في دهلي عشر سنوات انتقل إلى مدينة "بجنور" سنة (١٢٧٢هـ=١٨٥٥م) للعمل في وظيفة وكيل نيابة.

الوفاة: وقد توفي في (٢٥ من رجب ١٣٠٦هـ=٢٧ من مارس سنة ١٨٨٩م) ودفن في ساحة مسجد جامعة عليكرة. http://www.marefa.org.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٠٥ وما بعدها.

(٤) أنور الجندي، ولد عام ١٩١٧ بقرية ديروط التابعة لمركز أسيوط بصعيد مصر، ويمتد نسبه لعائلة عريقة عُرفت بالعلم

اعماله: كان باحثاً دؤوباً وذو همة عالية، وهو يقول عن نفسه مبينا دأبه في البحث والاطلاع: "قرأت بطاقات دار الكتب، وهي تربو على مليوني بطاقة، وأحصيت في كراريس بعض أسمائها. راجعت فهارس المجلات الكبرى كالهلال والمقتطف والمشرق والمنار والرسالة والثقافة، وأحصيت منها بعض رؤوس موضوعات، راجعت جريدة الأهرام على مدى عشرين عاماً، وراجعت المقطم والمؤيد واللواء والبلاغ وكوكب الشرق والجهاد وغيرها من الصحف، وعشرات من المجلات العديدة والدوريات التي عرفتها في بلادنا في خلال هذا القرن، كل ذلك من أجل تقدير موقف القدرة على التعرف على (موضوع) معين في وقت ما".

وقد لقى "الجندي" في طريق جهاده بالكلمة الكثير من العناء والعنت، فقد تعرض للظلم والأذى، فضلاً عن أنه اعتقل لمدة عام سنة ١٩٥١م.

وفاته: وفي مساء الاثنين ١٣ ذي القعدة سنة ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٨ يناير ٢٠٠٢م توفي إلى رحمة الله المفكر الكبير الأستاذ "أنور الجندي" عن عمر يناهز ٨٥ عاماً قضى منها في حقل الفكر الإسلامي قرابة ٧٠ عامًا يقاتل من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية الأصيلة ورد الشبهات الباطلة والأقاويل المضللة وحملات التغريب والغزو الفكري، ف رحمة واسعة.http://ar.wikipedia.org .

باللغة العربية قد صدرت بأفلام عربية تحاول أن تنتشل وجهات النظر التغريبية في مجال القرآن الكريم والإسلام وأصول الدين ومفاهيم الاجتماع، ويذكر أنها قد جرت هذه المحاولة بغرض غير علمي، وإنّما وفق هوى خاصٍ، يستبطن غرضاً واضحاً، أو هدفاً معيناً، ثم يبحث عن النصوص والأدلة التي تؤيده. ويمضي قائلاً: «وقد كتبت هذه المؤلفات في ظل ظروف معينة في خلال فترة سيطرة النفوذ الأجنبي أو بتوجيهٍ من جهات معينة، أو في ظل إشراف بعض الأساتذة الأجانب أو دعاة التغريب من تلاميذهم»(١) ويضرب بعض الأمثلة على تلك الكتابات، التي يرى مؤلفوها أن الأديان هي سبب انحطاط كل من دان بها، وأن الإسلام هو الذي أخر أهله عن ملاحقة ركب الحياة، ودعوا إلى إنكار الأخلاق الدينية واستبدالها بالأخلاق المادية والتجارية، وفي كتاب «الدين والضمير» يرى مؤلفه محمود الشرقاوي أن الدين للعوام، ولا لزوم له عند المثقفين، ووصف الإسلام بأنه دين لا صلة له بالمجتمع أو الحياة المدنية(٢) وما زالت هذه الأفكار والاتجاهات مستمرة وقائمة إلى يومنا هذا، وهي تنشط من حين إلى آخر وتظهر في كل مرة في ثوب حضاري مختلف، ويزداد عداؤها للدين واستخفافها بمبادئه وتعاليمه، كلما ظهر اكتشاف علمي جديد، مما ساعد على زيادة هذا العداء وبذا ظهر الإلحاد والوثنية والعلمانية، فضلاً عن ظهور دعوات هدّامة، بعضها يخدم الاستعمار، والآخر يخدم أغراضاً وأهواء شخصية مختلفة. فقد ظهرت القاديانية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في الهند، بعد استقرار الاستعمار الإنجليزي فيها، ومؤسسها هو المرزا غلام أحمد القادياني(٣) (١٨٣٩-١٩٠٨م) ويلقب بالمسيح الثاني، ونسبته إلى «قاديان» من قرى «البنجاب» الهندية، ولد ودفن فيها، وتعرف القاديانية في أفريقيا وغيرها من البلاد باسم «الأحمدية» وهذا تمويه على المسلمين حتى

---

(١) الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، الإسلام والثقافة العربية في أوربا، ص٣٨١.

(٢) الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، الإسلام والثقافة العربية في أوربا، ص٣٨٢.

(٣) غلام أحمد القادياني، ولد غلام أحمد مؤسس الأحمدية في ١٣ فبراير عام ١٨٣٥.

اعماله: الميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس الجماعة الأحمدية بقاديان في الهند ويعتبر عند أتباعه هو المهدي الموعود والمسيح المنتظر.

الوفاة: وفاته في العام ١٩٠٨. http://ar.wikipedia.org .

لا يعرفوا حقيقة أمرهم والقاديانية تعتبر مؤامرة استعمارية دبّرها الإنجليز لإضعاف المسلمين وجعلهم خاضعين لنفوذهم وسيطرتهم، ويبين ذلك ولاؤهم وتفانيهم في طاعة الإنجليز يقول مؤسس هذه الفرقة في كتابه «البرية»: ولقد أقرّت الحكومة بأنّ أسرتي في مقدمة الأُسر التي عُرفت في الهند بالنصح والإخلاص للحكومة الإنجليزية، ودلّت الوثائق التاريخية على أن والدي وأسرتي كانوا من كبار المخلصين لهذه الحكومة من أول عهدها، وصدق ذلك الموظفون الإنجليز الكبار، وقد قدم والدي فرقة مؤلفة من خمسين فارساً لمساعدة الحكومة الإنجليزية في ثورة (١٨٥٧م). وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة، وكان أخي الأكبر غلام قائداً بجوار الإنجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة، وتعتبر البهائية شقيقة «القاديانية» في هدفها وأساسها الاستعماري، فكلتاهما كونه الاستعمار وزود كلاً منهما بشتى الوسائل المادية وغير المادية، وعملت اليهودية والصهيونية على مساعدتها الفكرية والمادية وما زالت إلى الآن تساعدها عن طريق المركز القادياني في (إسرائيل)، ومراكزها الأخرى في أفريقيا[(١)] وهذا ما يزيد في توضيح أمر الغرب في توجيه حملاته وتحدياته عن طريق وسائله الحضارية والاستعمارية والعلمية – إلى الدين بصفة عامة، بمقولتهم أنّ الأديان قد انتهى أمرها وولّى عهدّها، فهي عبارة عن أساطير وخرافات، وقد أزاحها العلم الحديث بمكتشفاته ومخترعاته العلمية والتكنولوجية التي بهرت الأبصار وسلبت العقول، فالدّين –في اعتقادهم– قد فشل في تحقيق مهمته، وتوقف عن العطاء وتحجر في مواجهة الحضارة. ولتتحقق المكيدة للإسلام غايتها فقد حورب الدين عموماً، لطعن الإسلام في أرسخ وأقوى قواعده التي يقوم عليها. ولإظهار بطلان هذه الدعاوى يجدر توضيح مفهوم للدين ومدلولاته في الفكر الغربي، والتي وجهت على أساسها تلك الحملات على الدين وأعوانه، فقد شغلت مسألة تحديد الدين وأهميته العلماء والمفكرين قديماً وحديثاً[(٢)] وظهرت لهم عدّة تعريفات وأبدوا عدة مدلولات، وقد جاء في إحدى

---

(١) ظهير، إحسان إلهي، البهائية نقد وتحيل، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، وعبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، دار الصحوة والنشر، والمودودي، أبو الأعلى، ما هي القاديانية؟، دار القلم الكويت، ونخبة من علماء المسلمين، موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

(٢) دراز، محمد عبد الله، الدين.

الموسوعات العلمية[١] أن هناك آلافاً من التعريفات لكلمة الدين، وبعض العلماء يعرفه على أنه الاعتقاد في وجود إله واحد أو عدد من الآلهة. أو الاعتقاد في وجود كائنات علوية (فوق الطبيعة)، ويقول: «هوستن سميث»[٢] أستاذ الفلسفة بالمعهد التكنولوجي بولاية «ماساتشوست» ومؤلف كتاب «أديان الإنسان»: «إن أحسن تعريف للدين هو محاولة الإنسان بلوغ أسمى كمال ممكن بواسطة ضبط حياته، وفق مشيئته أو إرادة أعظم وأحسن قوى في العالم، التي تسمى عادة بالإله»[٣] وربما يمثل هذا التعريف وجهة نظر فلسفية أكثر منه تحديداً لمفهوم الدين. وقال البعض الآخر: يمكن التعبير عن مفهوم الدين، بأنّه عبارة عن اعتقادات وأنماط سلوكية بواسطتها تحاول الإنسانية معالجة قضاياها الصعبة التي لا يمكن حلها عن طريق أو خلال التطبيقات المعروفة للإنسان عن التكنولوجيا والمنظمات التقنية، ومن هذا يتحول الناس إلى التعامل مع قوى غيبية أو مخلوقات ما وراء الطبيعة (فوقية)، يحاول الإنسان من خلال ممارسته للطقوس الدينية (مثل الصلوات، والرقص، والغناء، والهدايا، والقرابين» تسخير هذه القوى أو الكائنات الغيبية لصالحه، وقد تكون آلهة أو آلهات أو ما يسمى بعبارة الأسلاف «الأجداد» أو أرواحاً أخرى وقوى غير بشرية (غير شخصية)[٤] ويمثل هذا التعريف وجهة نظر الأنثروبولوجيا التي تهتم بدراسة الإنسان وأنماط سلوكه والتغيرات الثقافية وغيرها التي تؤثر في حياته الاجتماعية وهذا قريب من وجهة نظر علماء الاجتماع، فالدين عندهم –بوجه عام– «نظام اجتماعي يقوم على وجود موجود أو أكثر أو قوى فوق الطبيعة، وبين العلاقات بين بني الإنسان وتلك الموجودات، وتحت راية ثقافة معينة تتشكل هذه الفكرة لتصبح نمطاً أو أنماطاً اجتماعية أو تنظيماً اجتماعياً، ومثل هذه الأنماط والنظم تصبح معروفة باسم الدين»[٥].

---

(١) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٢٠٤.

(٢) هوستن سميث، استاذ الفلسفة وعلم الأديان في عدة جامعات أمريكية، ومؤلف كتاب (أديان العالم) الأكثر مبيعاً ورواجاً. ويعد المرجع العلمي البارز على مستوى العالم في موضوع (أديان العالم). http://www.neelwafurat.com.

(٣) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٢٠٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٥) المصدر السابق، ص٢٠٥.

وفي ذلك الجو الذي كان يسود فيه الصراع بين الكنيسة ورجالها من جهة، وبين رجال النهضة العلمية من جهة ثانية، ظهرت تعريفات لا حصر لها لمفهوم الدين، تتقارب حيناً وتتباعد حيناً آخر.

ومن الأمثلة على ذلك:

أ- يقول صاحب كتاب «لا دينية المستقبل»: «الديانة هي تصور المجموعة العالية بصورة الجماعة الإنسانية، الشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائي في الكون»[١].

إن هذا التعريف أبعد التعريفات عن مفهوم الدين الحق، ومع ذلك فيكاد يكون هو الفكر السائد عند الغرب سيما الذين نبذوا الدين كرد فعل لما قامت به الكنيسة ورجالها ضد رجال العلم.

وهو يدور في فلك مفاهيم (أوجست كونت) عن العقلية الإنسانية ومرورها بمراحل ثلاث: الدينية، الفلسفة المجردة، الواقعية[٢].

وهو ما دعا إليه (فرويد)[٣] حيث قسم حياة البشرية إلى ثلاثة مراحل لسيكولوجيته:

الأولى: المرحلة الخرافية، **والثانية:** مرحلة التدين، **والثالثة والأخيرة:** المرحلة العلمية.

---

(١) دراز، محمد عبدالله، الدين، ص٢٩-٣٢، وصاحب كتاب لا دينية المستقبل، هو جوبوه.

(٢) هيكل، محمد حسنين، الإيمان والمعرفة والفلسفة، ص٧٣ وما بعدها، ط١، ١٩٦٤م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٣) سيغموند فرويد، ولد في ٦ مايو، ١٨٥٦، وهو طبيب ، أعصاب ومفكر حر. يعتبر مؤسس التحليل النفسي.و هو الذي اشتهر بنظريات العقل واللاوعي، وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي.

مؤلفاته: تفسير الأحلام، وقلق في الحضارة، ومستقبل الوهم.http://ar.wikipedia.org .

وهو ما يظهر أيضاً في كتابات (سبنسر)[١] الذي ارتكزت فلسفته على المادية واللاإرادية وغيره من أمثال هكسلي[٢] وماركس، دعاة النزعة الإنسانية (Humanism) على أنها دين جديد يجعل مردّ الآداب إلى النفس البشرية، ويدعو الناس إلى درس الوثنية ويدعو إلى نصب الإنسان إلهاً بدلاً من الله تعالى[٣].

وكذلك كان شترنر[٤] الذي كانت فلسفته هي تقديس الذات وعبادة الأنا الفردية المطلقة فالناظر إلى حالهم يشاهدهم يزيدون كل يوم كفراً فوق كفرهم.

وهذا الحل يوضح أنّ ثورتهم كانت ضد الدين المسيحي لا إلى دين آخر، وهو عبادة النفس والشهوة فهم حقيقة لم يتحرروا بل غيروا آلهتهم من عبادة المسيح والصليب إلى عبادة الذات.

---

(١) هربرت سبنسر، ولد في ديربي ، انكلترا ، في ٢٧ أبريل ١٨٢٠ ، وهو ابن وليام جورج سبنسر (الذي يسمى عموما جورج) وهو الفيلسوف، عالم الأحياء، علم الاجتماع، وأبرز الليبرالية الكلاسيكية والمنظر السياسي في العصر الفيكتوري .

عرف هو مفهوم (البقاء للأصلح)، وهو ما فعله في مبادئ علم الأحياء (١٨٦٤) ، وبعد قراءة تشارلز داروين مادة في أصل الأنواع . هذا المصطلح يوحي بقوة الانتقاء الطبيعي ، حتى الآن سبنسر تمديد التطور في مجالات علم الاجتماع والأخلاق . http://translate.google.jo.

(٢) ألدوس هكسلي، ولد في ساري، المملكة المتحدة في عام ١٨٩٤وفاته في ١٩٦٣.

بدأت هكسلي التعلم له في مختبر والده النباتية مجهزة تجهيزا جيدا ، ثم تابع في مدرسة عين التل. وكان المعلم له والده الذي أشرف عليه لعدة سنوات حتى أصبح المرضى الميؤوس من شفائهم. بعد التلال ، وكان تعليمه في كلية إيتون.

(٣) قطب، محمد، شبهات حول الإسلام، ص١٧، ط١٦، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الشروق، القاهرة، وبيروت.

(٤) ماكس شتيرنر.

اعماله: شخصية مجهولة نسبيا في الفكر الأناركي و اليساري عموما . لقد أثر في كثير ممن يعتبرون أنفسهم أناركيين فرديين مثل الأمريكيين ليساندر سبونر و بنجامين توكر و الجدليين أو السفسطائيين المعاصرين مثل بوب بلاك . كما كان له بعض الأنصار بين الأناركيين الشيوعيين ، خاصة في غلاسكو حيث استمر التقليد الشتيرني إلى يومنا . كان شتيرنر فردياً رفض كل العقائد و المعتقدات التي تتطلب خضوع إرادة الفرد لقيادتهhttp://www.dijlh.net

ب- تعريف صاحب كتاب (مقالات عن الديانة): «قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة»[١].

وبهذا التعريف فهو لم يذكر حقيقة الدين وأهميته التشريعية والأخلاقية، فهو قصر على أمر سيكولوجي فقط.

ج- تعريف صاحب كتاب (قانون الإنسانية): «الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه»[٢].

وهذه هي النظرة الكاثوليكية التي تقصر الدين والعبادة على الناحية الروحية والأخلاقية[٣] بخلاف الإسلام الذي يعرّف العبادة بأنها «اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة»[٤].

وهذا يوضح الفرق الكبير بين الإسلام وبين غيره من الأديان وبذا يتميز.

تعريف الدين عند بعض علماء المسلمين:

مر معنا سابقاً تعريف الدين لغة واصطلاحاً وقلنا إن الدين هو الإسلام، حيث هذا ما أردناه في هذا البحث فالتجديد والتحدي للإسلام ولا نقصد طبعاً أي دين آخر غير الإسلام، لأنه مقصود البحث.

وسنتعرف على بعض تعريفات علماء الإسلام حيث نكون بذلك قد واجهنا التحدي الذي صنعه الغرب للدين ومفهومه.

---

(١) دراز، محمد عبد الله، الدين، ص٢٩-٣٢، وصاحب كتاب مقالات عن الديانة، هو شلاير ماخر.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩-٣٢، وصاحب كتاب قانون الإنسانية، هو الأب شاتل.

(٣) المصدر السابق، ص٣٢ وما بعدها.

(٤) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، ص١٤٥، ط١، ١٣٨٦هـ، دار المعرفة، بيروت.

فيعرفها الجرجاني (ت٨١٦هــ) بأنه: «دفع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هــو عند الرسول ﷺ»[١].

ويفرق الإمام الجرجاني رحمه الله بين الدين والملة بأنهما متحــدان بالــذات ومختلفــان بالاعتبار، فالشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة ومن حيــث إنها يُرجع إليها تسمى مذهباً، وقيل: الفرق بين الدين والملة والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى والملة منسوبة إلى الرسول والمذهب إلى المجتهد[٢].

«ويقال الدين هووضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح فــي الحــال والفلاح في المآل، وهذا يشتمل العقائد والأعمال»[٣].

أو هو «وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخبر في السلوك والمعاملات»[٤].

ونكتفي بما ذكرنا من تعريف الجرجاني والتهانوي، لأنه بتعريفهما نتحصل علــى المقــصود وهو بيان اختلاف مفهوم الدين في الإسلام عن مفهوم ا لدين الغربي حيث إن الإسلام ينص على أن الدين شامل لجميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والنفسية... الخ.

ونلخص مما سبق من تعريف الدين أن كل تعريف يحمل وجهاً أو أكثر مما يشمله الــدين وحتى باجتماع تلك المعاني فإنه يعجز أن نشمل الدين بتعريف واحد، لأن الــدين أكثــر تعقــداً وتشابكاً وشمولاً بجوانب عديدة، فكل شيء يقع في نطاق الدين يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند الإشارة إلى معنى الدين[٥].

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص١١١.

(٢) المصدر السابق، ص١١١.

(٣) تهانوي، المولوي محمد أعلى بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج٢، ص٥٠٣، شركة خيــاط للكتــب والنشر، بيروت– لبنان.

(٤) دراز، محمد عبد الله، الدين، ص٢٩.

(٥) الساموك، سعدون محمود، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ج١، ص١٨–١٩، ٢٠٠٦م، دار المناهج، عمان، الأردن.

ولتوضيح ذلك بصورة أكبر نذكر ما يتميز به مفهوم الدين في الإسلام عنه في الغرب:

أ- أن الدين وضع إلهي، وليس من صنع البيئة والإنسان.

ب- الدين هو عقيدة وشريعة وأخلاق، فهو نظام شامل وكامل للحياة، فهو ليس مجرد اعتقاد في قوى غيبية فحسب أو هو علاقة روحية أو يخلو ذلك من المعاني القاصرة والمختزلة.

ج- أن الدين، وكونه إلهي جاء لينظم الحياة من جميع جوانبها، فهو يوازن بين الروح والجسد والعقل والقلب والدنيا والآخرة ولا يكتفي بذلك بل يجعل بينها ترابطاً وثيقاً، فلا مناقضة بين الدين والعقل ولا تعارض بين الدين والعلم.

وبذا يتضح مفهوم الدين في الفكر الإسلامي، ولا أريد أن أطيل في هذا الأمر لأنتقل إلى موضوع أكبر أهمية، وهو أهمية الدين في الحياة كي نواجه التحدي الذي لا يعترف بالدين أو يعترف به على استحياء فضلاً عن الذين يعادونه ويلصقون به التهم والخرافات.

المطلب الخامس: التجديد في إدراك أهمية الدين وضرورته:

تظهر أهمية الدين وضرورته المتعلقة بثلاثة أمور بعد بروز علم الأديان كما أشار إلى ذلك الأستاذ روبستون بيك وهي التاريخ من جهة وعلم النفس وعلم الاجتماع[١].

وسأوضح هذه التعلقات والارتباطات ودور الدين في كل جهة من الجهات الثلاث المرتبطة بالإنسان ارتباطاً وثيقاً، إذ إن الإنسان لا يكون معتبراً ولا ذو كينونة بدون هذه الجهات الثلاث فالتاريخ وعلم النفس والاجتماع أساس الإنسان ووجوده وإليك بيان ذلك:

---

(١) القاضي، نصر الدين، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٢٠٨-٢٠٩، نقلاً عن عادل العوا، علم الأديان.

أ- تاريخ الأديان:

وهو علمٌ «يبحث في جميع العقائد والأديان التاريخية، البدائية والعصرية ويحاول شرحها، ويُقيم المقارنة والتمييز بينها»[١].

إن الدين من أكبر القوى المحركة للتاريخ وملايين من الأشخاص ماتوا من أجل معتقداتهم الدينية، كما أن عدداً من الأمم خاضت الحروب من أجل نشر أو الدفاع عن معتقداتهم، ولا يمكن على الإطلاق أن يوجد شعب لا يملك نوعاً أو بعضاً من أشكال الدين[٢]؛ إذن فالدين شيء طبيعي في النفس الإنسانية.

فالدين ظاهرة (طبيعية) إنسانية الإنسان وجوده منذ نشأتها، فلم تخلُ جماعة بشرية من دين يلائم طبائعها وحياتها، يقول (بلوتارك) المؤرخ الروماني في القرن الأول الميلادي: «من الممكن أن تجد مدناً بلا أسوار، وبلا ملوك، وبلا ثروات، وبلا آداب، وبلا مسارح، ولكن لم ير إنسان قط مدينة بلا معبد أو لاتمارس العبادة»[٣].

بل «قد رافق الدين الجماعة البشرية منذ نشأتها ولم تخل جماعة بشرية من دين يلائم طباعها ويوفق بينها فهو ظاهرة اجتماعية وحاجة روحية وعقلية»[٤].

إذن فالدين ليس أمراً عارضاً عند المجتمعات البشرية بل هو ظاهرة اجتماعية والسبب في ذلك هو أن الدين حاجة للروح والعقل معاً.

---

(١) القاضي، نصر الدين، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٢٠٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٩.

(٣) الجندي، أنور، القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، ص٢٨٣، مطبعة الرسالة، وانظر له قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، ص٤٧، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) الجندي، أنور، القيم الأساسية، ص٢٨٢.

ولقد أدرك فلاسفة أوربا الميل الروحاني للإنسان فقال: «صاحب كتاب «تاريخ الأديـــان»: من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شيء نحبه وكل شيء نعدّه من ملاذ الحياة ونعيمها. ومـــن الممكن أن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ولكن يـــستحيل أن ينمحـــي التـــدين أو يتلاشى بل سيبقى أبد الآباد حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يود أن يحصر الفكـــر الإنساني في المضايق الدنيئة للحياة الطينية»[١].

ولقد ذهب بعض المؤرخين أبعد من كون الإنسان بطبعه متدين أو عنده ميل روحي حيث وصلوا إلى حقيقة تفضيل الإنسان الأديان على باقي الأيدولوجيات الجديدة، لأن الأديان تعطـــي كرامة واختياراً وإدراكاً للإنسان بخلاف الأيدولوجيات التي تسبب التباغض والتعصب، فهي وإن أعطت الإنسان لقمة الخبز إلا أنها سلبته الطمأنينة والتحرر الروحي.

وعلاوة على ذلك فإن الأيدولوجيات جعلت الإنسان عبداً للإنسان بخلاف الأديـــان التـــي دعت إلى عبادة الله الواحد دون سواه، فبعد أن تحررَ من عبادة البـــشر عـــادت الأيـــدولوجيات لترجعه إلى نفس الحظيرة السابقة التي تركها قديماً وقد كان سعيداً بذلك ولكن المبادئ الجديدة لم تشأ أن تراه سعيداً[٢].

إنّ ما يراه المؤرخون المعاصرون الغربيون يراه الكثيرون من حاجة الإنسان إلى الـــدين وضرورته لحياة الفرد كفكرة متأصلة في النفوس، ومؤسسة اجتماعية لا تستغني عنها الجماعـــة لتنظيم حياتها[٣].

---

(١) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، ج٤، ص١١١، الطبعة الثانية، وصاحب كتاب تـــاريخ الأديان هو أرنست رنان.

(٢) الجندي، أنور، قضايا العصر، ص٤٨-٤٩، وقارن القيم الأساسية، ص٢٨٢-٢٨٤.

(٣) دراز، محمد عبد الله، الدين، ص٨٩.

فقد أصبح من الثابت بالاستقراء التاريخي أنّ ظاهرة التدين قد واكبت الإنسانية ولم تفارقها على مرّ الزمن، فهي شعور فطري متأصل في الذات الإنسانية.

ب- علم النفس الديني (سيكولوجية الدين):

وهو علم «يهتم بدراسة الشعور والظواهر الدينية لدى الفرد والجماعة من وجهة نفسية»[١].

لقد أكد علماء النفس على أهمية الدين في تكامل النفس الإنسانية وصلاحها وتقويم اعوجاجها ويؤمنون بدور العاطفة الدينية في تنظيم حياة الفرد والأسرة والجماعة ودفع الشر، ومكافحة الانحراف والأنانية التي تصيب النفس البشرية وتخرجها عن طبيعتها في البحث عن الخير والسعادة، وتحقيق الطمأنينة التي تهدف إليها وتنشدها كل نفس[٢].

إن العاطفة لها صور مختلفة، وأن الخوف والخشية اللذان يشعر بهما الإنسان تجاه ظواهر الطبيعة، هما إحدى صور العاطفة الدينية، فليس الحس الديني مؤلفاً من الخشية فقط، وإنما هو مؤلف من العطف والحب والثقة بالمعبود، فالمؤمن يخشى الله تعالى ويحبه، ويثق به[٣].

ويصل (هنري برجسون)[٤] إلى هذه الحقيقة فيقول: «إن معنى الإيمان هو الثقة لا الخشية، وإنّ العاطفة الدينية ليست في الأصل خوفاً، وإنما هي أمان من الخوف، وتسمى هذه العواطف بالعامل الديني الانفعالي»[٥].

---

(١) القاضي، نصر الدين، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٢٠٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢١٢.

(٣) صليبا، جمال، علم النفس، ص٢٨٧، –بتصرف–، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، وقارن: قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ص٢١١ وما بعدها.

(٤) هنري برجسون، ولد في (١٨ أكتوبر ١٨٥٩ – ٤ يناير ١٩٤١)، وهو فيلسوف فرنسي.
اعماله: قسم برغسون الوقت إلى نوعين الوقت العلمي الذي يقسم الساعة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية وهو وقت ثابت لا يتغير والوقت النفسي وهو الوقت الذي يعيشة الإنسان ويستمتع به وهو بالنسبة لبرغسون الوقت الحقيقي.اعمال هذا الفيلسوف المرتكزة أساسا على نقطة جوهرية الا وهي: الفكر والمتحرك والتي اعتبرت نوعا من انقلاب أو ثورة فلسفية. http://ar.wikipedia.org.

(٥) المصدر السابق، ٢٨٨.

وقد قسم علماء النفس غايات الإنسان التي يسعى إلى تحقيقها كي يشبع غرائــزه وميولــه الفطرية إلى ثلاثة أقسام: ميول شخصية يحافظ بها الإنسان على بقائه، وميول غيرية، يتصل بها الإنسان بغيره من الناس، وهي الميول الاجتماعية، وميول عالية وهي تحقق للإنــسان الرفعــة والسمو إلى المثل العليا[١].

وبسبب نزعات الإنسان وميوله برزت نظريات في تفسير ذلك الميول، ولا يزال الجــدل مستمراً حول هذا الأمر، فهل سلوك الإنسان فطري أم مكتسب؟ وهل طبيعة الإنــسان خيــرة أم شريرة؟ كل هذه الأسئلة يطرحها علم النفس لإمكانية وضع نظرية صحيحة تفسر هذه الأنمــاط من السلوك الإنساني[٢].

لقد تعددت الآراء عند علماء النفس في سبب سلوك الإنسان هل هو نتيجة البيئة المحيطــة بالإنسان السلوك المكتسب؟ أم هو نتيجة لأمر وراثي السلوك الفطري.

ومن الملاحظ أن السلوك هو خليط من هذا وذاك، وهذا ما تذهب إليه بعض مدارس علــم النفس، نتيجة للدراسة الحديثة في هذا المجال، مع أن حقيقة النفس ما زالت بها جوانب خفية لــم يستطع الفكر الوقوف عليها وكشف خفاياها[٣].

ويحاول الإنسان أن يصل إلى حالة توازن في رغباته من خلال عدّة رسائل، تسمى فــي اصطلاح علماء النفس العمليات العقلية اللاشعورية، كالكبت، والتبرير والإسقاط، لأجل مواجهة تلك المشاكل والوصول إلى حالة اتزان[٤].

---

(١) صليبا، جمال، علم النفس، ص٢٦٥.

(٢) جلال، سعد، علم النفس الاجتماعي، ص٣٥-٣٨، ط١، ١٣٩٢هــ-١٩٧٢، الجامعة الليبية.

(٣) جلال، سعد، المرجع في علم النفس، ص٨٠-٩٨، وملخص ذلك ص٩٩، دار المعارف.

(٤) راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، ص١٣٤-١٤٠، ط٨، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية.

فالسلوك السيئ للفرد كان نتيجة للظروف النفسية الاجتماعية، وبذا يصل الإنسان إلى الدرجة البهيمية التي تغلب عليها الشهوة، وهنا يسيطر عليه الشيطان الذي يقوم باستغلال تلك الغرائز في تفاعلها النفسي والاجتماعي والبشري ليجرَّ ذاك الإنسان إلى أمراض كثيرة، كالظلم والنفاق والرياء والحسد والغضب والكره والانتقام.. الخ.

ويأتي دور العاطفة الدينية التي تسيطر على الأمر بسيطرتها على زمام العواطف الأخرى فهي ملكتها –على رأي محمد فريد وجدي– وتهيمن عليها.

«وأما عاطفة الدين، فهي وإن كانت واحدة من تلك العواطف إلا أنّها ملكتها وسيدتها وفي يدها أزمّة جميعها، لأنّ محلها أشرف محل في وجدان الإنسان وغايتها أخصُّ الغايات بالنسبة إليه حتى أن الملحد الذي هتكت الشكوك فكرته، ليتمنى من صميم فؤاده أن لو كان ما يقوله الدين صحيحاً، وقد شهدت تواريخ العالم كله أنّ الأمم ما تدرجت في مدارج الحضارة ولا اجتازت عقبات الحياة الوحشية، إلا والدين قائدها ومرشدها. والاعتقاد سخرها ومصرفها، كما شهدت أيضاً بأن تهالك الإنسان في احترامه، وتفانيه في حبه قد بلغ عنده حداً ضحّى معه بالنفس والولد والأهل والوطن في سبيل مرضاته»[١].

والسبب في ذلك كله «لأنّ أعظم شيء يهم الإنسان في وجوده هو الطمأنينة على حياته»[٢]. وهي أمر نفسي محض يسعى إليه الإنسان بكل ما أوتي من جَهد، وهي نفسها حالة التوازن التي ذكرت آنفاً.

---

(١) وجدي، محمد فريد، الإسلام في عصر العلم، ص٣٩٢-٣٩٣، ط٣، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٣.

وبناء على ما سبق يمكن أن نفسر سبب فشل مدارس علم النفس الغربية الحديثة والمعاصرة في معالجة النفس الإنسانية وتحقيق السعادة لها، مع ما وصلت إليه من علم حديث، وما قدمت من خدمة لعلم النفس إلا أن ذلك لا يزال ناقصاً بسبب نظرتهم الجزئية للإنسان، فعالجت جانباً ونسيت جانباً آخر، بل إنها فقدت المعيار الصحيح لمعرفة النفس السوية من المنحرفة والأمرُّ من ذلك أنها درست النفس الإنسانية بمعزل عن خالقها، وهو الله تعالى[١].

فالدين بعقائده وشرائعه وآدابه ومثله العليا، يطهر النفوس من أدرانها ويطهر نزعات الإنسان الحيوانية والشيطانية، لأنّه العنصر الفعّال والضروري لتكميل القوة النظرية في الإنسان وضروري لتكميل قوة الوجدان وقوة الإرادة[٢].

إننا نقول لمن ينكر العاطفة الدينية، لماذا تخصُّ العاطفة الدينية بالإنكار؟

فهل تستطيع أن تنكر عاطفة الجمال أو العاطفة الخُلُقية؟ فهي مشابهة لهما[٣].

ولكنّ العاطفة الدينية قد تنحرف أحياناً بحسب المؤثرات الخارجية، ولكنها إن التقت مع نور النبوة والتوحيد فإنها ستصل إلى السعادة البشرية التي يطمع بها كل إنسان، وهذا ما يريده علماء النفس وهو تخلص النفس من كل ما يحزنها، والشعور بالسعادة الإنسانية.

ج- علم الاجتماع الديني، (سوسيولوجيا الدين):

وهو علمٌ «يتعلق بدراسة الطابع الاجتماعي للدين، والطقوس، والشعائر الدينية العامة»[٤].

---

(١) قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ص٢٣ وما بعدها، دار القلم، القاهرة، والشرقاوي، حسن، نحو علم نفس إسلامي، ص٥-١١، تقديم عبد الحليم محمود ومصطفى محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.

(٢) دراز، محمد عبدالله، الدين، ص١٠٠.

(٣) صليبا، جمال، علم النفس، ص٢٨٨ -بتصرف-.

(٤) نفس المصدر، ص٨٦.

إنّ العاطفة الدينية تعتمد على عاملين أساسـيين، كمـا يقـول (ولـيم جـيمس): «الأول: الاجتماعي، وهو مجموع العبادات، والطقوس، والنظم، والثاني: العامل النفسي، وهو مجمـوع العقائد الوجدانية وما يصاحبها من التصورات والعواطف»[(١)].

يتفق الرأي عند علماء الاجتماع مع الرأي عند علماء النفس في كون الدين حقيقة ولـيس خيالاً أو ظنوناً، بل يؤكد علماء الاجتماع على أهمية الدين للفـرد والجماعـة علـى السـواء، فالعواطف الدينية ليست وهماً أو خيالاً، وإنما هي عبارة عن حقائق واقعيـة، فـالمؤمن يتـأثر بالحياة الاجتماعية، وهو بدوره يؤثر في الحياة بسبب عواطفه الدينية، فلقد بين علماء الاجتمـاع أن حياة الإنسان الابتدائي حياة دينية محضة حتى أن الحيوان متدين بالطبع، كل ذلك يدل علـى أن العاطفة الدينية عاطفة طبيعية حقيقة[(٢)].

لقد قام (دوركايم)[(٣)] دارسة الشعائر الطوطمية[(٤)] في استراليا وما تمارسه من طقوس دينية تشير إلى كائنات مقدسة تجعلها تدور حول أماكن وموضوعات مقدسة أيضاً، لذا اهتم (دوركايم) بدراسة الوظيفة الاجتماعية للدين، وحسب رأيه فإنها أساس الترابط والتضامن الاجتماعي، وذلك عن طريق المشاعر وتثبيتها للحفاظ على تماسك المجتمع وتضامنه، وهذا التضامن الذي يـؤدي إلى خلق وتجديد المجتمع[(٥)].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٨٨، وانظر: الشمري، هدى علي جواد، مباحث في علم الاجتماع الإسلامي، ص٢٧، ٢٠١١، دار المناهج، عمان.

(٢) القاضي، نصر الدين، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٢٠٨.

(٣) إميل دوركايم، ولد سنة ١٨٥٨ بمدينة إبينال بفرنسا حيث نشأ في عائلة من الحاخامين، وهو فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. يعتبر أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقـوم علـى النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره،في تقسيم العمل الاجتماع.http://ar.wikipedia.org .

(٤) تقع تحت دراسة انثروبولوجية.

(٥) القاضي، نصر الدين، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص٢١٣.

فعلماء الاجتماع لا يقررون أهمية الدين فحسب لتماسك المجتمع، بل يعتقدون أنه سبب في استمرارية المجتمع ووجوده، وحتى تجديد المجتمع أيضاً، وهو مغزى هذه الدراسة التي تركز على تجديد الدين وبالتالي يتجدد المجتمع بأسره ليصبح مجتمعاً راقياً يُساهم في إعمار هذا الكون، لا مجتمعاً سلبياً عالةً على هذا الكون.

ويخلص (دوركايم) من دراسته للتفسير الاجتماعي للدين، إلى أن الوظيفة الأساسية للدين تتمثل في تحقيق التضامن الاجتماعي وتدعيمه والمحافظة عليه، بل إنه يؤكد فوق ذلك كله على أنّ الدين سوف يبقى، طالما تحقق للمجتمع بقاؤه واستمراره[١].

إن الإسلام –وكما وضحنا سابقاً– يركز على أمرين أساسيين العقيدة والشريعة؛ وبذلك كان «متكاملاً في عقيدته وشريعته، فالعقيدة تفرض الوحدة الفكرية والشريعة تفرض الوحدة السلوكية والاجتماعية»[٢].

كما ويعتمد المجتمع في تفاعله على عوامل بيئية وثقافية وحضارية وسياسية واقتصادية، «ولكن العامل المعتمد هو المعتقدات والممارسات والمؤسسات الدينية، فالدين يعتمد على جميع العوامل الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تقود إلى ظهوره ونموه وتكامله، والدين لا يتأثر بتلك العوامل فحسب، بل يؤثر فيها جميعاً»[٣].

ولا أدلَّ على تأثير الدين بشكل أساسي من واقع المسلمين وحالهم قبل الإسلام وبعده، فلقد كانوا يعبدون الأصنام والحجارة، وكانوا يفعلون أموراً سلبية على المجتمع كالزنا والربا

---

(١) تيماشيف، نقولا، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ص١٧٧-١٧٩، ترجمة: محمود عود وآخرون، ط٦، ١٩٨٠، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

(٢) الشمري، هدى علي جواد، مباحث في علم الاجتماع الإسلامي، ص٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص٣١.

وغيرها، وكان العرب متفرقين متقاتلين يشعلون الحروب الطاحنة لأسباب عصبية وقبلية وغيرها من الأسباب التافهة، ولكن عندما جاء الإسلام أصبح العرب سادة الأمم، وما هي إلا سنوات قليلة حتى أصبحوا منارات للعلم والمجتمعات الأخرى تنهل من معينهم، ويتأثرون بهم في السلوك والعلم والفكر.. إلخ(١).

ولقد ضربت مثالاً على الدين الإسلامي، لأنه يمثل الدين الصحيح وبالتالي تأثيره الفعّال في المجتمع بشكل إيجابي، وقد يكون هناك تأثير سلبي بحسب الدين الذي يعتقده المجتمع فبقدر القرب من الحق يكون المجتمع أصلح فالقضية بين المجتمع ونموه وازدهاره وصلاحه من جهة، وبين الدين، قضية طردية، فكلما ارتقى الدين في وصوله للحق، ارتقى معه المجتمع بنفس القدر تماماً وكلما ضعف الدين وغيّر وبدل وحُرّف، كلما انخفض المجتمع وضعف.

لأجل ما سبق بيانه فنحن بحاجة ماسة لتجديد الدين، فالحال الذي نعيش يعكس حال الدين.

---

(١) الشمري، هدى علي جواد، مباحث في علم الاجتماع الإسلامي، ص٦٣-٦٥.

المبحث الثاني

التحدي العقدي غير المباشر

المطلب الأول: التحديات الداخلية:

إن التحديات التي تواجه الأمة كثيرة بحيث تكاد لا تحصى سيما التحديات الداخلية، وهي بالإضافة لكثرتها فهي متداخلة بشكل قد يكون معقداً نوعاً ما، فالسلوك للفرد والمجتمع يعتبر من أهم التحديات، ولكنّ السلوك لا يشمل النشاط الظاهري فحسب، بل يشمل غير الظاهر، أو غير المدرك، مثل التفكير والتخيل والتذكر، كما ويشمل ما في داخل النفس من دوافع، ورغبات، لا يشعر بها صاحبها[١]؛ وبذلك يمكن تفسير واقع المسلمين الذين يحبون إسلامهم ودينهم، ومتمسكون بعقيدتهم، ومع ذلك فسلوكهم يناقض ما يؤمنون به ويحبونه في كثير من حياتهم العملية.

إن هذا الخلل في التوازن ما بين السلوك والعقيدة سببه أن المسلم تقدم في مجال العلم، وتقهقر في مجال السلوك والأخلاق، ولا يمكن للإنسان أن يستقيم إلا إذا حدث توازن بين الجانبين العلمي والديني والعقيدة والسلوك والفكر والعمل[٢]، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[٣].

---

(١) غانم، محمد حسين، صراعاتنا الداخلية بين العقيدة والسلوك، ص١٠، ٢٠٠٣م، المكتبة المصرية، الإسكندرية.

(٢) انظر المصدر السابق، ص٢٠-٢١، -بتصرف-.

(٣) سورة العصر.

فالإسلام دين التوسط والاعتدال، فلن يربح الإنسان إلا إذا حدث التوازن الداخلي في نفسه أولاً، فعندها يحدث التوازن الخارجي، فالإيمان والعمل مقترنان، والتواصي بالحق والصبر أمر معنوي من حيث إنه تواصي، وحسي من حيث تطبيقه في الواقع.

إنّ الذي يُحدث التوازن هو مواجهة كل ما من شأنه أن يحدث خللاً في الوسطية والاعتدال، ويمكن الإشارة لهذه التحديات من خلال ما يأتي:

أولاً: القصور في معرفة سنن الله في المجتمع:

لله عز وجل سنن لا تتبدل، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾[1]، تلك السنن منها ما يتعلق بالمجتمع إذا سار عليها مسترشداً بنورها، أمن البقاء والمحافظة على كيانه، وإذا خالفها أصابه الانحلال والانهيار، وأجمل بإيجاز بعض هذه السنن التي يجب على المسلم معرفتها على النحو الآتي:

أ- هلاك المترفين:

من سنن الله عز وجل أخذ أهل البطر والغرور الذين يفسدون في الأرض، ويعصون الله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾[2].

«أي أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، وذلك بمخالفتهم أمر الله، وخروجهم عن طاعته ... فحق عليها القول، أي فوجب عليهم بمعصيتهم وفسوقهم فيها وعيد الله الذي أوعد من كفر وخالف رسله بالهلاك»[3].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، تفسير الآية ١٦ من سورة الإسراء، ج١٥، ص٤٣، ١٩٨٠، دار المعرفة، بيروت.

والسبب في ذلك «لأن الانغماس في مراتع الشهوات وإشباع الغرائز المنهومة يميت الشعور بالنخوة، ويقتل الإحساس بالعزة والغيرة، ويجعل الرذائل ميداناً للتنافس الفاجر، فلا يهتم أحد برفع رأسه إنكاراً لها بل يجد المجتمع في كبرائه المترفين من ينكر على من ينكر هذه الرذائل، وعندئذ تحق عليهم كلمة الله وتحل بهذا المجتمع عوامل الفناء»(١).

ب- شمول العذاب:

إن المجتمع إذا لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنه لا محالة سيشمله العذاب قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾(٣).

والإنكار يجب أن يكون على أي شخص أخطأ أو انحرف عن الجادة سواء وقع ذلك «من حاكم أم من صاحب ولاية أم من آحاد الناس أم من عامتهم أم من أصحاب الجاه والنفوذ»(٤).

---

(١) عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، ص٣٩، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، الدار السعودية للنشر والتوزيع.
(٢) سورة هود، الآيات: ١٦-١٧.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.
(٤) البهي، محمد، القرآن والمجتمع -بتصرف- ص١٣٨، ط١، ١٩٧٦م، مكتبة وهبة.

ج- سنة التغيير:

إذا أراد المجتمع أن يغير من هذا الحال، فلابد أن يعمل بسنة التغيير قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١]، فكل قوم إذا بالغوا في الفساد، وغيروا طريقتهم في إظهار عبودية الله تعالى فإن الله يزيل عنهم النعم، وينزل عليهم أنواعاًمن العذاب[٢].

وهناك تغيير من سَيء إلى أحسن يترتب عليه جزاء ونعمة وحسن من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٣]، وقد تكون هذه الحسنى في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[٥].

د- أن التنازع والاختلاف سبب للهزيمة:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٦].

«وليس ما نلاحظه اليوم من ضعف ووهن وذُل إلا ترجمة واقعية لسنن الله في المجتمع، وبالذات في المجتمع المسلم الذي أصبح في مؤخرة الركب وظهر عليه أعداء الإسلام، وما كان

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج١٩، ص٢٢، ط١، ١٩٣٨م، المطبعة البهية، مصر.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

ذلك ليحدث إلا بعد تفرق الشمل واتباع الهوى والسبل الضالة وعدم الاعتصام بحبل الله، حتى غدا المجتمع الإسلامي مجتمعاً هزيلاً ضعيفاً»[١].

هذه السنن من جملة سنن الله الكثيرة التي بينها ربنا عز وجل في كتابه ورسولنا عليه الصلاة والسلام في خطابه[٢]، لا تتبدل ولا تتغير، فالواجب على المسلم أن ينتبه لهذه السنن ويتغير هو، ولا ينتظر سنن الله أن تتغير فالله يقول: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[٣]، يؤكد ذلك الله عز وجل ليبين للإنسان أمرين:

الأول: أن يستضيئ بهذه السنن في حياته وأن يكون على ثقة تامة بها.

الثاني: أن يغير من نفسه إذا حدث خلل معين.

أما المجتمع فهو مقصر تماماً في إدراك حقائق السنن ودراستها وتوضيحها وإرشاد الناس لها، وذلك من إيجاد مواد خاصة في بيان سنن الله من خلال الجامعات والمعاهد أو الكتب والمجلات أو القنوات الفضائية والعمل على إنشاء مراكز خاصة مهتمة في استخلاص سنن الله وكيفية الاستهداء بها.

ثانياً: القصور في فهم العقيدة:

إن العقيدة الإسلامية لهي الأساس التي يبنى عليها النظام الأخلاقي والأساس الفكري لعقلية المسلم والأساس النفسي لسلوكه ومنها تنبثق نظرته إلى الحياة الاقتصادية والحياة السياسية[٤].

---

(١) المشوخي، عبد الله سليمان، مجتمعنا المعاصر، أسباب ضعفه ووسائل علاجه، ص١٢٥، ط١، ١٩٨٧م، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

(٢) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص٧، مؤسسة الرسالة، فقد أفاد وجمع في هذا الكتاب نفائس يحسن الاطلاع عليها.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤٣.

(٤) المبارك، محمد، نظام الإسلام، العقيدة والعبادة، ص٢١-٢٢، ط٦، ١٩٧٧م، دار الشروق.

كما ولها تأثيرٌ كبيرٌ في علاقة أفراد المجتمع بعضه مع بعض، وحتى علاقة المجموعات وترابطها وسلوكها.

ولكن عندما ننظر إلى مجتمع اليوم نجده مختلفاً في كثير من صفاته وخصائصه عن مجتمع الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا الاختلاف من أهم أسبابه مفهوم العقيدة وبالتالي أثر المفهوم على الأفراد والجماعات.

فمفهومنا اليوم للعقيدة على أنها مناقشات فلسفية وكلامية عند الخاصة ومزيج من العقيدة الصحيحة والخرافات والأساطير عند العامة[١].

أما عند الخاصة فإنهم يطرحون قضايا لم يكن الجيل الأول يطرحها وإذا طرحها فسرعان ما يغلق بابها، لأنه يعلم أنها مفسدة وليست مصلحة كمسألة القضاء والقدر.

إن كثيراً من الخاصة يقحمون أنفسهم في بحث مسائل لا يعلم كنهها إلا الله فهي إما أمور غيبية في ذاتها أو غيبية في كيفيتها كمسألة الصفات مثلاً، فيتطرقون لبحث مواضيع لم تفصل في الكتاب، ولا في السنة ولم يتكلم بها سلف الأمة، وإنما هي من قبيل الخوض بالظن والأقيسة العقلية الظنية، ومن المعلوم أن التكلم في الذات أو الصفات، لا يجوز بالظن بل لابد من القطع به، بالأدلة السمعية الصحيحة.

إن الواجب علينا في مثل هذه الأمور الغيبية أن نقف عند حدّ النصوص كما فعل علماؤنا من غير سؤال عن كيفيتها، فلما سألوا عن الاستواء قالوا: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[٢].

---

(١) المبارك، محمد، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص٥٤، ط٥، ١٩٨٠م، دار الفكر، بيروت.

(٢) ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، ص١٢٨، ط٦، المكتب الإسلامي.

ولقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره»، وقال: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا»[(١)].

إنّ هذا لا يعني بحال أن نحجر عقولنا عن التفكير والخوض في معرفة الأشياء، بل هو توجيه للعقول لصونها عن الضلال والتيه، وليس لأحد أن يجادل في ذلك بعد هذا التقدم العلمي الهائل الذي نعيشه، فالعلماء يوضحون أن ثمة أموراً لا يمكن للعقل أن يدركها بحال من الأحوال، كحقيقة الكهرباء والقوى المغناطيسية إذا كان هذا فيما للعقل جواز النظر فيه وهي المخلوقات فكيف فيما ليس للعقل جواز النظر فيه وهو الخالق سبحانه وتعالى[(٢)].

وأما العامة فقد وقعوا في كثير من الغلط في العقيدة في اعتقادهم مثلاً أن ثمة من يعلم الغيب ويتعلقون بأشخاص وأشياء وهمية لا تضر ولا تنفع.

قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[(٣)].

وقال تعالى عن السحر وضرره: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[(٤)].

أو ينظرون إلى الآيات من جانب وينسون الجانب الآخر.

فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾[(٥)]، فيقول لا داعي للعلاج لأن الله تعالى سيشفيني، أما سمع قول النبي ﷺ: «يا عباد الله! تداووا فإن الله لم يضع داء إلا ووضع له شفاء أو قال دواء، إلا داء واحداً، قالوا: يا رسول الله! وما هو؟ قال: الهرم»[(٦)].

---

(١) السيوطي، جلال الدين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح: عبد الرؤوف المناوي، ج٣، ص٢٦٢-٢٦٤، ط١، ١٩٣٨م، مصر.

(٢) المشوخي، عبد الله، مجتمعنا المعاصر، ص١٣٢.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٨٠.

(٦) الترمذي، السنن، ج٤، ص٣٨٣، ط١، ١٩٣٧م، مطبعة البابي الحلبي وأولاده.

وأما في اعتقاد الخاصة والعامة فمنهم مَنْ فهم الإسلام على أنه ما جاء إلا ليكفر النـــاس، ويستبيح الأموال والأعراض مع أن علماءنا الأفاضل قديماً وحديثاً حذرونا من مثل هذا الــشيء فقال الغزالي رحمه الله تعالى ورضي عنه: «والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه، الاحتراز مـــن التكفير ما وجه إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة مـــن دمٍ مسلمة»[(١)].

كذلك: «لا نشهد عليهم أهل القبلة بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء مـــن ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى، وذلك لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم»[(٢)].

فالواجب علينا كأفراد أن نتعلم موانع التكفير والاطلاع على كلام العلماء في التحذير مـــن ذلك، والاهتمام بما ينفع المسلمين، وأن نطلع على سيرة النبي ﷺ، ما كان همه إلا دعوة الناس وهدايتهم ولم يكن همه الحكم عليهم وتكفيرهم.

إنها فتنة جاءت لتشغل الناس والمسلمين عن القيام بواجباتهم، وإلا قد وجد في زمن الرســـول عليه السلام منافقون وكافرون، فماذا فعل لغير المحاربين منهم؟ وفي حال استضعافه ماذا كان يفعل مع من يعتدي عليه؟ إننا بأمس الحاجة لفقه واقعنا ومعرفة أولوياتنا وماذا نقدم وماذا نؤخر.

فليست مشكلتنا من المؤمن ومن الكافر، بل مشكلتنا كيف نتعامل مع كـــل مـــن المـــؤمن والكافر.

---

(١) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص١٥٧.

(٢) شرح الطحاوية، ص٤٢٧.

كما يجب على المجتمع ككل من علماء ودول أن تواجه، مثل هذه الانحرافات بمهنية عالية، وبيان أخطاء الدول والحكومات والقيام بعمليات الإصلاح التي إن لم تقم بها، تسببت في إيجاد مثل هذه الأفكار.

كما يجب وضع الدراسات والمعاهد الخاصة والاهتمام بالعلماء وطلبة العلم، بغض النظر عن ميولهم الفكرية، ليصبح هناك سعة فكرية، ليست معتمدة على بعض الجماعات دون الأخرى، فكل يصيب ويخطئ.

ثالثاً: قصور مفهوم العبادة:

إن من أخطر ما تعرض له المجتمع الإسلامي من تحدٍ، هو مفهوم العبادة مما انعكس سلباً على فكره وسلوكه، فثمة انحراف واضح في مفهوم العبادة عند المسلمين، فالمتأمل في واقع المسلمين اليوم يجدهم يحملون أسماء الصحابة، ولكنّ الأفعال أفعال من لا يقم لله وزناً في حياته.

فتجد شعائر خالية من المضمون، لا تؤدي الحكمة التي شرعت من أجلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[١]، إن كثيراً من المصلين اليوم لا يرتكبون الصغائر فحسب، بل يتجاوزونها إلى حد الكبائر وآخر تجده صائماً في رمضان، يعمل من المعاصي دون حسبان لحرمة رمضان.

كل ما ذكر من أمراض وغيرها الكثير مما يعجز الإنسان عن الإتيان بأمثلة عليها فضلاً عن أن يحصرها سببه عدم الفهم الصحيح لمفهوم العبادة، فالعبادة «اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة»[٢]، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) سبق توثيقه.

الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك عبادة(١).

وما هدفنا في هذه الحياة إلا لعبادة الله تعالى وذلك يتجلى بأشد صور القصر حيث قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٢)، فالنفي والإثبات يدل على أشدّ صور القصر، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾(٣).

حتى أن الفقهاء فرقوا بين نوعين من الأحكام، **النوع الأول:** يضم الصور والكيفيات المحددة التي شرعها الله تعالى ليتقرب عباده إليه بأدائها، فالشارع هو المنشئ لها والآمر بها، وليس للعباد فيها إلا التلقي والتنفيذ.

أما **النوع الثاني:** فهو يشمل الأحكام التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض في حياتهم ومعايشهم ومبادلاتهم، فهذه العلاقات لم ينشئها الشرع، بل هي موجودة قبله، ومهمة الشارع هنا: أن يُعدلها، ويهذبها ويقر الصالح منها والنافع ويمنع الفاسد والضار(٤).

والخلاصة أن الحياة كلها..عبادة، يجب أن تكون لواحد أحد هو الله تعالى.

ولقد وجه الإسلام المسلم إلى الزهد الحقيقي، وعدم التطرف في مفهوم الزهد فقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾(٥).

---

(١) ابن تيمية، العبودية، ص٣٨، ط٢، ١٣٨٩هـ، المكتب الإسلامي.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.
(٤) القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، ص٦٩-٧٠، ط٨، ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، -بتصرف-.
(٥) سورة القصص، الآية: ٧٧.

وإن الناظر لسيرة الرسول ﷺ ليتعلم منه معنى العبادة في مفهومها الشامل والعام، وهذا ما نحتاج إليه في تربية أجيالنا على معنى العبادة، ليتغير ما ترسب إليهم من معنى مقصور على الشعائر دون غيرها من صور الحياة.

رابعاً: التهاون في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من الأسباب التي أدت إلى إضعاف المجتمع الإسلامي، وشكلت له تحدٍ خطير، هو تهاونهم في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أن الأمة الإسلامية قد اختصت بهذه الخاصة وبها نالت درجة الخيرية.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١)، ولقد وصف الله عباده المؤمنين في معرض مدحهم بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٢).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾(٣).

وهو سبب في إنقاذ المجتمع والوصول به إلى أرقى الدرجات من الفلاح والنجاح.

ومما «يدل على ذلك إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة والآيات والأخبار والآثار»(٤)، أن «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهمة الذي ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة التوبة، الاية: ٧١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص٣٠٦، دار المعرفة، بيروت.

واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد»[(١)].

رحم الله الغزالي فلقد وصف حالنا في أدق وصف وكأنه ينظر إلى الغيب من غشاء رقيق، فاليوم «نعتز بكل معصية ونشق طريق كل منكر ونرى كل ما يدعو إلى الكفر بعين ملؤها غبطة، فإن اعترض عليه أحد أو أنكر عليه يعتبر رجعياً، فمن يستحقون الطرد والحبس، لأنهم يعوق المجتمع عن التقدم، ويحولون دون طريقه إلى النهضة والمدنية»[(٢)] إلا من رحم الله من القلّة الباقية.

لذا فعلى المسلم أن لا ينتظر حتى يأمره أحد غير الله فيرشده إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لابد من الحكمة في التعامل مع الآخر فإن ذلك لا يتناقض مع واجب الأمر بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[(٣)]، فالاهتمام شيء وأخذ الحكمة والتمهل شيء آخر، فإنه قد يكون أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر منكر في حد ذاته إذا ما أدى إلى منكر أعظم منه وأكبر.

ويجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل العلماء أمر بتوجيههم، وعدم الإنكار فيما اختلف فيه من الآراء وإلا لأصبح تعصباً، وهذا هو واجب المجتمع والدولة بشكل عام.

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٦.

(٢) الكاندهلوي، محمد زكريا، أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة، ص١٧، ط٦، ١٩٨١م، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

خامساً: التهاون في الجانب الخُلُقي:

لا شك أن موضوع الأخلاق له دور كبير في تماسك المجتمع وقوتــه وإن مــن أخطــر التحديات التي يواجهها المجتمع الجانب الأخلاقي بين الأفراد أو الجماعات على حد سواء.

إننا عندما نذكر الإسلام نتذكر الأخلاق والعكس صحيح، فالإسلام مقترن بالأخلاق، لأن نبينا ﷺ يمثل قمة هرم الأخلاق الفاضلة فالله عز وجل وهو أصدق القائلين قال في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [1]، بل إن الله سبحانه وتعالى حث نبيه على التمسك بالأخلاق الحميدة، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[2]، وتكلم الله جل جلاله عن أخلاق المجتمع وأرشدهم إلى التعاون النافع فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[3]، وإذا أردنا أن نعنون لسورة الحجرات، فإننا نستطيع أن نقول إنها سورة الأخلاق فأي مجتمع يقوم بأخلاق سورة الحجرات ما عساه أن يفعل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[4]، وأما سورة الفرقان، فهي سورة الإرشاد الفردي التي تجتمع مع سورة الحجرات لتكون مجتمعاً نموذجاً بين المجتمعات، وهذا ما حدث في عصر النبوة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٤) سورة الحجرات، الآيات: ١١-١٢.

لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾[1].

إن الإسلام «يمنحنا مرجعاً ثابت الأركان يزودنا بالتعاليم الخُلقية في كل حال وزمـــان، ألا وذلك المرجع كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وهذه التعاليم ترشدنا إلى الطريق الأقوم وتضيء لنـــا الخطة المستقيمة في كل شأن من شؤون الحياة، من أتفه المسائل البيئية إلى المـــسائل الـــسيادية الدولية العظيمة ومشاكلها الخطيرة، ونجد فيها انطباقاً متسعاً لأصول الأخلاق على شؤون الحياة المختلفة لا نحتاج بعده في مرحلة من مراحل الحياة إلى وسيلة للعلم أخرى»[2].

فالقرآن هو من أهم ما يمكن أن نواجه به كافة التحديات وخاصـــة التحـــدي الأخلاقـــي، فالمسلم عليه قراءة القرآن وفهمه وتطبيقه ومعرفة تفسيره وأسباب نزوله ومناسبات آياته.

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣-٧٧.

(٢) المودودي، أبو الأعلى، نظام الحياة في الإسلام، ص١٤، مؤسسة الرسالة.

أما المجتمع فدوره كبير في إثابة صاحب الأخلاق الحميدة ومعاقبة سيئين الخلق، ونبذ السيئ ومعاقبته، وجعل الدور الخاصة التي تعمل على نشر الفضيلة وتوضح مخاطر الرذائل وآثارها المسيئة، وترتيب كل ذلك للنهوض بالمجتمع ككل، فبالأخلاق تكون الأمم.

سادساً: الغلو والتطرف:

الغلو في اللغة من غلا في الأمر يغلو غلواً أي جاوز الحد، وغلوت بالسهم غلواً إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه[١].

واصطلاحاً هو: التشدد في الأمور ومجاوزة الحد الطبيعي في كل شيء وأشد ما يكون ذماً إذا كان في الدين[٢].

والتطرف هو: مجاوزة الاعتدال في الأمر ولزوم طرفه بعيداً عن جمهور الأمة ومنهجها الوسط[٣].

إننا عندما نذكر أمر الغلو والتطرف فإننا نقع بين أمرين؛ **الأول:** الاتهامات من الأعداء في مواجهة الإسلام، **والثاني:** الحقيقة التي نعيش بين بعض أفراد المسلمين ممن يمثلون ألواناً من التطرف والغلو.

لقد ناهض رسول الله ﷺ الغلو منذ البداية للعهد الإسلامي فترك البيت الحرام على ما هو عليه، ولم يرجعه إلى قواعد إبراهيم عليه السلام، مخافة الفتنة والغلو في الأمر من قبل أناس جدد

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، تاج اللغة وصحاح العربية، ج٦، ص٢٤٤٨، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة غلا.

(٢) الإبراهيمي، موسى إبراهيم، الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر، ص٢١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٢.

في الدين هم قريش[١]، فإن هذا يدل على سماحة النبي ﷺ والعمل على جمع الصفوف ومناهضته للغلو[٢].

وكانت هذه السماحة النبوية من منطلق قرآني فقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣].

إن الإرهاب الذي يطلق عليه الغرب حيناً مصطلح الأصولية، ويعني بها التطرف والغلو الإسلامي، والإسلام يبرأ إلى الله تعالى من كل هذه المفاهيم المغلوطة، هذا الإرهاب مرفوض ومبغوض ومنهي عنه شرعاً[٤]، وهذه الإجابة بالجملة لمفهوم الإرهاب وإلا فقد كتب في ذلك كُتّاب كثيرون في معناه ومفهومه وأسبابه وعلاجه وليس هنا مكانه، لأن المقصود واضح في كلامنا وهو بمعنى التطرف، وهو ما نهى عنه الشرع[٥].

إن التحدي القائم في مسألة الغلو والتطرف في الأمر الأول، وهو اتهام الإسلام به، فإننا نرد بأن ذلك مجرد اتهام نابع من الحقد والكراهية لأن الإسلام دين الوسطية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٦]، «فلا مكان في ديار الإسلام للغلو والمغالاة أو التطرف والانجراف إلى الإرهاب الفكري أو الحسي، لأن الحضارة

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٣، ص٣٣.

(٢) ندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، ج١، ص٢٨٧، ١٩٩٧م، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٤) ندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، ج١، ص٢٨٧، ١٩٩٧م، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين.

(٥) عبد الجبار، عادل، الإرهاب في ميزان الشريعة، والقرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، وغيرها من الكتب.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

الإسلامية تخضع لوسطية الإسلام باعتبارها من أبرز خصائصه، فالمنهج الإسلامي يعتمد الوسط في كل شأن من شؤون الحياة بلا إفراط أو تفريط ولا يكتفي بأن تكون الوسطية مجرد قناع، أو مظهر شكلي للحضارة، وإنما يحذر من المصير إلى مآل المغالين أو المقصرين»(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً(٢)، لتأكيد هذا المعنى.

والأحاديث كثيرة في النهي عن الغلو والتنطع والمتنطعون هم المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم(٣).

إن الإرهاب ثمرة للغلو والتطرف ولكن ينبغي علينا أن نؤكد على ضرورة الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية، لأن الشخص الذي يقل زاده من التدين علماً وعملاً، أو عاش في محيط لا يبالي بمحارم الله تعالى، يعتبر كل تمسك بالدين تطرفاً وغلواً، بل يتهم كل من يتمسك بالإسلام، ويتقيد بالتقوى دون إفراط أو تفريط بأنه متطرف أو إرهابي أو غير ذلك(٤).

إننا نعني بالتطرف المبالغة باستعمال بعض الأحكام، وإلزام الناس بها، وهذا هو الذي يؤدي إلى الركون إلى مسالك الإرهاب الفكري أو الحسي.

فلابد إذن من تكثيف الحملات وإزالة اللبس بين التمسك بالدين وبين التطرف، وعدم إلقاء الكلام على عواهنه ومحاسبة من يتهم الآخرين بالإرهاب دون بينة واضحة، يتفق العلماء

(١) ندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، ج١، ص٢٩٥.

(٢) صحيح مسلم، باب الغلو.

(٣) القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص٢٥، ط١، ٢٠٠١م، دار الشروق، القاهرة.

(٤) الدبو، إبراهيم وآخرون، الإسلام وقضايا العصر، ص٤٥-٦٥، ط١، ٢٠٠٠م، دار المناهج، عمان، الأردن.

على أنها حالة إرهابية وليست دفاعية، والتحري من تعمد تلك الحالة حتى لا تقع في مخاطر العلاج الخاطئ.

سابعاً: التفرق والاختلاف:

لقد أشار النبي ﷺ بأن الأمة ستفترق فقال عليه السلام: «**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملةً، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين ملةً** -يعني: الأهواء- **كلها في النار إلا واحدةً، وهي الجماعة**»[1].

وهناك أكثر من رواية للحديث، تصل في مجملها إلى الصحة كما ذكر غير واحد من العلماء[2]، ولكن مرادنا هو البحث في سبب الافتراق وكيف نستطيع أن نواجهه؟ لأنه يمثل تحد واضح للمجتمع المسلم.

وهنا نشير إلى بعض أسباب الاختلاف على النحو الآتي:

أولاً: البغي والظلم من خلال الإيمان ببعض النصوص والصد عن بعضها الآخر بحجج واهية.

قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾[3]، فالحديث ذكر ما لهم جزاء في الآخر كلهم في النار إلا واحدة، والآية ذكرت ما لهم جزاء في الدنيا، والأمة تعيش واقع الخزي.

---

(١) عون المعبود، ج١٢، ص٣٤٠-٣٤٢، وهو حديث حسن: أخرجه أحمد ج٤، ص١٠٢، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي (٢٥٢١)، والحاكم ج١، ص٢١٨، والطبراني في «الكبير» ج١٩، ص٣٧٦، ٣٧٧).

(٢) انظر: سلام، أحمد، ما أنا عليه وأصحابي، دراسة في أسباب افتراق الأمة، ص٩-١١، ط١، ١٩٩٥م، دار ابن حزم، بيروت.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

وقال تعالى عن النـــصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [1]، فترك الدين أو جــزء منــه يسبب الاختلاف.

ثانياً: الإعراض عن السنة الشرعية واتباع الشهوات:

إن السنة الماضية في الأمم، أن الأمة التي تعرض عن منهاج السنة الـشرعية تـصيبها قوارع السنة الكونية القدرية[2].

فالأعمال تنعكس انعكاساً مباشراً على حال الناس قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾[3]، وهل هناك أعظم من مصيبة الافتراق؟

ولقد أخبر سبحانه عن الذين اتبعوا الشهوات فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[4]، فاتباع الشهوة تحدث الفرقة والاختلاف لأن مصير متبع الشهوة كمصير الذين اختلفوا وتفرقوا.

ثالثاً: اتباع الشبهات، فهؤلاء هم أهل البدع، لأن المبتدع مفتر على الله مخالف لأمر رسـوله من أجل هواه[5].

قال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[6].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٤.
(٢) سلام، أحمد، ما أنا عليه وأصحابي، ص٩-١١.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٤) سورة مريم، الآية: ٥٩.
(٥) سلام، أحمد، ما أنا عليه وأصحابي، ص١٣٤.
(٦) سورة النور، الآية: ٦٣.

ومن أهم التحديات التي تواجه الأمة في هذا الافتراق، هو افتراق الاجتهاد الذي يبني عليه بعضهم آراءه بحيث يجعلون من خالفهم الرأي من الاثنتين وسبعين فرقة الذين في النار، لأنهم لا يوافقونه الاجتهاد في مسائل جعل الشرع مجال الاجتهاد فيها واسعاً وضوابط ذلك فيما يلي:

أ- إن أصول الدين وأركانه وأسسه مسائل متفق عليها بعيدة كل البعد عن الخلاف وإلا فالاختلاف فيها هو المذموم، فلا خلاف في أركان الإيمان وأركان الإسلام، وأمهات الفضائل.

ب- إن اختلاف وجهات النظر لا بأس به، فلقد وجد في عصر النبوة حيث قال رسول الله ﷺ: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ، فلم يعنف واحداً منهم**»[١].

ولم يؤد ذلك للتنازع والفرقة والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[٢].

إن الاختلاف قسمان: قسمٌ ممدوح حث عليه الدين وقسمٌ مذموم حذّر منه الشرع ونهى عنه، وكما وضّحنا ينبغي التمييز ونشر الوعي بين المسلمين حتى لا يتفرقوا وتتسع صدورهم لاحتمال الآراء الأخرى، ذلك لأن في القسم الأول ازدهار لحركة الاجتهاد والفقه وبيان مرونة الإسلام، بينما الآخر فيه عداوة وبغضاء، لأنه مبني على باطل.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص١٤٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٢) المصدر السابق، ج٩، ص١٣٣.

المطلب الثاني: التحديات الخارجية:

أولاً: الاستشراق:

الاستشراق هو «تعلم علوم الشرق وتلك كانت بدايته، وكانت بعد أن فتح الغرب عينيه مع الفتح الإسلامي أو على الفتح الإسلامي، وبعد انتقال حضارة المسلمين وعلومهم إلى الغرب، في جامعات: قرطبة، وطليطلة، وصقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط»[١].

ولا شك أن الذي يقوم بهذا التعلم نفر من الأشخاص يقصدون تعلم الإسلام إما بحثاً عـن الحق -كما يظن في بدايته- أو طلباً في محاربة الإسلام وأهله[٢].

كما يمكن لنا أن نعرفه بأنه العلم الذي يدرس لغات الشرق وتراثهم وحضاراتهم ومجتمعـاتهم وماضيهم وحاضرهم، ويدخل في معنى الشرق أية منطقة شرقية، لكن المصطلح يعني هنا مـا لـه علاقة بالدراسات العربية أو اللغات التي تؤثر فيها العربية كاللغات الفارسية والتركية[٣].

إن من أهداف المستشرقين أهداف علمية وأخرى صليبية ومنها ما هو دفاعي[٤].

فقد كانوا يقصدون إلى حدٍ ما، الحقيقة سيما في البدايات ثم استخدم الاستشراق في حملات التبشير ثم أراد بعض المستشرقين مواجهة المدِّ الإسلامي الذي كان يغزوهم في عقر دارهم من خلال تشويه صورة الإسلام والمسلمين[١].

---

(١) جريشة، علي، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص١٧، ط١، ١٩٨٦م، دار الوفاء، المنصورة.

(٢) المرجع السابق، ص١٩، -بتصرف-.

= لقد وجد من المستشرقين من كان منصفاً سيما في بداية الاستشراق أمثـال (جوتيـه) الـشاعر الألمـاني و(جرينيه) عضو مجلس النواب الفرنسي، انظر: محمود، عبد الحليم، أوربا والإسلام، ولا يخفى علينا رجاء (رجيه) جارودي، سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي.

(٣) الساموك، سعدون، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، ص١٣، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، دار المناهج، عمان.

(٤) المرجع السابق، ص١٩-٢٠.

ولقد استخم المشترقون طرقاً مباشرة وغير مباشرة، للنيل من عدوهم الإسلام، فالمباشرة كالكتابة، والمحاضرة، والإذاعة، والتلفزيون.. الخ.

وأما غير المباشرة فمن خلال تلاميذ المستشرقين بحيث فاق التلاميذ أساتذتهم في أداء المهام الملقاة على عاتقهم[٢].

ونلحظ مما سبق ارتباط الاستشراق بدراسة الإسلام، فهم لا يدرسون الشرق لأنه شرق فحسب، بل لأنه مركز الإسلام وأهله وهم العرب وغيرهم ممن ارتبط بالعرب برابط الدين، فدراستهم توحي بالتحدي لأنها غير معلنة بشكل صريح وواضح في كونهم يدرسون الإسلام وعلومه.

ليس معنى ذلك أنه لا يمكننا أن نتعامل مع المستشرقين أو أن ننظر إلى الاستشراق برؤية أحادية الجانب، فسواء رضينا بهم أو لم نرضَ بهم فهم موجودون يؤدون واجباتهم تجاه شعوبهم.

فهم –كما وضحنا– لهم غايات كثيرة في دراساتهم، وبغض النظر عن غاياتهم وأعمالهم لا بد لنا أن نعرف ما هو الموقف الصحيح تجاههم؟ وهل يمكن لنا الإفادة من جهودهم؟ لعلّ بعضهم يلقي الشبهات للتشكيك فحسب، وقد يكون بعضهم مُغرّر بتلك الشبهات، ولا يعرف حقيقة الأمر تماماً، فلماذا لا يكون لنا مراكز خاصة لدراسة تلك الشبهات بل تعليم من أراد العلم، على الطرق الصحيحة والمناهج السليمة بحيث نضمن عدم انحرافه سواء في الفهم أو في الوصول إلى المعلومات التي سيبني –في المستقبل– عليها نتائجه.

---

(١) الفيومي، محمد إبراهيم، الاستشراق رسالة استعمار، ص١٥٨ وما بعدها، ١٩٩٣م، دار الفكر العربي، مصر.

(٢) أحمد، محمد بهاء الدين حسين، حقيقة الاستشراق وموقفه من الإسلام، ص١٤٣-١٦٧، ط١، ٢٠٠٣م، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

بل إن المسلمين لا زالوا حتى اليوم يفيدون من كتب المستشرقين –التي ألفت للمستشرقين خاصة– ويعتمدون عليها للوصول إلى نتائج صحيحة في أبحاثهم كاستفادة المحدّثين مـثلاً مـن كتاب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي يوضح مظان الحديث في عملية تخريج الأحاديـث والتحقق من صحتها.

ومن جهة أخرى فلماذا لا ندرس الغرب، كما هم درسوا الإسلام، ونضع لهم الحلول لعلهم يوماً يطبقون ما نوصي به، فيرون نفعه، فيعلمون أن الدين الإسلامي هو دين الحق، وليس هـذا فحسب بل يقلُّ الفساد في الأرض، ولا ينتشر، وعندها تكون الظروف مهيأة للخطاب الإسـلامي بصورة أسهل وأنفع، عندها سيخرجون من تأثيراتهم العاطفية على مناهجهم العلمية التي بسببها حدثت الأخطاء والثغرات المنهجية وما حدث لها من مبالغـة فـي الـشك والافتـراء والنفـي الاعتباطي واعتماد الضعيف الشاذ[١] لمحاربة الإسلام.

قـال تعـالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[٣].

لقد درس المستشرقون من جملة ما درسوا قضايا العقيدة الإسلامية ووضعوا الـشبهات أو التصورات المبنية على كثير من الغلط، لذا فلابد من مواجهة هذا التحدي بأساليب جديدة وحديثة يكون فيها نقد للاستشراق وهذا النقد يقوم على أصول أساسية هي:

أولاً: استيعاب شامل للإنتاج الاستشراقي في مختلف المجالات الإسلامية[٤].

---

(١) انظر: بهاء الدين، أحمد محمد حقيقة، الاستشراق وموقفه من الإسلام منذ ظهوره إلى نهاية الألفية الثالثـة، ص١٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٤) للنظر في تحقيق ذلك الاستيعاب ومعرفة المزيد، انظر: السايح، أحمد عبد الرحيم، الغـزو الفكـري فـي التصور الإسلامي، ص٦٧ وما بعدها.

ثانياً: نقد المنهج الذي التزم به المستشرقون في معالجة قضايا العقيدة الإسلامية وذلك قبل الأمور الفرعية والتفاصيل الجرئية حتى يتم معالجة الأمر من جذوره.

ثالثاً: نقد الأخطاء نقداً علمياً، بعيداً عن النزعات الهجومية، حتى يظهر الأثر الإيجابي لهذا النقد وبالتالي ينعكس على الباحثين من مسلمين وغير مسلمين، وفي ذلك تعريف بالإسلام لكل راغب.

رابعاً: إظهار نقد المستشرقين بعضهم بعضاً، لأن في ذلك أبلغ ردّ ويعتبر بمثابة ثروة مفيدة للمسلمين.

خامساً: إثبات مصادر المستشرقين التي يعتمدون عليها، فهم كثيراً ما ينقلون عن بعضهم البعض أو يعتمدون على مصادر غير أصلية في العقيدة مثل كتاب ألف ليلة وليلة أو كليلة ودمنة وغيرها.

سادساً: إظهار الأخطاء العلمية واللغوية والتاريخية، التي وقع بها المستشرقون بسبب جهلهم أو سوء فهمهم أو ضيق نظرهم أو شطط في الافتراضات.

سابعاً: أن يعتمد المسلمون منهج النقد العلمي بالاستدلال النقلي والعقلي، فإن النقلي يخاطب به المسلمون حتى لا يخدعوا بشبه المستشرقين والعقلي يوجه لغير المسلمين الذين قد لا يعترفون بالأدلة النقلية.

ثامناً: التفرغ التام لعلماء الأمة المتخصصين في نفس المجال للقيام بكل ما تم من التواصي به.

تاسعاً: الجدية في العمل والإخلاص في الجهد من خلال اختيار أفاضل العلماء الذي يجمعون من الصفات ما لا يتوفر في غيرهم حتى تتم عملية النجاح لهذه المواجهة(١).

---

(١) السايح، أحمد عبد الرحيم، الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص٦٧-٧٤، -بتصرف، مجلة الأزهر المجانية، ١٤١٤هـ، رئيس التحرير علي الخطيب.

ثانياً: التنصير:

ويقصد بالتنصير «تعليم الدين المسيحي ونشره»[١] وتحويل المسلمين على وجه الخصوص إلى حالة شك.

لأن التنصير لا يهدف إلى جعل من كان غير نصراني نصرانياً فحسب، بل إنّ من جهوده تحويل المسلمين –على وجه الخصوص– إلى حالة شك وريب، دون الدخول في النصرانية، فهذا بحدّ ذاته يعتبر هدفاً لبعضهم، وإن كان بعضهم صادق في دعوته إلى النصرانية[٢].

وبصرف النظر عن هذا أو ذاك فإنّ التنصير يعتبر تحد كبير في مواجهة الإسلام، فهو ينظر إلى الإسلام على أنه منافس قوي، وبالتالي فإنه سيستخدم جميع الوسائل لإيقاف الإسلام عن تقدمه، وذلك من خلال المدارس والمستشفيات والدعوات الإنسانية.

لذا فإننا نجد أحد كبار المنصرين يصرح بأن القضاء على الإسلام في مدارس المسلمين هو أكبر واسطة للتبشير كما يصرح بأنه لا يريد من المسلمين أن يكونوا مسيحيين، لأن هذا شرف لا ينبغي أن يكون للمسلمين –على حد تعبيره–، وهذه أسمى الغايات الاستعمارية[٣].

وأما عن أهداف التنصير فهي كثيرة فمنها «إخراج المسلمين والعرب من القيم التي تدفعهم إلى الحرية ومقاومة النفوذ الأجنبي مع العمل على صهرهم في الأممية أو العالمية والحيلولة دون إقامتهم لمجتمعهم الخاص المستمد من قيمهم وتاريخهم ولغتهم وأديانهم»[٤].

وبالتالي يجتمع التنصير مع الاستشراق ومع الاستعمار في مواجهة الإسلام.

---

(١) جريشة، علي، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨ وما بعدها، ولقد أكد ذلك زويمر في خطاباته.

(٣) إشارة إلى كلام زويمر، انظر: الجندي، أنور، أصالة الفكر الإسلامي، ص٧٨، دار الفضيلة، القاهرة، والمسيول، شاتيلهن الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب، ص٩، مكتبة أمانة ابن زيد، بيروت.

(٤) الجندي، أنور، أصالة الفكر الإسلامي، ص٧٩.

وأما عن كيفية التجديد في مواجهة التنصير، فهو في معرفة الإسلام وفهمه فهماً صحيحاً.

فهم وإن كانت تلك أهدافهم، واستخدموا لتلك الأهداف كافة الوسائل والطرق، فإنه يجب أن نصرح بأن الإسلام أعظم من فكرهم وغاياتهم، فالإسلام لا يرفض التعددية، لأن أحكامه وتشريعاته تتجلى فيها التعددية، بل يعتبر التعددية أصلاً بين الناس، ولكن هناك كثيرون يحاولون طرح قضية الصراع الحضاري[١]، والذي كان للإسلام بديلاً عنه، وهو سنة التدافع، فالإسلام لا يؤمن بحالة السكون بين الحضارات حيث إن السكون يؤدي إلى الموت، وربما يؤدي إلى التبعية والتقليد الذين يسببان الواحدية والمركزية العالمية، فكان لابد من التدافع وهو حراك اجتماعي وثقافي وحضاري، وبعبارة أخرى هو تنافس وتسابق بين الحضارات، يعدّلُ المواقف الظالمة، والممارسات الجائرة، والعلاقات المنحرفة، دون صراع يقضي على الأطراف الأخرى، وبالتالي عدم التعددية.

هذه هي فلسفة الإسلام في التوازن بين الحضارات من خلال سنة التدافع[٢] كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[٣].

والتاريخ الإسلامي خير شاهد على حال الإسلام وتعامله مع غيره من غير المسلمين وكيف أدى لهم كافة حقوقهم.

وأما عن الواجب الذي يحيط بالمسلم، فهو التنبه والوعي ليقوم بمسابقة الدعوات الأخرى والعمل بمبادئ الإسلام العظيم التي إن طبقت دخل الناس في دين الله أفواجاً.

---

(١) لا يخفى دور اليهود في إثارة مثل هذه القضايا ولا شك أن ثمة بعض المسلمين يثيرون هذا الصرع بشكل غير صحيح وفي غير مكانه.

(٢) عمارة، محمد، في فقه المواجهة بين الغرب الإسلام، ص٧١-٧٢، ط١، ٢٠٠٣م، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، -بتصرف-.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

كما لا بد من دعم وتقوية أساليب الدعوة الإسلامية وحشد طاقات جميع الأجهزة العاملة في المجتمع على مستوى الشعوب والحكومات، لتعمل على نشر الإسلام، وتعاليمه السمحة، والعمل على تثبيت العقيدة في النفوس، وبيان محاسن الإسلام، وبيان خطر التنصير وأساليبه المنحرفة، ودحض الشبهات التي يثيرها المنصِّرون، وفضح خططهم، وأساليبهم[١].

ثالثاً: الصهيونية:

إن الفكر الصهيوني يعد من أخطر الحركات المعادية للإسلام والإنسانية وذلك لما يحمله من أفكار خبيثة وعنصرية متطرفة، وهو بذلك يشكل تحدياً كبيراً للإسلام، والمسلمين على حدٍ سواء.

إن أصل كلمة الصهيونية هو جبل صهيون المعبر عنه بلفظ (Zion)، والذي أصبح في التاريخ اليهودي القديم رمز لمدينة القدس، وقد أصبح لهذه الكلمة معنى خاص بعد تدمير الهيكل الذي كان يعبر عن حنين اليهود إلى وطنهم، وقد ذكر جبل صهيون في الترانيم والصلوات التي وردت في سفر المزامير، فضلاً عن ورودها في أماكن أخرى من الأدب الديني والدنيوي لليهود[٢].

إن هذا التعريف هو التعريف الحرفي لمعنى الصهيونية لكن حقيقتها تعرّف بأنها: «فكرة يهودية تمثل مجموعة التفاعلات الحقيقية للأطماع التوراتية والعنصرية التلمودية –والتي تعد روح الفكرة الصهيونية– في شكل إطار سياسي، يهدف إلى تحقيق الحلم الصهيوني اليهودي ألا وهو إقامة الوطن القومي لليهود لإنهاء حالة المنفى التي يعيشها يهود العالم»[٣].

---

(١) عبد الواسع، عبد الوهاب بن أحمد، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، ص٢٤٩، ط١، ٢٠٠١م، مكتبة العبيكان، الرياض.

(٢) الدجني، يحيى علي يحيى، التحدي الصهيوني للدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ص٥، ط١، ٢٠٠١م، الجامعة الإسلامية، غزة.

(٣) المرجع السابق، ص٦.

وبعبارة مختصرة يمكن القول بأنها: «الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الصهيوني»[١].

وبالمعنى العام فهي: «حركة سياسية تستمد أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود»[٢].

والحقيقة أن الصهيونية واليهودية شيء واحد فالصهيونية هي المواجهة السياسية والجهاز التنفيذي لليهودية العالمية[٣].

وذلك من حيث المصادر والأهداف وإلا فهناك صهيونيون ليسوا من عرق اليهود في النسب.

ولا يعني ذلك أنّ الصهيونية لا تعنى بدراسة واقع المسلمين قبل الاستعمار في قلب الوطن العربي وفي أراضيه المقدسة التي ترتبط بالإسلام، ارتباطاً وثيقاً، لقد قام الصهاينة بوضع دراسات خاصة كان لها أهداف واضحة يتصل كل هدف منها بما يأتي:

أ- إظهار صورة الدراسات اليهودية ورفع قيمتها والحط من صورة الدراسات الإسلامية والعربية، لتنعكس على علم الغرب، فيظهر كم أن المسلمين والعرب متأخرون وأن اليهود قوم متحضرون.

ب- تحويل الخرافات والأساطير اليهودية التي تكلمت عن الشعب المختار والأرض الموعودة إلى حقائق، ليصبح الغربي مدافعاً عن حقوق الشرعية، للشعب الذي طرد من أرضه وشرّد في بقاع الأرض.

ج- جعل الحضارة الصهيونية جزء من الحضارة الغربية، حتى يزرع في أرض الحضارة الشرقية، لتفصل الحضارتين، فتصبح الحضارة الشرقية في جهة والحضارة الغربية

---

(١) المسيري، عبد الوهاب محمد، الصهيونية وتأثيرها في علاقة الإسلام بالغرب، ص٥، ط١، ٢٠٠٣م، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي.

(٢) التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص١٥٦، ط٣، المكتب الإسلامي.

(٣) المصدر السابق، ص١٧١.

واليهودية في جهة أخرى، فيتم التعاطف مع اليهود ضد الفلسطينيين سواء كانوا مسلمين أو عرب.

د- تشويه الواقع الاجتماعي العربي، وذلك بتصويره مجتمعاً يهضم حقوق المرأة على حساب حقوق الرجال من خلال ضرب بعض الأمثلة في بقاع ينتشر فيها الجهل، ويخبر بأنه واقع العرب والمسلمين بينما يختار من المجتمع اليهودي عكس ذلك، ليتم التعاطف معهم ضد العرب والمسلمين(١).

يبرز الصراع الديني بين الصهيونية والإسلام من خلال الدراسة لظاهرة التحريف التي تغلغلت في مصادر الفكر اليهودي، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾(٢).

وهذا هو طابعهم الأصيل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، فقد حرفوا كتابهم أولاً، إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية، ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة على الله، وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والمصلحة والهدف الخبيث(٣).

ولقد كان لأثر هذا التحريف تحدٍ ديني على الإسلام من خلال منطلقين هما(٤):

أولاً: أن التحريف في كلام الله عز وجل محاولة صريحة لإضلال الناس عن الهدى والاستقامة، وهذا يتعارض مع ما جاء به الإسلام في حثه على الفضيلة والاستقامة، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾(٥).

ثانياً: أن سبب التحريف هو العنصرية المقيتة التي تغذي خلق الاستعلاء على من ليس من جنسهم، وتسوغ لهم فعل أي شيء في سبيل نفع ذاتهم دون النظر إلى النتائج السلبية التي

---

(١) الساموك، سعدون، الاستشراق مناهجه، ص١٥١، -بتصرف-.

(٢) سورة المائدة:، الآية: ١٣.

(٣) قطب، سيد، في ظلال القرآن، تفسير ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ سورة المائدة الآية:١٣.

(٤) الدجني، يحيى علي يحيى، التحديث الصهيوني للدعوة الإسلامية، ص١١٦-١١٧، -بتصرف-.

(٥) سورة يونس، الآية: ٤١.

تعود على غيرهم، فكان أن تذرعوا بالنصوص المحرفة لاغتصاب حق الآخرين، ولم يهتموا بإراقة الدماء أو بتقطيع الأشلاء في خدمة مزاعمهم المحرّفة، ولقد كان هذا تحدياً كبيراً للأمة الإسلامية والعربية على حدٍ سواء.

لا ريب أن كثيراً من الكتّاب قد تكلموا في مواجهة الصهيونية ووضعوا لذلك وسائل كثيرة منها، اعتماد أن الحرب بين الإسلام والصهيونية هي صراع بين الكفر والإيمان، وأنه لابد من التمسك بالإسلام والاستقامة على دين الله، كما لابد من إعداد العدة مع الحذر وترك الشعارات الخاطئة التي تذهب جفاءً ومحاربة المعاصي[١] ... الخ.

ولكنني أُضيف على ذلك أمراً مهماً وهو اهتمام المتخصصين بشكل مؤسسي وواضح لكسب الرأي العالمي، من خلال صدِّ الشبهات والافتراءات هنا وهناك بين صفحات الكتب، ليعمل المتخصصون في مجال الإعلام وغيره، بنشر ذلك بين الغرب، فيتم أولاً كسب الرأي العام من خلال إظهار الحق.

ومن ناحية أخرى، تعمل هذه المؤسسة على التصدي لما يرمي إليه الصهاينة من خلال المواجهة الفكرية الداخلية وذلك بكشف خططهم، وبيان مكرهم للأمة العربية والإسلامية، والقيام بوضع التوصيات التي تعمل على مجابهة تلك الخطط والأفكار، وبذلك تكون المواجهة قادرة على الوقوف أمام التحدي الصهيوني.

---

(١) الرحيلي، حمود بن أحمد، الصهيونية وخطرها على البشرية، ص١٥٥ وما بعدها، ط٢، ٢٠٠٢م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

رابعاً: العلمانية:

إن أولى الترجمات لمعنى العلمانية وأصدقها هي (اللادينية)[١] وأما من ترجمها علـــى أنهـــا مأخوذة من العلم، فقد استند على الترجمة الحرفية للكلمة الإنجليزية (Secularism, Secularis)، وهي ترجمة مضللة لأنها توصي باتصالها بالعلم[٢]، بمعنى أن ما خالفها سيكون ضد العلم وهو الدين.

ولذا نجد بعض المراجع وضحت ذلك من خلال ربط المصطلح بالثقافة، لضمان الترجمة الصحيحة فقالت: «إن الترجمة الصحيحة لكلمة (Secularism) هي العَـــالَم أو الـــدنيا، والاســـم المنسوب إليها (العَلْمانية) بفتح العين وسكون اللام بمعنى العالَم أو الدنيا، ويكون شـــكلها علـــى النحو التالي: العَلْمانية وليس العِلْمانية»[٣].

وبصرف النظر على أنها بالفتح أو بالكسر، فإن الثقافة للمبدأ هي التي توضح حقيقة المبدأ، ومما يؤكد ذلك تعريف دائرة المعارف البريطانية بتعريفها على أنها «حركة اجتماعية تهدف إلـــى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحـــدها... وظـــل الاتجـــاه إلـــى (Secularism) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين»[٤].

لقد ظهرت العلمانية بصورتها الحالية في أوربا منذ بداية القرن السابع عشر واتخذت عدّة معانٍ (ففي القرن السابع والثامن عشر اتخذت شعار (فصل الدين عن الدولة) ثم تحول في القرن التاسع عشر إلى (إبعاد الدين عن الدولة) وجاء القرن العشرون ليخفف قوة العداء تجاه الـــدين، بعد عودة السلطة الزمنية لكنيسة الكاثوليك عام ١٩٢٩م، وقيام دولة الفاتيكان وحدة سياسية فـــي

---

(١) قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، ص٤٤٥، ط١، ١٩٨٣م، دار الشروق.

(٢) المصدر السابق، ص٤٤٥.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الثاني، مادة عَلْم، مطبعة مصر، ١٩٦١م.

(٤) قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، ص٤٤٥.

مملكة إيطاليا والسماح بقيام الأهداف السياسية المسيحية في أكثر من دولة من دول الغرب مع العلم أنّ فرنسا هي أول دولة علمانية قامت بعد الثورة الصناعية»[١].

لم يكن الدين في حياة الأوروبيين موجوداً أصلاً قبل الثورة الصناعية، وإنما كان مفصولاً أصلاً، ولكن كان للدين سيطرة وتسلط، مما سبب القهر والاستبداد والتخلف للأمم الغربية، فالثورة لم تكن لإبعاد الدين فحسب بل لمعاداته، فهو بعيد أصلاً[٢].

ولقد كان لظهور العلمانية بصورتها الحالية ثلاثة أسباب:

أ- **الطغيان الكنسي:** وكان ذلك واضحاً من خلال الطغيان الروحي، في احتكار تفسير الدين، وفرض العقائد الزائفة كصكوك الغفران، وكرسي الاعتراف، والتثليث والبنوة مع تهديد المناقشين بالقتل والتعذيب.

ثم كان الطغيان الكنسي المالي، وذلك في فرض العشور، وفرض الخدمة المجانية للعمل في أراضي الكنيسة في الأسبوع يوماً واحداً، وفرض الأتاوات الخاصة على الأُمراء والملوك لقاء نصيبهم.

وبعد ذلك كان الطغيان الكنسي السياسي، في تتويج الملوك، ويتوقف ذلك على غضب ورضا البابا، وأما عن الطغيان الكنسي العلمي، فقد عادت الكنيسة علماء الطبيعة والفلسفة ووضع محاكم التفتيش للعلماء بسبب آرائهم العلمية.

---

(١) تاريخ البشرية، اللجنة الدولية، ترجمة: عثمان بوبة وآخرين، ص٢٩٥، ١٩٧١م، بإشراف منظمة اليونسكو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وانظر: فايز، زكريا، العلمانية، ص١٢، الزهرء للإعلام العربي.

(٢) الحوالي، سفر، العلمانية، ص٢٩ فما بعدها، ط١، ١٩٨٢م، دار مكة.

ب- فساد رجال الدين: يقول أحد رجال الدين -معتدل في ديانته- في وصف روما: «أما بلاط روما، فإن المرء لا يتسطيع أن يصفه بما يستحق من القسوة، فهو العار الذي لا ينتهي أبد الدهر، وهي مضرب المثل في كل ما هو مخجل في العالم»[١].

ج- دور اليهود في إفساد أوربا: لقد كان لليهود دور كبير في فساد أوربا، مما سبب في معاداتها للدين بشكل عام ونشير إلى بعض النظريات التي تنبذ الدين وتنشر الإلحاد:

أولاً: نظرية التطور: «صاحبها تشارلز دارون (القرن التاسع عشر) الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي، وبقاء الأنسب، وقد جعلت الجد الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها، وهذه النظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية، ونشر الإلحاد رغم بطلانها علمياً»[٢].

ونتسائل لمن يؤمن بهذه النظرية، ماذا بعد الإنسان من تطور؟

ثانياً: نظرية فرويد: «صاحبها اليهودي سيجموند فرويد (القرن التاسع عشر) وهي نظرية تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسياً، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء، كما أنها تعتبر القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي مما يورث عُقداً، وأمراضاً نفسية»[٣].

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العلمية للشباب الإسلامية، ص٣٧٥، ط٢، ١٩٨٩م، الرياض، ورجل الدين المذكور هو جو تشيارديني.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العلمية للشباب الإسلامية، ص٣٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص٣٧٥.

ثالثاً: الوجودية: «وأشهر زعمائها المعاصرين، جان بول سارتر، وهي تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان ويؤكد تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجّه، وهو جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة، وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم، ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار»[١].

وبعبارة أخرى فهي تقصد إلى جعل الإنسان إلهاً، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[٢].

رابعاً: الشيوعية: «صاحبها كارل ماركس (القرن التاسع عشر) وهي مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي، وظهرت في ألمانيا، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م، بتخطيط من اليهود وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار وقد تضرر المسلمون منها كثيراً وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ»[٣].

ولقد كان أثر العلمانية على الغرب بالغ الخطورة على الفرد والمجتمع على حدٍ سواء مما سبب تفكك الأُسر وضياع المجتمع من الناحية الاجتماعية[٤]، وقد امتد هذا الخطر إلى عالمنا الإسلامي فالمتأمل في واقع المجتمعات، يدرك مدى ظهور تلك الأفكار الخبيثة في المجتمع المسلم وكيف جنت على الأمة الإسلامية، فلقد استطاع أعداء الإسلام تنفيذ سياساتهم، التي تهدف

---

(١) المصدر السابق، ص٥٤٣.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣)الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العلمية للشباب الإسلامية، ص٣٠٩، وانظر جريشة، علي، أساليب الغزو الفكري، ص١٦١-١٦٢، ط١، ١٩٧٧م، دار الاعتصام.

(٤) جريشة، علي، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص٧٨-١١٧.

بالدرجة الأولى، إلى إقامة قوانين وضعية لتحل محل القوانين الإسلامية، وإقامة النظم، والقوانين في الاجتماع والاقتصاد والإعلام والفن والتربية والتعليم، وغير ذلك على أسس بعيدة كل البعد عن الإسلام.

ولكن مع ذلك فإن نور الله لن ينطفئ، فالدين دين الله، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾[١].

فعلينا أولاً أن نعتز بديننا ثم، نتصدى لمثل هذه الأفكار من خلال بيان سلبياتها وآثارها السيئة على الفرد والمجتمع، ونشر ذلك بين المسلمين، وبيان ما هو الدور الإسلامي في إنقاذ الإنسان من الضياع والفساد على مستوى التربية والأخلاق وعلى مستوى السياسة والاقتصاد والاجتماع[٢].

خامساً: التغريب:

المقصود بهذا المصطلح محاولة أعداء الإسلام صياغة الفكر والتصور الإسلامي بالصيغة الغربية، حتى يتمكن من احتواء الفكر في العالم الإسلامي وتوجيهه الوجهة التي يريدها: «فهو خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي، ومقاييسه ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها، بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على الحضارات والأمم لا سيما الحضارة الإسلامية»[٣].

---

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

(٢) نضرب مثلاً ما يحدث الآن من أزمات عالمية اقتصادية وغيرها، عندها علم الغرب من أبنائهم أن النجاة في الاقتصاد الإسلامي الذي يحرم الربا، ويأمُر بتنمية الأموال بالطرق الشرعية وبالتالي الخروج من تلك الأزمات.

(٣) الجندي، أنور، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص١٣، ١٩٧٨، المكتب الإسلامي.

وقد استطاع الغرب بشتى الوسائل احتواء عدد كبيرة من أبناء المسلمين لهـذا المخطـط ليقوم ذلك النفر بتفريغ العقل والقلب الإسلامي من كل قيم وخلق وآداب مـستمدة مـن الـدين الإسلامي، وتحريف وتشويه المبادئ الإسلامية، وانتقاص الدور الذي قام به المسلمون في تاريخ العالم ووضع الإسلام في زاوية قاتمة يحمل معه معاني التخلف والجمود والتعصب، وفي الوقت نفسه وضع الفكر الغربي في زاوية مضيئة يحمل معه معاني التقدم والحضارة والحرية والرُقي.

والحقيقة أن هؤلاء الذين يدعون إلى التغريب، والأخذ بأساليب الحضارة الغربية كانوا من الذين فتنتهم الحضارة الغربية وبريقها حين عاشوا في البلاد الأوربية أو هم من الأفـراد الـذين نشأوا في مدارسهم المنتشرة في أنحاء البلاد الإسلامية، وتربوا على ثقافاتهم التي لا تمت إلـى الإسلام بصلة.

وهم يعرفون عن تاريخ انجلترا وفرنسا أضعاف مـا يعرفـون عـن تـاريخ المـسلمين «ويعرفون عن تاريخ الكنيسة الأوربية وما بين مذاهبها من خلاف أكثر مما يعرفون عن تـاريخ الفقه الإسلامي.

ويعرفون أعلام الفكر الأوروبي وشعراءه، ولا يعرفون عن أعلام الحضارة الإسلامية إلا قليلاً. وهم بعد ذلك يعيشون في بيوتهم حياة تحاول أن تقلد في مظهرها الحياة الغربية، وربمـا وكّلوا إلى بعض المربيات الأجنبيات كنشأة أبنائهم والقيام على تربيتهم.

وبذلك توثّقت الصلات الثقافية والفنية والروحية بينهم وبين الغرب، بينما فترت الـصلات الروحية والثقافية بينهم وبين الشرق والإسلام، وأصبح أسلوب الحياة الشرقية وتقاليدها لا يقترن في أوهامهم إلا بحاضر الشرق البغيض»(١).

---

(١) حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية فـي الأدب المعاصـر، ج١، ص٢٥٩، ط٤، ١٩٨٠م، مؤسـسة الرسالة، -بتصرف-.

لقد وجد من أبناء جلدتنا من استجاب لمثل هذه الدعوات، فيدعون لتحرير المرأة، ويتحججون في أن السفور ليس فيه خروج على تعاليم الإسلام، أو مخالفة لقواعده، إن اللباس الشرعي للمرأة مجرد عادة، انتقلت من أمة إلى أمة وأن الدين من الحجاب براء يقول أحدهم: «لا نجد نصاً في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة، وإنما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها، وأخذوا بها، وبالغوا فيها، وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضّارة التي تمكنت في الناس باسم الدين، والدين براء منها»(١).

هل لهذا الحد أصبحت الفضيلة رذيلة؟ هذه هي آثار الغزو التغريبي تظهر علينا بكل سفور، كسفور المرأة التي يريدون.

ثم بعد ذلك يتساءل متهكماً: «لِمَ لم يؤمر الرجال بالتبرقع وستر وجوههم عن النساء، إذا خافوا الفتنة عليهنّ؟ هل اعتبرت عزيمة الرجل أضعف من عزيمة المرأة واعتبر الرجل أعجز من المرأة عن ضبط نفسه والحكم على هواه، واعتبرت المرأة أقوى منه في كل ذلك حتى أُبيح للرجال أن يكشفوا وجوههم لأعين النساء مهما كان لهم من الحسن والجمال...الخ»(٢).

ثم يزعم أن الفتنة لا تتعلق بأعضاء المرأة الظاهرة فيقول: «ليست أسباب الفتنة ما يبدو من أعضاء المرأة الظاهرة بل من أهم أسبابها ما يصدر عنها من الحركات في أثناء مشيها، وما يبدو من الأفاعيل التي ترشد عما في نفسها»(٣).

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أخذ يشجع على الاختلاط، ويرى أن الرجل متى اختلط بالنساء واعتاد ذلك، فإنه لا يكاد يجد في نفسه أثراً من رؤيتهن، وتصبح عنده رؤية النساء كرؤية الرجال! دون الشعور بأدنى اضطراب في حواسه ومشاعره يقول: «إن الرجل الذي لم يتعود الاختلاط بالنساء إن لم يغلبه سلطان التهذيب القوي لا يملك نفسه إذا جلس بينهن ...

---

(١) أمين، قاسم، تحرير المرأة، ص٨٠، دار المعارف، القاهرة.

(٢) المصدر السابق، ص٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص٨٨.

بخلاف الرجل الذي اعتاد مخالطة النساء، فإنه لا يكاد يجد في نفسه أثراً من رؤيتهنّ أكثر مما يجده عند رؤية الرجال! ولا يشعر بأدنى اضطراب في حواسه ولا في مشاعره»[١].

هذا أنموذج على التغريب وإلا ثمة أشخاص كثر ممن على شاكلة هذا المثال، والغريب أن هذا الفكر له رواج وأثر عملي بسبب الإعلام ودوره في ذلك وما ذكرنا من أسباب داخلية، كل ذلك ينقض مُجْتمِعاً ليفرز لنا هذه النماذج التي تمثل الواقع كما هو.

سادساً: التيار الإلحادي:

إذا كان اليهود والنصارى دأبوا على الكيد للعالم الإسلامي، فإن الدول الملحدة[٢]، وعلى رأسها روسيا فقد قامت بالكيد للإسلام والمسلمين منذ أن قامت الثورة البلشفية في روسيا، والمسلمون في المناطق التي وقعت تحت حكم الملاحدة يتعرضون للاضطهاد والقتل والتشريد والتعذيب، ففي أبريل سنة ١٩١٨م، أُصدر أمر بالزحف على البلاد الإسلامية، وسارت جحافل الجيوش بكل ما تملكه من قوة لتدمير ما في طريقها، وتم الاستيلاء على أورال، وتركستان، وجزيرة القرم والقوقاز وغيرها، من الممالك الإسلامية، وقتل في تلك المعارك الآلاف المؤلفة من المسلمين، وعلى سبيل الذكر لا الحصر، تركستان التي قتل فيها –وحدها– الشيوعيون سنة ١٩٣٤م مائة ألف مسلم[٣].

---

(١) أمين، قاسم، تحرير المرأة، ص١٠٢.

(٢) من المؤكد أن لليهود دور –أيضاً– في التيار الإلحادي كما أشار غير واحد من كتاب الإسلام كمحمد قطب وغيره، فلقد كانت روسيا أول من اعترف اعترافاً رسمياً بإسرائيل قبل أمريكا، انظر: الغادري، نهاد، التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية، ص٨٩، ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) جريشة، علي، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٣٥٩، وبحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي، ١٩٨١م، جامعة محمد بن سعود، إدارة الثقافة والنشر.

وقبلها كانوا قد أبادوا في القرم سنة ١٩٢١م، مئة ألف مسلم بالجوع وأرغموا خمسين ألف مسلم على الهجرة[١].

ولم يقتصر الأمر على القتل والتشريد والتجويع، بل فرضوا على المسلمين الأحكام الشيوعية الملحدة، وحاربوا كل ما يمت للإسلام والدين بصلة، ففي المادة (١٢٢) من القانون الجنائي السوفيتي: «يحرم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة»[٢].

كما يتعهد الروس: «إجبار الأفغانيين على الهجرة من بلادهم لكي يحلو محلهم أناساً من روسيا ويروي المهاجرون روايات مؤلمة عن كيفية إجبار الروس إياهم على الرحيل من بلادهم، منها تخييرهم بين تغيير دينهم وقبول الدين الشيوعي، ومنها الاعتداء على النساء ومنها حرق المنازل حتى لا يبقى لهم مأوى» وليس هذا فحسب بل إن «الطائرات الروسية تلحقهم وتقصفهم بقنابل لتفني من تقدر عليه»[٣].

---

(١) الغزالي، محمد، الإسلام في وجه الزحف الأحمر، ص١٣٥-١٣٨، مكتبة الأمل، الكويت.

(٢) جريشة، علي، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٣٦٠.

(٣) شاه، ناصر الدين، أفغانستان والغزو الشيوعي، ص٣٠، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

سابعاً: الحداثة:

الحداثة في اللغة: مصدر حَدَثَ، وهي تعني نقيض القديم، وتعني الحداثة كذلك أول الأمر وابتداءه، وكذلك تعني الشباب وأول العمر.

لا شك أن الحداثة تمثل امتداداً طبيعياً للقلق الأوروبي، فلقد انتقل الأوروبيون من عصر الظلمات إلى ظلمات أخرى، تكاد تكون أشدّ مما كانوا عليه، فلقد انتقل الغرب من الاستبداد القديم بمبادئه إلى الكلاسيكية والرومانسية، والواقعية والبرناسية والرمزية والسريالية والوجودية[١]، وكل ذلك يعتبر من قبيل المذاهب الأدبية، وتكاد تكون أحدثهم الوجودية والحداثة.

والحداثة أصلاً مشتقة من كلمة (Modern) وتعني الشيء الحديث[٢].

ولقد ثبت الاضطراب في تعريف الحداثة فالترجمة تفرق بين العصرانية والحداثة والمعاصرة أما في المعاجم، فيكاد يكون الفرق ضيق جداً، فكلمة (Modernism) بأنها حركة الفكر الكاثوليكي لتأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكذلك بأنها نزعة لاهوتية تحررية «البروتستنتية» وأيضاً بأنها نزعة في الفن الحديث تهدف إلى قطع الصلة بالماضي[٣].

ولكن بعض المفكرين العرب يترجم كلمة (Modernisty) بالمعاصرة في مقالة له، وبالعصرية في محاضرة له عن: «الحداثة والتراث»، ويعتبر أن هذه الكلمة تعني إحداث تغيير وتجديد في المفاهيم السائدة والمتراكمة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن.

---

(١) النحوي، عدنان، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ص١٧٩-٢١١، ط٢، دار النحوي للنشر، الرياض.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧، نقلاً عن قاموس (Webster) وقاموس المورد.

وأما كلمة (Modernism) فيترجمها (بالحداثة)، ويقول إنها مذهب أدبي بل نظرية فكرية لا تستهدف الحركة الإبداعية وحدها، بل تدعو إلى التمرد على الواقع بكل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية[١].

ولعلّ في هذا التفريق توضيح أكبر، وهو أفضل، لأنه يوضح مقصودهم المصطلح ذاته.

ولابد من توضيح أن الحداثة ليست موضوعاً أدبياً فحسب، ولا هي تصور خاص بالنثر والشعر واللغة، ولكن الحداثة في جميع دلالاتها تمتد إلى معظم ميادين الحياة المادية في هذه الدنيا، تحمل معها الفكر والفلسفة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والأدب[٢].

فالأدب لا يحمل اللغة فحسب –كما هو معلوم– بل يحمل الثقافة ككل، وهذا ما يريده أعداء الإسلام من غزو للثقافة من خلال الأدب والفن واللغة، ومن هنا تظهر خطورة الحداثة في غزوها للإسلام.

أما عن أثر الحداثة في الواقع الإسلامي، فإننا لا ننكر أنه «كان لها بمختلف اتجاهاتها ضغط كبير على واقع المجتمع الإسلامي وأن رجالها، أو بعضهم، احتلوا مراكز في واقع المجتمع في مختلف بلاد المسلمين جهاراً أو مستترين، كما لا ننكر أن ضغط الحداثة ما زال يزداد في واقع المسلمين اليوم، ولقد استطاع رجال الحداثة (المنتسبون) للإسلام، أو رجالها المسيحيون، المقيمون في دار الإسلام أو الذين عادوا بعد انتهاء ابتعاثهم إلى الغرب كما حدث في أواخر القرن التاسع عشر، لقد استطاع هؤلاء أن يتركوا أثراً خطيراً في واقعنا بإصرارهم

---

(١) مجلة الحرس الوطني، ص١٠٣، عدد ٨٦، سنة ١٤١٠هـ–١٩٨٩م. وانظر: هدارة، محمد مصطفى، دراسات في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ص٦٢، ١٩٨٩م، الأندلسية للأوفسيت.

(٢) ماكفلرن، جيمس وآخرون، ١٨٩٠–١٩٣٠م، الحداثة، ترجمة: مؤيد حسن فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر، ص٣٤–٣٨، ١٩٨٧م.

على الانحراف من ناحية، وبما وجدوه من دعم وتأييد من السلطة أو من المؤسسات الأجنبية المعادية للإسلام، أو من الدول المسيحية نفسها المحتلة لبلادنا أو بعد انتهاء احتلالها»[١].

إن السبيل الذي يجب أن نواجه به الحداثة وما شاكلها من تحديات التي تستند هذه التحديات في مواجهتها للإسلام على مبدأ التطور وعدم الثبات، فالسبيل هو في فهم الإسلام الحقيقي، وتجديده من خلال التعامل مع النصوص والموازنة ما بين القيم الدينية ومستحدثات العصر.

وذلك: «لأن الإسلام لا يستطيع البقاء بمعزل عن التيارات الفكرية والفلسفية الحديثة مثلما أن المشاغل العملية التي ميزت الفكر العربي الإسلامي الحديث لابد لها أن تنضج في المستوى التنظيري وتؤول إلى عملية تأليفية حية متجددة بين القيم الدينية ومستحدثات العصر»[٢].

فالإسلام قادر على هذه المواجهة، لا نقول ذلك لأننا مسلمون، بل لأنه الدين الذي فرضه الله والله هو الذي خلق كل شيء فهدى، وهذا لا يعني التقليل من أهمية التحديات التي تحاول تحريف الإسلام عن مساره فهم لن يهزموا الإسلام، ولن يستطيعوا أن يواجهوا الإسلام، ولكن قد ينحرفون بالإسلام هنا وهناك.

فالإسلام ينظر نظرة مختلفة إلى التطور والنمو عنه في الحداثة، فالحداثة تصوره على أنه انفجار يخرب كل شيء ليولد الإبداع، حتى إنه يخرب نفسه ولكن النمو في الإسلام والتطور مختلف فهو في «نواحي الحياة لا يتم كله على هذا النحو الذي تعرضه المادية والجدلية، فالشجرة تظل تنمو تمتد وتزداد فروعها وثمارها وحجمها دون أن يحدث انفجار مفاجئ، والإنسان ينمو على قواعد وسنن وضعها الله في الكون وعرضها القرآن الكريم»[٣].

---

(١) النحوي، عدنان، تقويم نظرية الحداثة، ص٨٤.

(٢) الشرفي، عبد المجيد، الإسلام والحداثة، ص٢٦٥، ط٢، ١٩٩١م، الدار التونسية للنشر.

(٣) النحوي، عدنان، الحداثة في منظور إيماني، ص٢٩٠، ط٥، ٢٠٠٧م، دار النحوي للنشر والتوزيع.

ولقد ضرب هذا المثل تماماً في القرآن بصورة أدبية رائعة تردُّ على الأدب الحداثي في روعتها وفي فلسفتها في آن واحد، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾(١).

هذا هو المعنى الإيماني للتطور، فهو تطور وإبداع في ثبات ولا تناقض بينهما.

ثامناً: العولمة:

نذكر عدّة تعريفات للعولمة وذلك، لأنها مصطلح حادث كغيره من المصطلحات، ولأنها ترتبط بأمور عديدة ويتضح ذلك فيما يأتي:

أ- العولمة: هي «العملية التي من خلالها تصبح شعوب العالم متصلة ببعضها في كل أوجه حياتها، ثقافياً، واقتصادياً، وسياسياً، وتقنياً، وبيئياً»(٢).

ب- وتعني: «تكثيف العلاقات الاجتماعية عبر العالم حين تترابط الأحداث المحلية المتباعدة بطريقة وثيقة كما لو كانت تقع في مجتمع واحد»(٣).

ج- أما صندوق النقد الدولي فيعرفها بأنها: «التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل في السلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود، بالإضافة إلى تدفق رؤوس الأموال الدولية، والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله(٤).

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤-٢٥.

(٢) لودج، جورج، إدارة العولمة، ص١٢، ١٩٩٩م، سلسلة كراسات عروض، عرض: محمد رؤوف حامد، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.

(٣) John Bails & Steve Smith (eds), The Globalizational world Politics and Introdaction to International Relations, p.15, 1997, Oxford University Press, London.

(٤) عبد الله، إسماعيل صبري، الكوكبة، الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية، مجلة اليسار، ص٦٢، العدد ٩٧، ١٩٩٨م.

ومن هذه التعريفات نستطيع أن نقول إن العولمة نمط من أنماط الحضارة لها مكوناتها الاقتصادية والساسية والاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى تداعيات تاريخية أدت إلى واقع نعيشه اليوم.

فالعولمة تشمل عدّة عناصر وبها يكتمل معناها الحقيقي، وهي:

العنصر التاريخي المتراكم، والثاني المقومات الاقتصادية، والثالث السيطرة والهيمنة الأمريكية، والرابع أنها ثورة تكنولوجية واجتماعية[١].

وهنا يظهر التحدي من قبل العولمة، فهي تريد أن تصغر كل شيء ليسهل السيطرة عليه، وبالتالي التصرف في المستقبل التاريخي والعصب الاقتصادي والحياة السياسية والتحدي الفكري والاجتماعي والسلوكي. وليس معنى ذلك أنه ليس ثمة حسنات وإيجابيات للعولمة وبالمقابل فلها سلبيات[٢].

أولاً: الجوانب الإيجابية:

أ- **الجانب السياسي:** فالعولمة جعلت الاستثمار السياسي في توازن المصالح بديلاً عن توازن القوى، كما هيأت المناخ العالمي لقبول متعدد الأقطاب في النظام الدولي بدلاً من القطب الواحد، كما تعمل على تقوية الدول بعضها ببعض.

ب- **الجانب الاقتصادي:** يرى بعضهم أن العولمة هي البديل المقبول للدول النامية من أجل التخلص من مشكلة التخصص في منتجات أولية ذات قيمة مضافة محدودة، وذلك من خلال التعرف على القدرات التنافسية للسلع الأولية في كل دولة.

---

(١) ياسين، السيد، العولمة والطريق الثالث، ص٩٩، ١٩٩٩م، ميريت للنشر، القاهرة.

(٢) السيد، عاطف، العولمة في ميزان الفكر -دراسة تحليلية-، ص٦٧ وما بعدها، ٢٠٠٢م، فلمنج للطباعة، -بتصرف-.

كما تعمل على تنمية التعاون الإقليمي، حيث إن ثمة اتفاقيات عالمية[١] تسمح بقيام التكتلات الاقتصادية أو التجارية بين الدول المنتمية إلى إقليم جغرافي واحد.

كما تعمل على توحيد الأسواق، وتتيح العرض الفوري للسلع، مما يسهل الحركة الاقتصادية ويساعد في القضاء على الاحتكار.

ج- **الجانب الاجتماعي:** إن الاتصال وانتقال السلع والخدمات والأفكار والقيم إلى سوق عالمية واحدة من شأنه أن يدعم درجة الارتباط المتبادل بين الشعوب والدول والحكومات والمنظمات والشركات متعددة الجنسيات.

كما تدفع مستوى طموح الفرد والجماعة إلى آفاق بعيدة.

د- **الجانب الثقافي:** في إطار العولمة يتسنى بناء قاعدة فكرية جديدة تنهض على وحدة العالم وبروز وعي جديد ومفاهيم متطورة، ورموز ووسائط ثقافية جديدة، وذلك لأن العولمة الثقافية تسعى إلى إيجاد حلول غير تقليدية لمشكلات تبدو مستعصية.

ولا شك أننا نرى الأثر في رقي بعض الدول والجماعات بسبب ما حدث من عولمة وتأثر حضاري إيجابي في شتى نواحي الحياة.

ثانياً: الجوانب السلبية[٢]:

أ- **الجانب السياسي:** إن العولمة سوف تؤدي إلى فقدان الدول النامية الاستقلال النسبي الذي تحقق بعد جلاء المستعمرين عن أراضيها، وأن الدول الكبرى ستكون هي صانعة القرار وموزعة الأدوار على العالم الثالث، وأنها ستؤثر بالتالي على سيادة الدول لتمارس عملها.

---

(١) كاتفاقية الـ(GAT) الجات، وغيرها من الاتفاقيات.

(٢) ستيغليتز، جوزيف، خيبات العولمة، ترجمة: ميشال كرم، ط١، ٢٠٠٣م، دار الفارابي، لبنان.

وبالتالي سيطرة الرأسمالية على الدول الصغيرة بسهولة، ولأن مصدر العولمة الغرب، فهي تفرض وصايتها على من كان أضعف منها.

ب- **الجانب الاقتصادي:** في عصر العولمة تعمل مجموعات مالية وصناعية حرة على تولي الفاعلية الاقتصادية من خلال شركات ومؤسسات متعددة الجنسيات هدفها تجاوز الحدود في الداخل والخارج ثم السيطرة على المجال الاقتصادي.

في ظل العولمة فإن الدول النامية لا تستطيع حماية منتجاتها الوطنية، لأن من أهداف العولمة تحرير الاقتصاد وإلغاء الدعم الحكومي مما يؤثر سلباً على الاقتصاد الوطني.

نعم قد تلغي العولمة الاحتكار، ولكن الاحتكار الذي سيقضى عليه في ظل العولمة، هو الاحتكار في صورته المصغرة الأقل خطراً من الاحتكارات العالمية، فالعولمة تسهل عملية الاحتكار العالمي، وبالتالي ايجاد شعوب بدون اقتصاد، عالة على غيرها.

وتعمل العولمة على تقليل نسبة الرسوم الجمركية إلى درجة إلغائها مما يسبب عجز في موازنة الدولة، وبالتالي ستعمل على فرض ضرائب وزيادة نسبة الضرائب المفروضة سابقاً، وهذا سيؤدي بدوره إلى الانعكاس على سعر تكلفة السلعة، مما يؤدي إلى رفع الأسعار، وبهذه الطريقة نستطيع أن نفسر ما يحدث في عالمنا اليوم من زيادة الأسعار، وفرض الضرائب،... الخ.

ج- **الجانب الاجتماعي:** بسبب ما يحدث للدولة من آثار سلبية من قبل العولمة، فإنها لن تستطيع تحمل غير القادرين مالياً، ولن تستطيع توفير التأمين لهم والرعاية اللازمة، وهذا يؤدي إلى تخلخل النسيج الاجتماعي، وصراع الطبقات وهذه حقيقة، وهي أن العولمة تؤدي بالضرورة إلى إيجاد طبقات متفاوتة وبينها بون شاسع، والذي يسبب تفكك المجتمع ككل.

د- **الجانب الثقافي:** إن الخلاف الأساسي الذي يدور حول العولمة يكمن في مشكلة الثقافة الكونية، وإن ثقافة العولمة في جوهرها ثقافة جديدة تختلف عن الثقافات المتوازنة.

ومن أسس هذه الثقافة الجديدة الغزو الفكري الذي يعني قهر الثقافة الأقوى للثقافة الأضعف.

فالدول الكبرى تسعى بدأب لفرض ثقافتها وفكرها على دول العالم الثالث، من خلال تعميم النموذج الغربي في العالم.

بالإضافة إلى أن عنصر التكنولوجيا في العولمة يفرز ظواهر انحلال خلقي وإرهاب فكري وحشي.

إن ما ذكرنا من سلبيات لهي في حقيقتها تشكل أكبر التحديات للأمة الإسلامية في وقتها الحاضر، ولمواجهة هذه التحديات لابد من العمل على زيادة الإيجابيات للعولمة ومحاولة القضاء على السلبيات أو تخفيفها ولأن المجتمع الإسلامي غير مؤهل للتعامل الإيجابي مع نظام العولمة فلابد من وضع استراتيجية تمكنه من المواجهة[١]:

أ- **عولمة الاقتصاد:** وذلك من خلال التكامل الاقتصادي بين أفراد وشعوب العالم الإسلامي، وتهيئة المناخ المناسب لجذب الاستثمار الأجنبي، وبذل الجهود لفتح أسواق الدول الصناعية المتقدمة أمام المنتجات التي تصدر من الدول الإسلامية والعربية، والمطالبة بقواعد عادلة تضمن مصلحة جميع الأطراف.

---

(١) انظر: السيد، عاطف، العولمة في ميزان الفكر، -دراسة تحليلية-، ص١٢٨ وما بعدها، وانظر: عثمان، سعيد محمد، العولمة السياسية بين الفكرين الإسلامي والغربي من المنظور التاريخي، ٢٠٠٧م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، وانظر: نحوي، عدنان، العولمة والإسلام، ط١، ٢٠٠٧م، دار النحوي للنشر.

ب- **العولمة الاجتماعية:** على المجتمع المسلم أن يواجه البطالة والفقر، من خلال وضع سياسات تعمل على تشغيل الأفراد لزيادة التنمية والعمل على رفع مستوى دخل الفرد، وعدم الاعتماد على الحلول الخارجية، والعمل على التعاون ما بين الدول الإسلامية والعربية مما يعكس تأثر الدول نحو الأفضل وبالتالي، التقليل من الضرائب، التي ترهق الأفراد، والمجتمع بشكل عام.

ج- **العولمة السياسية:** إصلاح أجهزة الدولة وتطهيرها من الفساد، وذلك بتبني مشروع إصلاح من أجل النهوض بالوطن، والعمل على تبني مشاريع سياسية تضمن مشاركة الفعاليات السياسية في مشروع الإصلاح، وعدم احتكار الفهم والمعرفة لأفراد وعدم إهمال الفعاليات الشعبية.

تاسعاً: الغزو الفكري:

من الأسباب الخارجية التي أدت إلى إضعاف المجتمع الإسلامي، الغزو الفكري، الذي لا يقل خطره عن خطر الجندي والسلاح في المعركة، فأعداء الإسلام يعيشون في حرب دائمة مع الإسلام، كحال قائدهم إبليس -عليه لعنة الله- قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾[1]، ولكن لماذا هذا العداء من جنود إبليس؟

إن الهدف من الغزو الفكري على وجه الخصوص يتلخص في محاولة أعداء الإسلام إبقاء الشعوب الإسلامية ضعيفة هزيلة لا حول لها ولا قوة كي تخضع لنفوذهم، وذلك بقطع حبل الله الذي يربط هذه الأمة بخالقها سبحانه وتعالى، والحيلولة بين هذه الأمة وبين تاريخها المجيد،

---

(١) سورة ص، الآيات: ٨٢-٨٥.

الذي انبثق من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وإحلال لغة الغازي وفكره محل ذلك، وتطبيق مكائده على أبناء الأمة الإسلامية فتشوه فكرهم وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم إلى حياة مغلوبة وتابعة لأعداء الأمة الإسلامية، فيعيشون عيشة الأتباع والأذناب[١].

ولكي يتحقق ذلك الهدف المرسوم استخدم أعداء الإسلام وسائل من أهمها:

أ- **نشر الفكر المعادي للإسلام:** وذلك عن طريق نشر الأفكار المعادية للإسلام والفلسفات الهدّامة وإلقاء الشبهات حول الإسلام، والطعن في القرآن الكريم والسنة النبوية والتشريع الإسلامي[٢]، بهدف إنشاء أجيال من المسلمين مستعبدة للفكر الغربي، لا تبصر إلا بعيونه، ولا تفكر إلا بعقله، ولا ترى إلا ما يراه الأوربيون، وهذه الأفكار يتم نشرها عن طريق الكتب ومناهج التعليم ووسائل الإعلام المختلفة.

ب- **نشر الانحلال الخُلقي:** وذلك بالدعوة إلى الاختلاط، وتشجيع السفور، وإخراج المرأة من حيائها، ومزاحمة الرجال، تحت ستار التطور والتقدم[٣]، ومسايرة الحضارة والحرية.

«والواقع أن هذا الاتجاه هو جزء من اتجاه أكبر وأعم يراد به فرنجة المرأة الشرقية وحملها على أساليب الغرب في شتى شئونها: في الزواج وفي الطلاق وفي المشاركة في العمل والانتاج وفي شتى الميادين وفي الزي وفي المحافل والمراقص إلى آخر ما هنالك، وهذا الاتجاه هو بدوره جزء من اتجاه أكبر يراد به سلخنا من أدب إسلامنا وتشريعه، وإلحاقنا بالغرب في التشريع والأدب والموسيقى والرسم وفي سائر الفنون الحياتية بين جد ولهو»[٤].

---

(١) المشوخي، عبد الله سليمان، مجتمعنا المعاصر، ص٣٠٩.

(٢) لقد سبق ووضح ذلك في المباحث السابقة.

(٣) انظر: ما نقل عن قاسم أمين عند الكلام عن التغريب.

(٤) حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة من داخلها، ص٨٦، ط٤، ١٩٧٧م، المكتب الإسلامي.

ويجب أن نشير إلى أن الإسلام لم يمنع المرأة من العمل ضمن الضوابط الشرعية بل إن كثيراً من الصحابيات كن مع غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام[١]، ولكن حتى أبعدت المرأة عن بيتها معظم وقتها، وأغلب يومها، فإن النتيجة ستنعكس سلباً على الأبناء، فسيحرمون من عاطفة الأمومة ويعيشون في إهمال وحرمان، وسيقوم الخدم بتربية الصغار، ومن هؤلاء الخدم من لا يكون مسلماً أصلاً.

وغير ذلك من ألوان الانحلال الخُلقي من خلال وسائل الإعلام التي تنشر الإباحية والصور العارية..الخ.

لقد تم ذكر كيفية مواجهة كل تحدٍ، ولكن يمكننا أن نجمل ما ذكرنا وأن نضيف أهم المواجهات العملية في التصدي للغزو الفكري ولغيره من التحديات:

- **تدوين العلوم وفق مبادئ الإسلام:** لابد من وضع مناهج تقوم على أساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى في كافة أصناف العلوم، فنجعل كل العلوم تنبثق من واقع الإسلام ولا شك أن هذا الأمر مهم جداً في صناعة جيل مؤمن وذلك لأن «العلوم التجريبية لها ناحيتان: الأولى: عبارة عن الحقائق وقوانين الطبيعة التي تعرف عليها الإنسان بعد أن اجتاز مراحل عديدة من التجربة والاختبار والمشاهدة، وهذه الناحية لا يشك أحد في كونها عالمية.

أما الناحية الثانية: فتتمثل في العقلية التي تدون هذه الحقائق والمعلومات وتضع على أساسها النظريات، كما تتمثل الناحية الثانية في اللغة التي تختارها هذه العقلية كأداة للتعبير عن هذه النظريات، فهذه الناحية ليست شيئاً عالمياً، بل لكل داع من دعاة الحضارة المنوعة في العالم أسلوب يخصه وينفرد به، وهذا أمر طبيعي، ونحن إذا دعونا إلى التغيير في العلوم التجريبية لا نريد الناحية الأولى وإنما نريد الناحية الثانية فقط[٢]».

---

(١) البهي، محمد، الإسلام، واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة، ص٣-٥٤، ط٢، ١٩٨١م، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) المودودي، أبو الأعلى، دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي، ص٣٣-٣٤، ١٩٧٨، مؤسسة الرسالة، بيروت.

فقد يعبر شخصان بأسلوبين متغايرين، كل أسلوب يتفق مع مبدأ الفرد وفكـره وعقيدتـه، وينعكس هذا التفكير على نفسية وذهن الطالب.

وكذا عندما يبدأ المدرس التجربة ببسم الله، وعندما ينتهي يقول: الحمد لله، وإذا رأى ثمرة ونجاحاً شكر الله وقال: ما شاء الله، حينئذ ينطبع في ذهن الطالب الارتباط الوثيق بين كل عمل وعلم، وبين طاعة الله سبحانه وتعالى.

وللخروج من أزمة التعليم في العالم الإسلامي، التي سببها الأفكار الهدامة فلابد: «أن يصاغ هذا النظام التعليمي صوغاً جديداً ويلائم بعقائد الأمة المسلمة ومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها، ويخرج من جميع مواده روح المادية والتمرد على الله والثورة على القيم الخلقية والروحية، وعبادة الجسم والمادة، وينفخ فيه روح التقوى والإنابة إلى الله وتقدير الآخرة والعطف على الإنسانية كلها، فمن اللغة والآداب إلى الفلسفة وعلم النفس، ومن العلوم العمرانية إلى علوم الاقتصاد والسياسة، لا تسيطر على كل ذلك إلا روح واحدة، ويقصي استيلاء الغرب العقلي، ويكفر بإمامته وسيادته، وتجعل علومه ونظرياته موضوع الفحص والدراسة الجريئة، ويوضح ماذا جنى نفوذ الغرب وسيطرته على الإنسانية والمدنية، وتدرس علومه بشجاعة وحرية، وتعتبر كمواد خامة تصنع، منه ما يوافق حاجتنا ورغباتنا وعقيدتنا وثقافتنا»[١] ولابد أيضاً من «مجمع عالمي إسلامي يؤلف في هذه العلوم كتباً تجمع بين جدة الاطلاع وغزارة المادة ومتانة البحث وبين إثبات العقيدة الإسلامية والتوفيق بين العلم والدين»[٢].

---

(١) الندوي، أبو الحسن، نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، ص١٦، ط٣، ١٩٧٦م، المختار الإسلامي، القاهرة.

(٢) المصدر السابق، ص٦٢-٦٣.

ولا شك أن هذا الأمر هو التعاون على البر والتقوى الذي امرنا به الشارع الحكيم قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[١].

ومثل هذه الأمور تقتضي توفر نخبة مؤهلة لهذا العمل تتحلى بالخلق والدين والمعرفة، وتجمع بين العقيدة والعلم، وتؤمن بخلود رسالة الإسلام، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وتكون هذه النخبة من جميع المجالات المختلفة، في الإعداد والتأليف والإدارة والتنفيذ والتدريس والتخطيط... الخ.

- **البحث عن الحقيقة إينما وجدت:** ولا يعني -ما سبق- رفض ما عند غيرنا البتة، فالعلم مطلوب والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[٢].

وهذا يعني أن كل علم يعود على الأمة بالخير والنفع لابد من تعلمه، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم اللغة العبرانية، وذلك حتى يأمن جانب اليهود، فعن زيد بن ثابت قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال لي: تعلم كتاب اليهود فإنني والله ما آمن اليهود على كتابي، قال فتعلمته في أقل من نصف شهر»[٣].

وثبت عنه ﷺ: «أنه أرسل بعض الصحابة من أجل التعرف على صناعة الأسلحة التي لم يكونوا يعرفونها، حيث ذهب عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش ليتعلما صناعة المنجنيق والدبابات، فعندما غزا رسول الله ﷺ الطائف، نصبا المنجنيق والدبابات»[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) الترمذي، السنن، ج٥، ص٥١.

(٣) ابن سعد (٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٥٨-٣٥٩، دار صادر، بيروت.

(٤) الكتاني، عبد الحي، (١٣٨٢هـ)، التراتيب الإدارية (نظام الحكومة الإسلامية)، ج١، ص٣٢٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فالإسلام لا يُحرم الانتفاع من تجارب الأمم الأخرى شريطة ألا تصطدم بمبادئ الإسلام.

وبذلك تحافظ الدولة الإسلامية على نفسها وعلى أبنائها من أي غزو فكري خارجي والذي هو أشد خطراً من الغزو العسكري.

الفصل الثالث

وسائل تجديد الخطاب الديني

الفصل الثالث: وسائل تجديد الخطاب الديني.

- **المبحث الأول:** التمسك بالهوية الإسلامية

المطلب الأول: مفهوم الهوية وأصالتها

المطلب الثاني: مواجهة تذويب الهوية الإسلامية.

- **المبحث الثاني:** الانفتاح وضوابطه

المطلب الأول: مشروعية الانفتاح في الفكر التربوي الإسلامي

المطلب الثاني: أهمية الانفتاح

المطلب الثالث: ضوابط الانفتاح.

- **المبحث الثالث:** التربية في تجديد الخطاب الديني

المطلب الأول: التربية ودورها في التصدي للتحديات

المطلب الثاني: التربية والعقيدة.

- **المبحث الرابع:** التعريب وبناء الأسرة

المطلب الأول: سبل النهوض بالتعريب

المطلب الثاني: بناء الفرد المسلم

المطلب الثالث: بناء الحياة الزوجية.

المبحث الأول

التمسك بالهوية الإسلامية

المطلب الأول: مفهوم الهوية وأصالتها:

الهُوية: هي الذّات[١]، وهي حقيقة الشيء، أو الشخص الذي تُمَيزه عن غيره[٢]، ويقصد بها السمات والسلوكيات والمقومات التي تميز المُسلِمين عن غيرهم، وتكوِّن ذاتهم، وترتبط ارتباطاً واضحاً بالوطنية، والقومية المنبثقة عن الإسلام.

لم يرحل الاستعمار عن الأراضي العربية والإسلامية إلا وقد خلف وراءه العديد من المَسَاوئ التي رجعت بالمجتمع المسلم –عدة قرون– إلى الوراء، ولقد كان التخلُّف والتَّبَعيّة والتَّجزئة من أفدح المساوئ التي خلفها الاستعمار وراءه، مما كان له أكبَر الأثر في إضعاف الهوية الإسلامية، تلك الهوية التي تميَّزت بقوتها في العصر الزَّاهر للمسلمين.

وطوال سنوات المستعمرين –أيّاً كانوا– كانوا يحاولون بشتّى السُّبل، وكافة الوسائل أن يقضوا على حضارة الأمة الإسلامية، وأن يزيلوا معالم شخصيتها، ويفقدُها هُويتها، ويدمروا قواها الداخلية، ويضعفوا مقوماتها[٣] ولقد نجحوا في ذلك –إلى حد ما– بسبب ما صنعه المسلمون بأنفسهم وابتعادهم عن الإسلام، بحيث صار غريباً عليهم، أو على حد قول أحد الكتاب: «الإسلام في هذا العالم الإسلامي غريب على الناس؛ كغربته يوم بدأ في جاهلية الجزيرة العربية، وهو فوق ذلك مكروه من كثيرين»[٤].

---

(١) حجازي، مصطفى وآخرون، المعجم الوجيز، ص٦٥٤، ٢٠٠٠م، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

(٢) مدكور، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص، ط٣، ١٩٧٢م، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

(٣) الخطيب، محمد محمد عبد القادر، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١، ٢، ١٩٩٠م، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة.

(٤) قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، ص٢٧٣، ط١٢، ١٩٩٢م، دار الشروق، القاهرة.

إن تخلُّف المسلمين وتدنِّيهم إلى هذه الدرجة لا يتوافق مع عظمة الإسلام وطبيعته، وهو الذي يجعل أتباعه فوق الجميع بما يبثه فيهم من عزة وكرامة، وليس أدل على ذلك «مما صنع الإسلام – على مدى قرون– في بعث أمة كانت مثالاً للأمم في عزتها وسيادتها وحضارتها، وحرصها على العدالة والأخلاق، كما يُقَرِّر ذلك المنصِفُون الغربيون أنفسهم»[١]، يقول أحدهم: «فكلما أمعنَّا في درس حضارة العرب المسلمين، وكتبهم العلمية، واختراعاتهم، وفنونهم، ظهرت لنا حقائق جديدة، وآفاق واسعة، ولسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفَضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها –مدة خمسة قرون– مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدنوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقاً، وتأثير العرب عظيم في الغرب»[٢].

لقد تكونت الحضارة العربية الإسلامية حين كانت للمسلمين شخصيتهم، وأصالتهم التي ليسوا فيها تابعين لغيرهم؛ لأن «التبعية هي جوهر التخلف»[٣]، ولقد أنكر الرسول ﷺ أن تكون أمة الإسلام تابعة أو ذَيلاً لغيرها، فقد قال: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**»[٤].

ينكر الحديث على الأمة أن تفقد هُويتها وأصالتها، إلى حد تغدو فيه ذيلاً تابعاً للآخرين من أصحاب الديانات السابقة، وأصحاب الحضارات السائدة، وفارس والروم لا يوجدان اليوم بهذا الاسم والعنوان، ولكن معناها موجود في الدولتين العظيمتينِ اللتينِ تمثلان: المعسكر

---

(١) النمر، عبد المنعم، شخصية المسلم كما يصنعها الإسلام، ص٣، ١٩٩٧م، مطابع روز اليوسف، القاهرة.

(٢) خليل، عماد الدين، مؤشرات حول الحضارة الإسلامية، ص٥٢، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، والشخص المذكور هو غوستاف لوبون.

(٣) بدران، شبل، التربية والنظام السياسي، ص٢٠٥، ١٩٩٥م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(٤) الزبيدي، أبو العباس زين الدين أحمد بن أحمد، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، ج١، ص١٦٢، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، دار المعرفة، بيروت.

الشرقي، والمعسكر الغربي، كما كانت فارس والروم عند ظهور الإسلام، ويعبر الحديث عن مدى التَّبعيَّة الذيلية بقوله: «شبراً بشبر، وذِرعاً بذراع» حتى لو دخل المُقلَّدون جحراً، هو أسوأ صورة للالتواء، والضيق، والظلمة، وسوء الرائحة، لدخله وراءهم المقلِّدون، هذا مع حرص الإسلام البالغ في تشريعاته وتوجيهاته على أن تظل الشخصية المسلمة مستقلة متميزة في مخبرها ومظهرها، حتى لا يسهل ذوبانها في غيرها، وبالتالي تفقد خصائصها ومشخصاتها[١].

إن الرسول ﷺ يخبرنا من خلال حديث شريف آخر أن أمة الإسلام سوف تتعرض لكثير من المَخَاطِر والتَّحديات، ويلمح الرسول ﷺ أنه لكي يتمكن المسلمون من مواجهة التحديات والمخاطر التي سيتعرضون لها من الأعداء، يجب أن تكون لهم شخصية قوية، وهُوية مَتِينة يحافظون على مقوماتها، لا أن يكونوا كغُثَاء السِّيل، يقول ﷺ: «**يُوشك أن تَتَداعَى عليكم الأمم؛ كما تتداعى الأكلة على قصعتها**»، قالوا: أفمن قلة يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**لا؛ بل أنتم يومئذٍ كثير، لكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المَهَابة من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**»[٢].

المطلب الثاني: مواجهة تذويب الهوية الإسلامية:

فالأعداء يتآمرون على الأمة المسلمة لنَهب خيراتها، وتقاسم ممتلكاتها الحضارية، وهذا يتحقق بأحد أمرين: إما بالاستعمار المباشر، وهو ما حصل للأمة منذ مدة، وإما بالتَّبعيَّة للأمم الأخرى في شتى المجالات، وهو حاصل الآن، وهو ما لا يَتَأَتَّى إلَّا بذَوَبان الأمة في حضارة تلك

---

(١) محمد، سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص٢٦٢-٢٦٣، ١٩٩٤م، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٥، ص٢٧٨، والطبراني في الكبير رقم ١٤٥٢، وأبو نعيم في الحلية ج١، ص١٨٢.

الأمم، وغياب النموذج الذي بناه الرسول ﷺ مما يُصيب الأمة في حضارتها وكيانها ووجودها، فلا يكون لها شأن بين الأمم[(١)]؛ رَغْم كثرة أبناء هذه الأمة.

ويُفهَمُ من الحديث هجوم الأعداء -مهما اختلفت أنواعهم- على المسلمين مُستخدمينَ كافة أسلحتهم، وشتى الوسائل الممكنة في محاولة منهم لتذويب هُوية المسلمين، وزَعزَعة شخصيتهم، وزلزلة كيانه حتى لا تقوم لهم قائمة، ونظراً لهذا الهجوم تتعرض الأمة الإسلامية والعربية لكثير من المخاطر والتحديات، التي يجب عليها مُواجهتها بكل قوة وصلابة.

إن التحديات التي تواجه الأمة العربية والإسلامية هِيَ تحديات حضارية، وإن مُواجهتها لن تكون مُجدِية إلا إذا راجعت الدول العربية أمورها، وشرعت في إرساء مشروع حضاري يغطي كافة جوانب الحياة؛ كما أنه لا توجد دولة عربية تستطيع بمفردها مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها[(٢)]، وخاصة تلك التحديات التي تتعلق بالجانب التربوي، فهي تحتاج إلى تكاتُفٍ جماعي إسلامي عربي.

وقد تمثلت أهم هذه التحديات كما تم توضيحه من علمانية وعولمة، واستشراق وغزو فكري.. الخ.

إن مهمة مُواجهة هذه التحديات أمر يقع على عاتِق التربية -كما سيأتي توضيحه- فمن خلال التربية يمكن أن نحدد شكل ذلك الغد الذي توجد به تلك التحديات، فبالتربية تتحدد القِيَم، والمعارف، والمهارات، والسلوكيات التي يتطلبها ذلك الغد؛ بل تتحدد التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والمستوى الصحي للساكن بالمجتمع، كما تساعد التربية في عملية التغلُّب على

---

(١) بنكيران، محمد، الوعي الحضاري المطلوب، ص٩٥، ١٩٩٥م، منار الإسلام العدد الخامس السنة الحادية والعشرون، وزارة الشؤون والأوقاف، الإمارات.

(٢) عبد الحليم، أحمد المهدي، التحديات التربوية للأمة العربية، ص٥٤، ١٩٩٩م، دار الشروق، القاهرة.

المعوقات والمشكلات، التي تعتبر بمثابة قُيُود على المجتمع تمنع انطلاقته، على أن يكون ذلك في إطار المُحافظة على الهُوية العربية والإسلامية[(١)].

وهنا لابد من التنبيه على أمر في غاية الأهميَّة وهو دعوة بعضهم إلى هُوية أخرى غير الهُوية الإسلامية، مثل الدعوة إلى الهُوية العربية، والتعصب لها وحدها، بدون أن تقترن بالإسلام، فأشبهت دعوته بذلك الشعوبية القديمة، والتعصب لجنس معين، وهنا لا بد من تقرير أمر في غاية الأهمية، وهو «اقتران العروبة بالإسلام منذ أمَدٍ بعيد في حضارة واحدة، وتاريخ مشترك؛ بل شعر العالم كله بهذا الرباط القوي الجامع، فالعالم إذا تصور الإسلام لا يستطيع أن ينسى العرب الذين آمنوا به، وطوفوا أرجاء العالمين برسالته، وإذا تصور العروبة لا يستطيع أن ينسى الدين الذي أعلَى شأنها، وجَمَع من شتاتها دولة قدمت للإنسانية أزكى المثل، وأرجح القيم، إن الإسلام لا ينفك عن العروبة أبداً، ذلك أن القرآن الكريم –وهو دستور المسلمين– لغته هي اللغة العربية»[(٢)]، ومن ثَمَّ لا بد من تقرير حقيقة مُؤدَّاها «أن الإسلام كان العامل الأول في بناء الدول العربية والإمبراطورية الإسلامية فيما بعد»[(٣)].

أما مُجَرَّد الدعوة إلى هُوية عربية فقط، وتعريتها من الإسلام بدعوى التقدم والمدنية، فذلك أمر مرفوض؛ لأن العروبة والإسلام مُرتبطان ولا انفِكاك بينهما؛ لذلك قال أبو هريرة: «أحبوا العرب وبقاءهم، فإن بقاءهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام»، قال جابر بن عبد

---

(١) محمد، ممدوح الصدفي، وفرغل عبد الحميد، التحديات التربوية التي تواجه العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين، دراسة تحليلية، ندوة رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ص١٦–١٧، ١٩٩٨م، الأقصر.

(٢) الغزالي، محمد، حقيقة القومية العربية، ص١٢، ١٩٩٨م، نهضة مصر، القاهرة.

(٣) يوسف، خليل يوسف، القومية العربية ودور التربية في تحقيقها، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص٨٠، ١٩٦٢م، تربية عين شمس.

الله: «إذا ذلت العرب ذل الإسلام»، فمن أين إذاً جاء التشكيك في هذه الصلة بين العروبة والإسلام؟ فزعم بعض الزاعمين أن الإسلام ليس عنصراً أصيلاً في مُقومات العربية، وأراد آخرون أن يعروا الإسلام من صفة العربية[١].

والصراع الكبير اليوم في أكثر من بلد عربي وإسلامي هو صراع التعليم، وتفريغه من كل ما يُنشِئ الروح الإسلامية، والعقلية الإسلامية، والنفسية الإسلامية، ومحاولة استغلال فترة غياب الهُوية، وتَذَبذُب الأصالة، وظهور تيار التغرب للهَيمَنة بالقوة على التعليم، والتوجيه، والإعلام، والتثقيف[٢].

ولهذا لا بد من توجيه التربية توجيهاً إسلاميّاً، وقد يكون من العجب طلب ذلك في ديار العرب والمسلمين؛ ولكن ستزول الدهشة حين العلم أن مُعظَم بُلدَان العالم الإسلامي قد أصَابَهَا الضَّعف والهَوَان، وأصاب نظام التربية والتعليم فيها ما أصاب الأمة الإسلامية نفسها من تَمزُّق وضياع، كان من عوامله أن جميع الأقطار الإسلامية عانت لفترة طويلة من التخلُّف، منذ بدأ توقف الحضارة الإسلامية عن دورها القيادي، كما أن الفترة التي سبقت توقف الاستعمار الحديث كانت فترة خمول حضاري وثقافي في العالم الإسلامي، وكان النشاط الثقافي والعلمي مقصوراً على الشروح، والتقليد، والتَّكرار، وظهور حركات استقلالية في جميع الأقطار الإسلامية قامت على أُسُس قومية ضيقة محددة، وظهور قيادات تُؤمن بالواقع الانفصالي عن الأمة الإسلامية[٣].

---

(١) حسين، محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، ص٢٠٠-٢٠٢، ١٩٧٥م، مؤسسة الرسالة، القاهرة.

(٢) القرضاوي، يوسف، الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص١٧٧ وما بعدها، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٣) علي، سعيد إسماعيل، نظرات في التربية الإسلامية، ص١٩٣-١٩٤، ١٩٩٩م، مكتبة وهبة، القاهرة.

إن التربية وهي تضطلع بمهمتها في تخريج أجيال مسلمة ذات هُوية إسلامية في كافة مجالات العلم، لَيَنبغي عليها التنبُّه إلى أمر مهم، وهو الحَذر من الانفصام بين ثقافة المسلم وبين أصوله الدينية، وما هذا إلا تقليد أعمى، فمن خلال المدرسة والجامعة والمنهج، ومن خلال التربية، والتوجيه الإعلامي والفكر تمكّن الغرب من فرض رؤيته العلمانية، وأحياناً المادية على مسحات واسعة من علوم المسلمين، وآدابهم، وفُنونهم، وأنشطتهم التربوية، وتحقق لهم –بعد جهد لم يكلل بالنجاح الكامل– الفصام بين العلوم بعامة، وبين إطارها الإيماني[١].

ولهذا فإن التربية عند المسلمين تحتاج إلى تخطيط شامل واعٍ مع إقامة كيان تربوي إسلامي عربي، تستطيع به مُجابهة كل ما هو دخيل عليها، بحيث لا يصير المسلمون تابعين لغيرهم، ويستطيعون أن يرجعوا هويتهم قوية بكافة مظاهرها ومكوناتها؛ لأنه لم يعد خافياً على أحد في العالم الإسلامي ما منيت به نظم التربية والتعليم من فشل ذريع[٢]، ولا يستطيع أحد أن يغفل دور وسائل الإعلام بأنواعها، وقيامها جنباً إلى جَنب مع التربية بمؤسساتها بالدور الفعّال في تدعيم الهُوية الإسلامية؛ ولكن وسائل الإعلام تحتاج إلى تخطيط شامل وإعادة نظر، وتغيير لما هي عليه من وضع متردٍّ، خاصة وقد ندد المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة الإسلامية المنعقد عام ١٣٩٧هـ بالمدينة المنور بالهُوّة السحيقة التي تردى فيها الإعلام، ولا يزال يتردّى عن علم من القائمين به أو عن جهل منهم[٣].

ومما سبق فإنه لابد للنهوض بالهوية الإسلامية، والاعتزاز بها من خلال الاعتناء بأدوات تلك الهوية، من مواجهة للتحديات والعمل على الاهتمام بالجانب التربوي الإسلامي وغير ذلك من السبل التي تعمل على إحياء الأمة والرُقي بها.

---

(١) خليل، عماد الدين، مؤشرات حول الحضارة الإسلامية، ص٣٤.

(٢) جريشة، علي، حاضر العالم الإسلامي، ص٤٥، ط٥، ١٩٩٩م، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٣) علوان، عبد الله ناصح، الشباب المسلم في مواجهة التحديات، ص١٤٢، ١٩٩٣م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

المبحث الثاني

الانفتاح وضوابطه

مفهوم الانفتاح:

«هو الاستفادة العلمية والفنية الصحيحة من الغير دون المساس بالقيم والعقائد والمبادئ والهوية»(١).

فلابد عند الانفتاح، من التمسك بالقيم والعقائد، والمبادئ والهوية، وإلا سبب الانفتاح التبعية وأدى إلى نتائجها السلبية ويمكن أن ينقسم الانفتاح إلى ما يلي:

أ- انفتاح الفكر وتعني نمط تفكيري منفتح على أفكار الآخرين والاطلاع عليها.

ب- انفتاح العمل وتعني الطريقة التي تعتمد على أسلوب الاحتكاك بالآخرين وممارسة العمل بينهم.

ج- انفتاح الوسائل: وتعني الاستفادة القصوى من كل أدوات الانفتاح وفق الضوابط والموازنات الشرعية(٢).

المطلب الأول: مشروعية الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي:

يشهد عالمنا اليوم تسارعاً مذهلاً في الاكتشافات العلمية والثورات الثقافية والابتكارات التكنولوجية، والسباق الحضاري على أشده والتفوق العلمي على أوجه والثقافات المتباينة لا تتوقف عن التدفق وقدّر الله تعالى أن تكون هذه التطورات وأصحاب هذه الثقافات هي أمة دينها

---

(١) أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل، ص٩٠، ط٣، ١٩٩١م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض.
(٢) الراشد، محمد، التربية الدعوية في زمن الانفتاح، ص١، الانترنت، ٢٠٠٤.

مبدل ومحرف. فوقفت الأمة الإسلامية واجمة، لأن الانفتاح المطلق على هذه الثقافات والابتكارات سيؤدي إلى زعزعة عقيدتها وفقدان هويتها، جراء هذا السيل الجارف من العلوم والثقافات. والإغلاق والتقوقع الذاتي انتحار حضاري مؤكد. لذا لابد من توضيح مشروعية الانفتاح على الثقافات الأخرى.

كان القرآن الكريم -ولا يزال- نافذة على الأمم والتاريخ منذ أوائل نزوله فقد اطلع العرب والعالم على حضارات سبقت واندثرت وعلى ديانات مضت، وعلى أمم معاصرة لنشأة الإسلام مثل فارس والروم ويساق من قصصهم وحياتهم ما فيه عبرة لأولي الألباب، وحكى أنواعاً من سلوك الأمم وعاداتها وتقاليدها وفساد مناهجها، فحكى عن قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع، ومأأصابهم من سنن الله من الظالمين والطاغين، وعبر القرآن الكريم عن القوانين الاجتماعية وترك للاعتبار غيرها بعد ذكر العناصر التي تؤدي إلى استنتاجها[(١)].

ونزلت الآيات على رسول الله ﷺ مسايرة لتطورات العصر، وتعمل على تشكيل مجتمع متكامل له دستوره؛ لتنظيم علاقات المسلمين في متجمعهم وفيما بينهم وبين الآخر من غير المسلمين، دون تعصب وإكراه واضطهاد وتجاوز لكل الاختلافات، والفوارق الدينية، والعرقية، واللونية، والطبقية، وأبطل النظرة الجاهلية التي تعتمد على التفاخر بالأنساب والأحساب التي تولد الصراعات، ورسم الرسول الأكرم الطريق الإنساني للتفاهم. والتعايش مع الآخرين لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى[(٢)]. فالخلق أو الناس كلهم عباد الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعباده[(٣)].

---

(١) بدوي، محمد، الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص٤٠، مجلة صدى الإسلام، العدد ٣، ١٩٨٥م، بيروت.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) مبارك، هاني، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، ص١١، ط١، ١٩٩٧م، دار الفكر المعاصر، دمشق.

وسيرة الرسول ﷺ تضع المَعلم البارز للانفتاح فحث رسولنا الأكرم على اقتباس كل علم نافع ينفع الإسلام وأهله، ولو كان من عند غير المسلمين، كما استفاد من أسرى المشركين في بدر في تعليم أولاد المسلمين الكتابة قال رسول الله ﷺ: «**الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها**»[١]، انفتح الرسول الكريم على الثقافات الأخرى دون حرج في الأخذ والعطاء لجلب الصالح والنافع من النتائج الفكرية والعلمية ولبناء أمة حضارية.

فقد روى البخاري في كتاب العلم عن أنس بن مالك قال: «**كتب النبي كتاباً أو أراد أن يكتب، فقيل له: إنهم لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، نقشه محمد رسول الله، كأني أنظر إلى بياضه في يده**»[٢]، ولم يكن حفر الخندق للدفاع معروفاً عند العرب، ولكنه كان من فنون الفرس، وكان الذي أشار إلى حفره سلمان الفارسي، فقال: «**يا رسول الله! إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر رسول الله ﷺ بحفره، وعمل فيه بنفسه**»[٣].

وصار الصحابة على هدي رسول الله ﷺ في الانفتاح والتواصل مع العلوم وقامت الدولة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ واستغلت ما خلفه المجتمع الجاهلي من أدوات ووسائل مدنية مثل أساليب الزراعة والبناء والحرب والقتال والملابس والأدوات المنزلية والحرفية المتنوعة، وتلك المدنية ثمرة لتجارب الإنسان في الأرض، تتناقله الشعوب وليس من إنتاج أمة واحدة، بل كل أمة ساهمت بنصيبها فيها، وتتفاعل الشعوب بعضها مع بعض في الاستفادة من هذه الخبرات، وتلك الصناعات. وكان بداية مراحل الانفتاح الذي ساعد على قيام الدولة الإسلامية أن من يدخل

---

(١) الترمذي برقم (٢٦٨٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وقد سبق تخريجه.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، ج٣٦، ص٦٥، ١٩٩٧، المكتبة المصرية، بيروت.

(٣) محمد بن جرير، الطبري، تاريخ الأمم والرسل والملوك، ج٢، ص٩١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الإسلام ينصبُّ التغيير التام على عقيدته وشريعته وفكره وأخلاقه وقيمه، ويعلن انسلاخه التـام عن عقائده السابقة، ويتقبل عقائد الدين الجديد ليصبح في زمرة المؤمنين، ويبقى جانب آخـر لا يمسه التغيير، وهو خبرات الإنسان في جانب الحياة الدنيوية مـن تجـارب الآداب المرتبطـة بمهنته، فإن كان تاجراً تعلم آداب التجارة وأحكام البيع والشراء ونحو ذلك، وإن كان مزراعـاً تعلم ما يمس نشاطه من أحكام مثل الزكاة ونحوها. واحتك المسلمون بالحضارات من أهل البلاد المفتوحة وأدى ذلك إلى اختلاط العناصر المختلفة، وتلاقي الأفكار وتبادل الثقافات[١].

إن الإسلام قد دفع أبناءه دفعاً قوياً إلى نشر الثقافة الإسلامية والتعـرف علـى الثقافـات الأخرى، ودراستها ومقارنتها بما عندهم والاستفادة بكل ما فيها من خير، والتقـدم الحـضاري ميراث الإنسانية كلها ولا يمكن احتكاره لشعب دون شعب «إن من العوامل الفاعلة في أصـول المدنية التي وضع العرب أساسها، شدة ما كانوا عليه من الذكاء فإنهم ما كادوا يخرجـون مـن صحارى بلادهم حتى اتصلوا بالمدنية اليونانية واللاتينية، فاستغربوا شـأنها ثـم مـا لبثـوا أن راضوها على أسلوبهم وطريقتهم. وتحمس العرب لدراسة العلم الجديد الذي خرجوا إليه بـنفس الحماسة التي اندفعوا بها فاتحين، ولم تعقهم أثقالُ عاداتٍ وأوضاع قديمة، فإن الحرية في البحث كانت أحد العوامل التي أسرعت بانطلاقهم في طريق الرقي، ولم يمض زمن قصير حتى طبعوا الهندسة، والفنون، والعلوم بطابعهم الشخصي الذي تُعرف به آثارهم لأول وهلة»[٢].

ودخل المسلمون البلاد الواسعة مع تنوع ثقافاتها واختلاف مناهجهـا وفهمهـا للإنـسان والكون والحياة. وبالفطنة والذكاء وضوابط الشرع استطاعوا الانفتاح على أساس رباني محـدد

---

(١) مبارك، هاني، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، ص٤١، -بتصرف-.

(٢) التويم، خالد، التبعية الفكرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي، ص٢١٢، ١٤١٧هـ، رسـالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

واستطاعوا الثبات على الإسلام والعقيدة والنهوض بالحضارة الإسلامية ورأينا هذه الأجيال تنفتح انفتاحاً مبدعاً بوعي بعيداً عن التقليد والجمود والتعصب.

كما تألقت حضارتنا الإسلامية وعظم شأنها بين الحضارات وكانت أنموذجاً للانفتاح الحضاري المبدع.

فتفاعلت مع الحضارات الأخرى، فأثمر ذلك المزيج الثقافي الذي أثرى الحضارة العربية الإسلامية بعبقريات الشعوب التي دخلها الإسلام وانتشر في ربوعها، وقد طبع الإسلام هذه الشعوب بطابعه الحضاري وترك بصماته القوية على سلوكها العام، وجعلها تتشابه في ثقافتها العامة وانصهرت هذه الشعوب في المجتمع الإسلامي الجديد، ومنحته كل ما لديها من تجارب حضارية وثقافات قديمة، كما اقتبست الحضارة الإسلامية ونقلت من حضارات الهند والصين وإيران والآشوريين والبابليين والفنيقيين والإغريق والرومان وسواها من الحضارات ولم تكتف الحضارة الإسلامية بالأخذ والاقتباس بل قامت بامتصاص الثقافات وهضمها وأفرزت لنا شهداً خالصاً، ورحيقاً إسلامياً متميزاً بالحرص على عقيدة التوحيد وعدم التعارض معها[١].

وتعددت الدعوات للانفتاح بين علماء المسلمين، لإدراك أهميته ودوره الحضاري فدعا الغزالي إلى الانفتاح على العلوم مهما كانت موضوعاتها قائلاً: «العلم شريف بذاته من غير النظر إلى علم المعلوم حتى علم السحر هو شريف بذاته وإن كان باطلاً لأن العلم ضد الجهل، والجهل من لوازم الظلمة، والظلمة من حيز السكون، والسكون قريب من العدم، فالجهل حكمه حكم العدم، والعلم هو الوجود والوجود خير من العدم»[٢].

---

(١) الجعفري، بن حسن، الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية، ص١٠، ٢٠٠٠م، دار الأندلس الخضراء، جدة.
(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج١، ص٥٥، ٢٠٠٣م، مكتبة الصفا، القاهرة.

إن الانفتاح حقيقة واقعة وهو ضرورة شرعية وحضارية للتواصل مع العلوم والمعـارف والنتاج الفكري للأمم الأخرى ويحقق الغاية من الوجود الإنساني، وهي حمـل رسـالة النبيـين بالهداية والنور إلى كل الخليقة ومساعدة الأمة على النهوض والالتحاق الإسلامي لا يعنـي أنـه فكر ضعيف غير راسخ القدمين عالة على غيره، بل هو فكر مستقل ذو شخصية متميزة يـستمد قوته من القرآن والسنة، ولكنه فكر إنساني موجه إلى البشر كافة، متفتح على أفكارهم وتجاربهم وخبراتهم وعلومهم وكما هو قادر على إثرائها، وتهذيبها، وتقويمها، فهو قادر على الاسـتقلال والتميز بأن يأخذ من كل ما يفيد الإنسان ويصلح شؤونه ويحسن مستوى حياتـه، ويحقـق لـه أسباب القوة والتقدم بشرط عدم تعارض ذلك مع مصادره الربانية القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: أهمية الانفتاح:

تعددت أهمية الانفتاح ومبرراته فكانت الأهمية العلمية، والأهمية الاجتماعيـة والثقافيـة، والأهمية الشرعية، والأهمية الحضارية، والأهمية التربوية.

أ- الأهمية العلمية:

اصطفى الله سبحانه وتعالى نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام وأعده لحمل رسالة الإسلام التي جعلها الله ختام الشرائع السماوية وخاطب بها البشرية في مختلف العصور وسائر بقاع الأرض وجعل أساسها وركيزتها الأولى العلم والخلق وكانت أول آية من آيات القرآن الحث على العلم والتعلم يقول عز وجل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[1]، ولإشعار الناس بتقدير العلم والتعلم أقسم بأداة الكتابة والتعلم في قوله عز وجل: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾[2]، وقوله تعالى:

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) سورة القلم، الآية: ١.

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1].

والعلم في القرآن والسنة ليس خاصاً بعلم الشرائع وأحكام الحلال والحرام وحدها بل التفقه في كل ما يدعم الدعوة وكل ما يوسع المدارك ويبصِّر الإنسان بأمور الحياة، ويفيده توفيقاً وقدرة على الاستفادة بكل ما خلق الله لسعادة البشرية. إن إدراك طبيعة الأرض وما يحيي مواتها ويضيف إلى عمارتها ويجعلها تنبت وتثمر وتعمر، علم مطلوب دراسته وتعلمه وما يصلح الحيوان ويسخره لخدمة الإنسان واكتمال الانتفاع به، علم يدعو القرآن إلى تعلمه.

والطرق المشروعة لتحصيل المال واستثماره على الوجه الذي ينظم موارده ومصادره ويمنع التحكم والاحتكار ويزيل الحقد والغل من النفوس علم يجب التعرف إليه والتسلح به والتعرف على الصناعات بأنواعها التي تيسر للإنسان سبل الحياة وتمكنه من الانتفاع بالقوى الكاملة فيما خلق الله، علم مطلوب منا الوقوف عليه[2].

والعلم الذي تحفظ به الأنفس من التهلكة ومقاومة الأمراض والعلل وطرق علاجها والوقاية منها علم يجب التزود به وكل ما يمكن إعداده من قوى ندفع به الأذى والعدوان، علم يجب التسلح به، فالعلم العنصر الأول من عناصر الحياة في نظر الإسلام فيه حارب الإسلام الجهل في كل وكر من أوكاره، ولا شك: «أن تعلم علوم الصناعات وكل ما ينهض بشؤون الحياة يعتبر فرض كفاية حتى تكفي الأمة احتياجاتها من جميع ما تحتاج إليه»[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٢) بدران، جميل وحبيش علي، نحو حضارة إسلامية مستقبلية أساسها الإيمان والعلم، ص١٣، ٢٠٠٢م، انترنت.

(٣) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج١، ص٩٥.

فإذا قام به بعضهم سقط عن الجميع، وإذا لم يقم به أحد أثم الجميع.

لقد مضى المسلمون في الانفتاح العلمي الشامل حتى نقلوا كتب اليونان والرومان والفرس إلى العربية في أواخر عهد بني أمية والدولة العباسية، وفي كتب التراجم عجائب من سعة الثقافة والاطلاع على العلوم عند علماء المسلمين الأوائل ممن لم يلج في البدع والعقائد الضالة المنحرفة. وقد وجد فيهم من الحرص والشغف بالكتب قراءةً وتحصيلاً الشيء العجيب، فقد كانوا يكررون قراءة بعض الكتب المهمة مئات المرات، ويقرؤون المطولات في المجالس المعدودة قراءة ضبط وتدقيق، ويدرسون الكتب مرات كثيرة وكذلك الأمر في نسخ الكتب وكتابتها. وقول أحد علماء المسلمين: «أعرف عشرين علماً لم يسألني عنها بالقاهرة أحد»[١].

وهذه بعض الإشارات التي تدل على مدى إبداع علماء السلف وعمق علومهم واطلاعهم، والمتأمل في علمهم وعملهم يدرك أن أبرز سبب في عمق علومهم هو انتهاجهم للمنهج الرباني، والسير على درب الأنبياء، وتعظيم حق الله تعالى ورسله وكتبه. فإن من جهل الله تعالى وحقه فهو بغيره أجهل؛ حتى لو تزين بلباس الثقافة والاطلاع[٢].

ونظراً لأهمية العلم والعلوم وعلو شأنها عند أسلافنا فقد روت كتب التاريخ: «أن هارون الرشيد إذا ما انتصرت جيوشه في معركة يقصر طلبه عن تعويض خسائر الحرب على تسليمه نفائس الكتب حتى تترجم إلى العربية وينتفع بما فيها من معلومات. وقد سلك ابنه الخليفة المأمون مسلكه، حتى قال: «إن الأسلحة العقلية التي يتسلح بها في سبيل الإسلام وتدعيمه هي

---

(١) الهذلول، عبد، الانفتاح الثقافي ابن تيمية نموذجاً، ص٣، المجلة الثقافية، العدد١٤٢٨، ٢٠٠٧م، ، صاحب القول العالم أبو البقاء السبكي، (ت٧٧٧هـ).

(٢) السلمي، عبد الرحمن، الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه، ص٣، مجلة القلم، العدد ١٤٢، ٢٠٠٥م، الرياض.

الكتب والمعلومات»، ولما أسر المسلمون الأولون عدداً كبيراً من الصينيين وكانوا ذوي خبرة في صناعة الورق خيّرهم الحاكم بين الاسترقاق وبين تحريرهم بشرط تعليم العرب صناعة الورق حتى تعلم المسلمون هذه الصناعة وأصبحوا المتخصصين بتلك الصناعة في عهد الخليفة المنصور، وهكذا سار المسلمون الأوائل لبناء الحضارة الإسلامية على هدى قرآنهم وسبيل رسولهم للتعلم والاستفادة»[١].

ولا شك: «أن من حُسن حظنا نحن المسلمين أن ديننا لا يضيق بالدعوة إلى العلم والتقدم كما قد يتوهم الذين لا يعرفون الإسلام ويريدون أن يجروا عليه ما جرى على الأديان الأخرى كتاريخ الكنيسة الغربية طوال عصور الوسطى عند الغرب وأكدوا على أن العقل ضد الوحي وأن العلم عدو الدين، وأن الدين خصم التواصل والتفاعل مع العلوم، أما الإسلام فلم يعرف هذه المشاكل»[٢].

لذا نرى أن حضارتنا الإسلامية على مدى ثمانية قرون أعطت بوفرة وكرم وأثرت وتأثرت بالحضارات في كثير من العلوم، ونقل العرب إلى الهند والصين أثناء صلتهم بها قسماً كبيراً من معارفهم العلمية كما دخلت علوم العرب الصين على أثر الغارة المغولية، فقام الفلكي الصيني الشهير كوشو كينغ في سنة ١٢٨٠ بترجمة رسالة ابن يونس في الفلك وأذاعها في بلاد الصين، وكانت ترجمات كتب العرب العلمية المصدر الوحيد للتدريس في جامعات أوربا نحو ستة قرون وظلت الحضارة الإسلامية شامخة في انفتاحها دون أن تتأثر أو يزيغ منهجها القويم واستفادة الحضارة الإسلامية بما عند الغرب من كفاءات ورأينا مفكرين إسلاميين كثيرين حفظوا الكتاب والسنة لغة وتفسيراً وفقهاً، وكان هذا دليلاً على عظمة الإسلام الذي استوعب جميع البشر والشعوب ولم ينبذ إلا ما هو ضار ومخالف لشريعتها[٣].

---

(١) بدران وحبيش، نحو حضارة إسلامية مستقبلية أساسها الإيمان والعلم، ص١٥، (مصدر سابق).

(٢) القرضاوي، يوسف، الإسلام وحضارة الغد، ص١٤٥، ط١، ١٩٩٩، المكتب الإسلامي، القاهرة.

(٣) خافجي، محمود أحمد، العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، ص١٢، ط١، ١٩٩٠م، دار الأدب، القاهرة.

لا شك أن العلم هو طوق نجاة المسلمين من غرق واقع ومحتم لذا علينا الانفتــاح علــى علوم الآخرين وثقافتهم على هدي الوحي لأنها ضرورة علمية حــث عليهــا الإســلام فبــالعلم والإيمان تبنى الحضارات كما علمنا أسلافنا، وكان المسلمون بوحيهم المنزل ورســولهم بيــنهم يعلمهم ويرشدهم نحو الحضارة والتقدم قد نهجوا درب الانفتاح والتعلم ورسولهم من كل ما هــو جديد ونافع، لذا وجب علينا أن نحذوا حذو رسولنا وسلفنا في الأخذ من علم العصر الذي قطــع فيها الأوربيون والأمريكيون واليابانيون...، مراحل كبرى، وقفزوا قفزات واسعة ووضعوا بهــا أقدامهم عل سطح القمر. فنحن بأمس الحاجة إلى النهوض والاستفادة من كل ما يساعدنا لبنــاء أمتنا وحضارتنا.

ب- الأهمية الاجتماعية:

جاء الإسلام مسايراً لتشكيل مجتمع بدأت نواته في مكة المكرمة، ثم اكتملت آياتــه فــي المدينة المنورة، وأصبح القرآن دستور المسلمين ومصدر التشريع الأول، لتنظيم حياتهم وكــان في سنة الرسول الأساس لتنظيم علاقات المسلمين في مجتمعهم، وفيما بينهم وبين الآخــر، مــن غير المسلمين وعلى هذا الأساس القويم، انطلق المسلمون في العصور الأولى للانفتاح للتفــاهم والتعايش مع غيرهم من المسلمين، ومع الشعوب والأجناس المتنوعة، انطلاقاً من آيات الــذكر الحكيم التي قال فيها عــز وجــل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾[1].

ولقد جاءت الآيات مؤكدة على التعايش بين المجتمعات والبشر ونبذ كل ما يؤدي إلى البغض والتحاسد والكراهية وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[1]، وكما دعا القرآن للتفاهم بين البشر والتواصل بين المجتمعات، لأن التعايش بين الأمم والانفتاح عليها يخلص الأمم من الانغلاق والجمود الذي نبذه الله تعالى والذي أكد على أن الانغلاق هو طريق الهلاك، فأخذ القرآن الكريم على كثير من الأمم التي رفضت التواصل مع المجتمعات الأخرى وتزمتها في علاقتها معها مثل اليهود والنصارى ورفضها النظر فيما عند الآخرين رفضاً كاملاً يقول عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[2].

كما ندد القرآن الكريم كذلك بالأساليب التي تعتمد الحكم المسبق والتي تصدر أساساً من انغلاق سلبي وأبرز ما في أصحاب هذا الأسلوب أنهم ينهون عن اتباع الآخرين في الوقت الذي ينأون عنهم ويرفضون حقيقة ما ينهون عنه، ويضيف أن مصير أصحاب هذا الموقف المنغلق الجامد هو الانعزال المؤدي إلى الهلاك، يقول عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[3].

والانفتاح الاجتماعي مع الآخرين هو ما جرت عليه الأمة الإسلامية في أول أمرها والتعامل الراقي معها، دون تضييق عليهم في الحديث عنهم والنظر في كتبهم، مؤكداً ذلك رسول

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٣.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٢٥-٢٦.

الله ﷺ في حديثه: «عن أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه مر بجنازة فقال: رجل من اليهود فقال: يا محمد! هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله ﷺ: الله أعلم، قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم. فقال رسول الله ﷺ: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم»[(١)(٢)].

وقد وردت نصوص متعددة من الكتاب العظيم والسنة النبوية الكريمة لتأكيد كل صور التفاعل الاجتماعي مع أهل الكتاب ومن تلك الآيات يقول عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[(٣)].

وأكد القرآن على أهمية جواز التعامل مع غير المسلمين، قائلاً في الذكر الحكيم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ﴾[(٤)]، ولهذا جاز ائتمان أحدهم على المال، كما جاز أن يستطب المسلم على أيدي الكافر إذا لم يجد ضالته عند المسلمين، كما جاز أخذ علم الطب وغيرها من العلوم من كتبهم، فهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة[(٥)]، وجاء في حديث أبي هريرة المشهور: «حيث وكله النبي ﷺ بحفظ المال، فجاء شخص وحثا من المال فقبض عليه أبو هريرة وتوعده برفعه

---

(١) أبو داود، سليمان بن أشعث السجستاني، ١٣٩٣هـ، سنن أبي داود، ج٣، ص٣١٨، ط٣، دار الحديث، بيروت.

(٢) الطريقي، عبد الله إبراهيم علي، الثقافة والعالم الآخر الأصول والضوابط، ص٥٥، ط١، ١٩٩٥، دار الوطن، الرياض.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٥) التويم، خالد، التبعية الفكرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي، ص١٤١.

إلى رسول الله ﷺ فوعد بأنه لا يعود فعاد، ففعل به أبو هريرة أول مرة، وفي المرة الثالثة قبض عليه فقال له: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، قال أبو هريرة: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ فلما أخبر أبو هريرة الرسول ﷺ قال: ذاك الشيطان، أما إنه صدقك وهو كذوب»[١] وهذا الحديث يحمل رسائل واضحة للمسلمين بأنهم قد يتلقون الحكمة من الفاجر الذي لا ينتفع بها ويأخذوها وينتفعوا هم بها[٢].

ولكن هذا الانفتاح والتعامل والاستفادة من غير المسلمين يجب أن يستند إلى اتساق قيمي ثابت ويكون له موقفه الجاد إزاءها نابع من الثوابت الإسلامية، حتى لا يصبح المسلمون ورقة هشة معلقة في الهواء تتقاذفها رياح الواقع الاجتماعي والقيم الوافدة والخاملة الموروثة، حيث إن المسلم من بين العالم كله، لديه ثوابت يقينية تنسجم تماماً مع قوانين الفطرة وما يقـرّره العقل السليم ومؤهلات التقدم، فضلاً عن أن هذه الثوابت تصدر عن وحي كريم ثابت، لا مرية فيه ولم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٣] .

إن علينا الاتصال والتفاعل مع الآخرين، مع الانتباه والحذر من التأثيرات الخارجية، التي تسعى للنيل من الأمة واقتلاع جذورها، لذا يجب أن ينصب الانفتاح على أساس التمييز بين ما يؤخذ للفائدة وما يؤخذ للتقمص، والذوبان، فهناك ثوابت ثقافية إسلامية وهوية مميزة وتاريخية يحرم المساس بهما مهما كانت المبررات والغايات المرجوة.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، ج٢، ص٨١٢.

(٢) الطريقي، عبد الله إبراهيم علي، الثقافة والعالم الآخر، ص٥٦.

(٣) عويس، عبد الحليم، الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل، ص٦٩، ط١، ٢٠٠١م، دار الوفاء، المنصورة.

ج- الأهمية الثقافية:

إننا جزء من عالم مليء بالحركة وقد تحولت خطاه إلى وثبات فسيحة في هـذا العـصر، وأعداؤنا يصارحون بكراهيتهم العميقة للإسلام، وتخطيطهم للإتيان عليه لم يتوقف لحظة واحدة لذا علينا سبر أغوار الانفتاح الواعي والمنضبط للإحاطة بالاماد التي بلغها غيرنا.

لقد أصاب مجتمعاتنا الإسلامية انحطاط فكري عام على الرغم من حركة النهـضة فـي العصر الحديث، وقد ساعد على ذلك الصراعات الفكرية وحملات التغريب والدعوات الهدامـة، حتى أصبح عالمنا الإسلامي أكثر عرضة من ذي قبل للتلوث الثقافي لاسيما في ظـل الانفتـاح الثقافي غير المنضبط على الثقافات المتعددة(١).

ويجب «علينا كمسلمين أن نكون مطلعين على ألـوان مختلفـة مـن الثقافـات الدينيـة والاجتماعية، ومطلعين على فلسفات الشرق والغرب وعلى دراية بالمؤلفات التنصيرية الخاصة بالمستشرقين لنستطيع الرد والمجابهة القوية على الافتراءات التي لحقت بالإسلام والمسلمين(٢).

إن الانفتاح الثقافي المنضبط الذي يسعى لمعرفة ثقافات غير المسلمين وفلسفاتهم، لنأخذ ما يفيدنا ونرد كل ما يتعارض مع ثقافتنا الإسلامية، وَرَدُّ كلَ بضاعةٍ فاسدة دُست لتنال من الإسلام والمسلمين، هو واجب وضرورة ثقافية ملحة لكل مسلم غيور يسعى لرفع راية الإسلام خفاقة.

د- الأهمية الشرعية:

تمر الأمة الإسلامية بمنعطفات خطرة وتآمر عدواني، وتتعرض لمؤامرات من أعـدائها تستهدف تقويض أركان ديننا الحنيف، كما تواجه مخططات وتآمر عدواني، يهدد صميم حقوقها،

---

(١) عويس، عبد الحليم، الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل، ص١٥-١٦.

(٢) الواسع، عبد الوهاب، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، ص١٩٠، ٢٠٠٢، مكتبة العبيكان، الرياض.

لذا وجب على كل أبناء الأمة العمل الجاد المخلص، وبالعزيمة الحاسمة، لمجابهة هــذا الواقــع وعليها أن تقف صفاً واحداً متراصاً للعمل والدعوة لإحباط المخططات التــي تــسعى لتــشويه الإسلام والمسلمين[١].

وتزداد الآيات التي تحث وتثني على ضرورة أن يقوم المسلمون بالتبليغ عن الله عز وجل وتحدد لهم ماذا يفعلون؟ وإلى أي شيء يدعون؟ ولم تقتصر الدعوة على زمن أو أمــة بعينهــا، فالرسول عليه الصلاة والسلام قام بتبليغ الدعوة لجميع خلق الله تعالى ولم يكتف بتبليغ رســالته لمن حوله فقط، بل أرسل رسله إلى العالم كله، وحملهم بكتب يدعو فيها إلى الــدين الإســلامي الجديد دين كل الناس في كل الأمكنة والأزمنة فأرسل إلى هرقل وكسرى وكانا علــى دولتــي الرومان والفرس وإلى المقوقس في مصر وأرسل إلى نجاشي الحبشة، وأرسل إلــى الحــارث الغساني وأرسل إلى عامل كسرى على اليمن كما تعدت الوفود التي وفدت على النبي ﷺ مــن جزيرة العرب ومن خارجها طلباً لهذا الإسلام الذي جاءهم نبأه رغبة في فهمه وتعلمه لينــذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ويهتدون، فالدعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس وتبليغــه لهم في كل زمان ومكان واجب المسلمين القادرين على التبليغ وقال الربيع بن أنس: (حق علــى من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالذي دعا إليه رسول الله وأن ينذر بالذي أنذر به)[٢].

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يعبث الله علــيكم عقاباً من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٧.

(٢) محمود، علي، عالمية الدعوة الإسلامية، ص٤٣٥، ط١، ١٩٩٢م، دار الوفاء، المنصورة.

(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص٤٦٨.

كما ارتبطت خيرية هذه الأمة ارتباطاً وثيقاً بدعوتها للحق، وحمايتها للدين، ومحاربتها للباطل؛ لأن أمة الإسلام دعوة ورسالة، وليست أمة عنصرية منغلقة على نفسها، كبني إسرائيل، فهي أمة هداية وليست أمة جباية، ذلك لأن قيامها بهذا الواجب يحقق لها التمكين في الأرض، ورفع راية التوحيد، وتحكيم شرع الله ودينه، وهذا هو ما ميزها عن غيرها من الأمم، وجعل لها من المكانة ما ليس لغيرها، ولذلك امتدحها الله تعالى في كتابه العزيز قال عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾[١].

والمتأمل في أحوال الأمم الغابرة، يجد أن بقاءها كان مرهوناً بأداء هذه الأمانة، وقد جاء في القرآن الكريم ذكر شيء من أخبار تلك الأمم، ومن أبرزها أمة بني إسرائيل التي قال الله فيها: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾[٢].

ونرى أن الرسول ﷺ في رحاب هذه الآيات انطلق لحث الصحابة على الدعوة والاجتهاد وبذل الغالي والنفيس من أجلها وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٣]، ونرى أن المسلمين في بدء تاريخهم حملوا عقيدتهم في قلوبهم وعقولهم بكل إخلاص، وخرجوا من جزيرة العرب لنشرها في بلاد الشام، والعراق، وفارس وبلاد ما بين النهرين، ومصر، وأفريقيا فكانت دعوتهم صادقة خالصة فهي دعوة واضحة المعالم إنسانية الملامح[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة المائدة، الآيات: ٧٨-٧٩.

(٣) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ج١، ص٦٨، ١٩٥٥، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٤) الواسع، عبد الوهاب، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، ص٢٠٦.

فكانت دعوتهم مخلصة بالموعظة الحسنة التي نهضت بدولة الإسلام العظيم، لأنها دعـوة منضبطة وفق ما أمر به رب العزة قائلاً: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(1)، وتعد هـذه الآيـات منهاجاً متكاملاً للدعوة إلى الله ورفع شأن الإسلام وعزته(2).

إن الانفتاح ضرورة لجميع البشرية، وللمسلمين خاصـة، لأن الإسـلام رسـالة البـشر أجمعين، كما قام رسولنا الكريم بأداء رسالته إلى أهل الأرض مشارقها ومغاربها، وسار علـى هديه صحابته الكرام، فكانت دعوتهم كما أمرهم في جميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، وفي ليلهم ونهارهم وحضورهم وسفرهم وسرهم وعلانيتهم رضي الله عنهم ونحن اليوم في أمس الحاجـة إلى دعوة العالم والسعي لنشر تعاليم ديننا والتصدي للقوى المتحالفة ضد الإسلام والعاملة علـى تمزيق كلمة المسلمين وتسعى إلى قتل الإسلام في نفوس المسلمين.

هـ- الأهمية الحضارية:

يدعو الإسلام المسلمين إلى التقدم الحضاري ويجعله جزءاً لا يتجزأ منهُ، فالـدين دولـة ومادة وروح وثقافة وحضارة وعبادة وقيادة كما هو دنيا وآخرة، والحضارة التي تفتقد ركنا من هذا الأركان حضارة عوراء عقيم.

كما يجعل الإسلام التقدم الحضاري وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله وقبول الهدى، فهـا هي بلقيس ملكة سبأ لم تقبل دعوة نبي الله سليمان عليه السلام حتى بهرها بحضارته العظيمـة قـال تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ

(1) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(2) محمود، علي، عالمية الدعوة الإسلامية، ص١١٤.

﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[١]، لذا كان على المسلمين النهوض والسعي وراء كل ما يجلب لهم الخير ويبني حضارتهم المسلوبة، فالعلم والدين والعمل، أسس بناء الحضارات فوجه سبحانه وتعالى المسلمين إلى العلم والاستزادة قائلاً: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[٢]، كما حث الإسلام على أخذ العلم من أهل الخبرة والاختصاص قائلاً في كتابه الكريم: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٣].

كما أكد علماؤنا أن كل علم تحتاجه الأمة لنهضتها وحضارتها إذا لم تقم به الأمة ببعض أفرادها أثمت جميعاً، حتى قالوا: إن احتاج المسلمون إلى صناعة إبرة ولم يوجد بين المسلمين من يحسن صناعتها فكل المسلمين آثمون، وطالب الإسلام بتحسين مستوى العلم والعمل قائلاً: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[٤].

إذن الدين والعلم والعمل المتقن جميعها وسائل للبناء والوصول للغاية الأساسية لعلو الأمة وسمو شأنها بين الأمم، فالأمة مطالبة بأن تكون في مكان الأستاذية للأمم، التي يعبر عنها القرآن بشهادتها على الناس وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٥]، ويفسر ابن كثير هنا الأمة الوسط بأنها أرفعهم مقاماً وأشرفهم نسباً وأجودها علماً وعملاً. فكيف لأمة اختارها الله سبحانه وتعالى لتشهد على الناس وهي أقل الأمم حضارة وعلماً[٦].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣.
(٤) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد زغلول، ج٤، ص٣٣٥، ط٧، ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٦) القرضاوي، يوسف، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص١٠٣-١٠٤، ط١، ١٩٩٤م، مكتبة وهبة، القاهرة.

فإنه يجب على الأمة -من وحي هذه الآيات[1] - أن تتفوق في كل ما يعزز مكانتها، ويعينها على أداء رسالتها الحضارية، وفي مقدمة ذلك العلم الذي جعله الله المرشح الأول لاستحقاق الإنسان الخلافة في الأرض كما يدل عليه قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3].

فلا يجوز للأمة المسلمة أن تظل عالة على غيرها وأن ترضى بالبقاء فـي ذيـل القافلـة البشرية، وموضعها في الطليعة فيجب أن تكون سيدة أرضها ولا سلطان لأحـد عليهـا فهـي بالإسلام تعلو ولا يُعلى عليها، وتحكم ولا تُحكم. لذلك يجب أن تعد لأعدائها القائمين والمحتملين ما استطاعت من قوة، دفاعاً عن حرماتها، وذوداً عن دعوتها وتمكيناً لحضارتها، وإرهاباً لعـدو الله وعدوها وإن كان العلم والتكنولوجيا التي ثمرته وسيلة لبناء الحضارة كان الواجب الحتمـي والشرعي على المسلمين ضرورة الانفتاح على العلوم مهما يكن الأمر في أصـل هـذا العلـم ومصدره فهو علم غربي وهو أحد مستلزمات العصر ولا حضارة لنا إذا لم نعبه عبا، ولا يكفينا منه مجرد الارتشاف، ولابد من الوصول إلى درجة الإحسان في هذا العلم فإن الله كتب الإحسان على كل شيء[4].

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٠٣-١٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ٣٢-٣٣.

(٤) القرضاوي، يوسف، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص١٠٣-١٠٤.

لذا وجب على المسلمين أن يكونوا مركز القوى دائماً كما أمرهم الله تعالى. وللعلـــم فـــإن أغلب العلوم والفنون المعاصرة قد ظهرت من قبل في ظل الحضارة الإسلامية الزاهرة فـــاقتبس الأوربيون من تلك النهضة الإسلامية واستفادوا من علوم المسلمين فطوروها وأضافوا إليها حتى وصلوا إلى ما وصلوا من التقدم التكنولوجي والتقنية العلمية المتطــورة، فـــإذا عـــاد المجتمـــع الإسلامي ردت إليهم ضالتهم التي فقدوها وغفلوا عنها[١] فيوم كانت أوربا تعيش فـــي ديـــاجير الظلام، كانت حواضر المسلمين في بغداد والقاهرة والقيروان والأنـــدلس تـــشع فكـــراً وعلمـــاً وإبداعاً، لأن العقل فيها كان حدوده الفضاء الواسع وكانت أعمدة ارتكازه القرآن والـــسنة مـــع اجتهاد محكوم بالنص[٢].

وهنا يجب أن نعلم أهمية التفاعل بين الحضارات، فليس للمـــسلمين بـــدينهم وحـــضارتهم أن يعزلوا أنفسهم عن الحضارة الإنسانية في مرحلتها الراهنة انتظاراً لانهيارها وسقوطها وهم يحسبون أنهم يستطيعون وقتها القفز في الفراغ لإقامة الحضارة الإسلامية المجددة فهي لا تقوم علـــى هـــذا النحو، فكل حضارة هي طور حضاري في الحضارة الإنسانية العامة، لا تقوم إلا في ظل حـــضارة سابقة أو طور سابق فتستفيد من مناخه وتشتمل كل خير فيه ثم تحتويه وتتجاوزه بما تقدمه من قـــيم ومنجزات ولا يعني ذلك أن يقبل المسلمون كل جزئيات الحضارة القائمة بل لا بد أن يحكموا في كل عصر معايير قيمهم في تحديد الإيجابيات والسلبيات وتقرير ما يأخذون وما يدعون[٣].

إن النهضة والحضارة الإسلامية المنفتحة التي تأخذ وتبني وتعمر لترتقي بأمة الإسلام أمر لا يغفله عاقل ولكن عليها أن تأخذ في عين الاعتبار، الثبات على مبادئها ومنهجها لتحافظ علـــى وجودها وحضارتها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) رقيط، حمد، التقدم الحضاري في الإسلام، ص٦٤، ط١، ١٩٩٩م، دار ابن حزم، بيروت.

(٢) السعدون، حميد، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، ص١٤١، ٢٠٠٢م، دار وائل.

(٣) عثمان، عبد الكريم، معالم الثقافة الإسلامية، ص١٤٣-١٤٤، ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

و- الأهمية التربوية:

يجمع المصلحون على أن الإصلاح عملية مركبة معقدة، لا يمكن أن تتم برفع الشعارات وتنميق اليافطات وإصدار الأوامر وتكثير القرارات، فالإصلاح وليد الصلاح، وصلاح الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع والنظام والأجهزة والمؤسسات وهذا لا يمكن إنجازه إلا بتربية واعية علمية موضوعية متفتحة، تستلهم عقيدة الأمة وتراثها، كما تستلهم احتياجاتها وتصوراتها لمجتمع الغد[١].

ويعد موضوع التربية وتنمية قدرات المعلم وتربية المتعلم وفق سمات المنهج الجديد والنظم التعليمية الحديثة وهو موضوع الساعة الذي يشغل بال العلماء والمفكرين والتربويين، وعقدت من أجله المؤتمرات والندوات العالمية، إلى حد أن كبار الخبراء الأمريكيين وصف هذا السباق في تغيير النظم التعليمية بأنه سباق أولمبي جديد، كيف لا؟ وهو موضوع حاسم يقرر مستقبل الأمم. حيث نرى أن ما وصلت إليه الأمة الإسلامية كان وما زال بسبب التربية والنظم التعليمية القائمة التي أسقطت العالم العربي والأمة الإسلامية في الذل والإهانة والفرق والخصام كان سببه فقدان الإطار الفكري والثقافي وغياب فلسفة تربوية نابعة من روح الفكر التربوي الإسلامي ومتطلبات روح العصر، وذلك بسبب التقليد، أو التبعية، أو الجمود أو رفض التغيير أو بسبب الانفتاح الأعمى، حيث قام دعاة التقليد والتبعية باقتباس كل فكر وسلوك من هذه الحضارات دون تفريق بين ما يتلاءم مع عقيدة الأمة وتراثها ففتحت الأبواب على مصاريعها للتربية والثقافات، والنظم الغربية[٢].

---

(١) أبو دف، محمود، التربية الإسلامية، ص١٢، ط٢، ٢٠٠٤م، الجامعة الإسلامية، غزة.

(٢) أبو جلالة، لمياء، الدور التربوي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في مواجهة تحديات العولمة وسبل تطويره من وجهة نظرهم، ص١٣٥، ٢٠٠٣م، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.

كما أن التربية التي تجمد ولا تتطور، ولا تتيح لخريجيها أن يضيفوا للثقافة مـــا يلزمهـــا ويرتقي بها إبداعاً وابتكاراً، لا تقف على ساعديها ولا ترى النور ولا تنهض بأمتها؛ لذا كـــان لا مناص من تطوير العملية التربوية وتحسينها وتجديدها لأن لكل جيل حاجته التربوية، في ضوء واقعه الاجتماعي والثقافي[١].

ولعل الانفتاح التربوي لكسب تجارب الآخرين والاستفادة منها تضمنتها دعوة صريحة في القرآن الكريم لتلمس مظاهر التقدم وتطورها في قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾[٢] لذا فـــإن الانفتـــاح علـــى خبرات الآخرين، بقصد تجديد التربية وتطويرها من خلال تنمية الاتجاه نحـــو التفـــتح الـــذهني بمعنى رفض التزمت والجمود العقلي فالشخص المتفتح ذهنياً يحتـــرم وجهـــة نظـــر الآخـــرين وآرائهم ويأخذها في الاعتبار، كما أنه يكون مستعداً لتغيير آرائه وأفكاره، في ضوء ما يـــستجد من أدلة ويتخلى عنها، إذا ثبتت أنها خطأ[٣].

فالتربية والتعليم حالياً ومنذ سنين تواجهها فترة تغيير وتطوير لا مثيل لها نتيجة لما يقدمه العالم في مجال المعلومات والتقنيات الأمر الذي يتطلب التفكير العميق والتفاعل الجاد مع حركة المستقبل متطلباته، وتظهر صعوبة هذا الانفتاح على العالم بشكل قوي ومـــؤثر علـــى العمليـــة التعليمية، لأن التدفقات الهائلة من المعلومات نقمة على العملية التعليمية إن لم نحـــسن التأمـــل والتعقل والانفتاح عليها كما أن الانغلاق يؤدي بها للتراجع والتخاذل والهوان بين الأمـــم، لـــذا الانفتاح على النظم التربوية والثورات المعلوماتية الهائلة يترتب عليه جـــدوى تغييـــر المنـــاهج

---

(١) بركات، لطفي، تحديات القرن الواحد والعشرين في التربية، ص١٥٠، ١٩٩٨م، العربي، القاهرة.

(٢) سورة الروم، الآية: ٩.

(٣) عطيفة، أحمدي أبو الفتوح، التربية وتنمية الاتجاهات العلمية مـــن منظـــور إســـلامي، ص١١٥، ١٩٩٥م، الوفاء، المنصورة.

التربوية ليواكب الظروف ومتطلبات مجتمع المعرفة خاصة وأن المجتمع يركن إليه بمسئولية إعداد العقول الوثابة التي تستطيع أن تتحمل مسئوليات الحاضر والمستقبل على السواء كما يجب الاستفادة من هذا الانفتاح في إعداد جيل ذي مقومات ثقافية وعقلية وإكسابه مهارات تكنولوجية وإكسابه قدرات إبداعية وابتكارية، كما نسعى لنحصل على طلبة على قدر من المسئولية[١].

وتظهر أهمية الانفتاح التربوية لتحقيق التجديد التربوي وفق المنهج الإسلامي، ليسير بالإنسان نحو الأفضل والأكمل ويؤدي لتطوير العملية التربوية في إطار حضاري، بعيد عن الهمجية[٢].

إن الأهمية التربوية للانفتاح جلية وواضحة الأثر على الأمم والشعوب لأن تقدم الأمم تقاس بتربيتها وتعليمها، كما أن الأمة الإسلامية ومكانتها وتربيتها يجب أن يكون متميزاً عن باقي الشعوب، لأنها تربية مستمدة من منهاج رباني عظيم وفلسفة تربوية واضحة، لذا فالاستفادة من التربية الغربية وغيرها يجب أن يكون تحت إطار هذه التربية الرباني لتحقيق التميّز للأمة الإسلامية على غيرها من الأمم.

المطلب الثالث: ضوابط الانفتاح:

إن الدعوة إلى الانفتاح على الفكر العالمي هي دعوة إسلامية صحيحة وأصيلة وقائمة منذ فجر التاريخ الإسلامي، حيث إن مبدأ الانفتاح على العالم فكرياً وثقافياً له آثاره المفيدة في العلوم الدنيوية، ولكن يجب أن يكون هذا الانفتاح بضوابط لأخذ المفيد وترك الضار من كل حضارة وفكر؛ للمحافظة على الخصوصية التي تميز المسلمين عن غيرهم.

---

(١) ابرهيم، مجدي عزيز، المنهج التربوي وتحديات العصر، ص٣١٦، ٢٠٠٢م، عالم الكتب، القاهرة.

(٢) الشيباني، عمر، فلسفة التربية الإسلامية، ص٧٧، ١٩٧٥م، المنشأ الشعبية، طرابلس.

أولاً: الاستهداء بالعلم الشرعي:

إذا كان كثير من شؤون الحياة تتغير وتتطور، بل قد ينقلب رأساً على عقب، فإن ثمة أموراً كثيرة ثابتة في حياة الأمة، لا تتغير بتغير الزمان، ولا تتطور بتطور الإمكانات والقدرات العقلية، وكل أمة لها ثوابتها، ولها ثقافتها المتميزة التي تنطلق منها وتفخر بها، وأمة الإسلام ذات التميز الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي لها ثوابتها وأصولها الراسخة رسوخ الجبال، والتي لا تقبل التغيير أو التطوير أياً كانت الأحوال، ومهما بلغ العقل من النضوج الدنيوي فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية، فهذا التغيير في ظواهر الحياة والأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة للتصور الإسلامي. ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة، ولكن يقتضي السماح لها بالحركة، بل دفعها إلى الحركة، ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت(١).

إذن العلم بالشريعة الإسلامية ضرورة لمعرفة دين الإسلام وتطبيقه والعمل به، وهو أيضاً ضرورة للانفتاح الفكري على الثقافات والآداب غير الإسلامية، فالانفتاح المفيد يكون بعد تصور عقيدة الإسلام وأحكامه تصوراً صحيحاً والثقة بها ورد كل ما يخالفها من عقيدة أو عمل(٢).

ويلزم لمن أراد الانفتاح الاطلاع على مصادر الشريعة في كتاب الله وسنة نبيه المصطفى، أن يكون راسخاً في العلم الشرعي، امتزج نور الوحي بعقله، وسمعه، وبصره، حتى أصبح عنده معياراً وميزاناً شرعياً فلا يسمع قولاً، ولا يرى عملاً، ولا يجول في قلبه فكرة إلا وقد وزنها على ميزان الإسلام، لأن العلم الشرعي هو نور يرى به الإنسان طريقه في هذه الحياة، فإذا ما استصحب الباحث معه (نور الوحي) ودخل في المدنية الغربية المعاصرة وتجول في أرجائها وفي

---

(١) الطريقي، عبد الله إبراهيم علي، الثقافة والعالم الآخر الأصول والضوابط، ص٧٧.

(٢) السلمي، عبد الرحمن، الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه، ص١٥.

قصورها، وأسواقها ومصانعها ومدارسها؛ فإنه يرى كل شيء على حقيقته، قد زالت عنه أصباغ التجميل وأغطية الزور والتدليس، فلا ينخدع بالمظاهر الزائفة، ويميز بين الحق والباطل، وبين الداء والدواء، فينقل ما يراه على حقيقته نافعاً لقومه، ويترك ما يراه ضاراً لأهله، ومن لم يرسخ في العلم الشرعي فإنه أشبه ما يكون بالأعمى الذي يدخل دارا فيتلمس ما يعثر عليه ثم يحمله لقومه ولا يعلم ما في الدار من النفائس والدرر والمجوهرات وما فيها من الحجارة والثعابين والعقارب والهوام الأخرى، فقد يحمل النفائس والثعابين لقومه، لأنه لا يبصر شيئاً، بينما من رسخ في العلم الشرعي واستضاء بنوره فإنه يدخل القصر وهو يبصر كل شيء يتجول في أركانه وسرادقه، ويحمل ما يراه نافعاً وثميناً ويترك ما يراه مضراً ومهلكاً وخطيراً[١].

وأساس هذه المعرفة العلم الشرعي الذي يساعد على فهم الثقافة الإسلامية بخصائصها الذاتية، ومكوناتها الأساسية، وفهمها من مصادرها الأصلية، وليس من المصادر الهامشية أو المدخولة، أو المنحولة، أو الواهية، وفهمها من أهلها غير المجروحين، ناهيك بغير أهلها من الدخلاء عليها الغرباء عنها، ويجب فهمها بأدواتها ومناهجها الخاصة لا بأدوات ومناهج غريبة عنها مفروضة عليها، ولقد رأينا من يرفض رواية صحيح البخاري ومسلم، ويأخذ برواية كتاب (الإمامة السياسية) وهو كتاب لقيط منحول يعزى لابن قتيبة الدينوري، ت٢٧٦هـ، ونرى من يستند إلى روايات عن عصر الفتنة الكبرى ذكرها الطبري بأسانيد واهية مردودة، فاعتبر هؤلاء أن مجرد ذكرها من قبل عالم كبير أنها ثقة ولم يتحر أو يبحث ليتأكد أن الطبري بريء من هذا التوثيق، إذن على الباحث السعي والتحري والرجوع إلى علم الرجال قبل البحث أو الأخذ بأي علم[٢].

---

(١) التويم، خالد، التبعية الفكرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي، ص٢٢٨.

(٢) القرضاوي، يوسف، الحل الإسلامي بين الجمود والتطور، مجلة حولية، ص٤١-٤٥، العدد ٤، ١٩٨٥م، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، الدوحة.

إذن فإن العلم بالشريعة الإسلامية ضرورة لمعرفة دين الإسلام وتطبيقه والعمل به، وهــو أيضاً ضرورة للانفتاح الفكري على الثقافات والآداب غير الإسلامية فالانفتاح المفيد يكون بعــد تصور عقيدة الإسلام والثقة بها، ورد كل ما يخالفها من عقيدة أو عمل أما الانفتاح قبل العلم فإنه مزلق خطير يجعل صاحبه يتخبط في الأفكار والمناهج والفلسفات، ويقع فيما يخالف وينــاقض أصول دينها وعلى الأقل يتسلل إليه الشك في صحة دينه والشعور بالنقص نحوه.

ثانياً: الاعتزاز بالانتماء للإسلام:

إن الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام هو المؤثر الأول في صنع هذه الثقافة، والذي وجههــا وجهته، وصبغها بصبغته: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[١].

هو الذي حدد الأهداف ورسم المناهج، وأعطى الحوافز، وأرسى الدعائم، وربى الإنــسان الذي يفكر ويريد ويتحرك في ضوء كتابه الهادي للتي هي أقوم، وسنة رسوله الــذي جعلــه الله أسوة حسنة للمؤمنين، وختم برسالته كل رسالات السماء، هذا الاعتزاز بالانتماء الإسلامي هــو واجب على كل مسلم رضي بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً، وبمحمــد ﷺ نبيــاً ورسولاً، فعليه الاعتزاز بدين الله الواحد، دين الرسل جميعاً، ويعتز برسالة محمد عليه الــصلاة والسلام، وأنه الرسول الخاتم الذي بعثه الله مصدقاً لما بين يديه، ومصححاً لما حرف وبدل مــن الرسالات، ومتمماً لما جاء به مما كان مناسباً للزمان والمكان وحال الإنسان، ويعتــز بــأعظم كتاب أنزله الله، وهــو القــرآن، الــذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[٢]، فهو دستور الخالق، وقانون السماء لهداية الأرض إنه الكتاب الــذي تحــدى العــرب فأعجزهم ولا يزال تحديه قائماً، وإعجازه متجدداً، ومما يزيد اعتزاز المسلم بأنــه ينتمــي إلــى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

الرسول ﷺ ويتكلم بلغة القرآن، ويفهم عن الله ورسوله دون ترجمان، فهذا الاعتـــزاز بوجـــود أصل يرجع إليه ويهتدي بهديه، أما الغرب فليس لهم ما يعتزون به أو ينتمون إليه[١].

إن ضابط الاعتزاز بالإسلام والانتساب إليه، إنما هو من أهم أسباب رفعة الأمة وطريـــق نصرتها ويجعل المرء قوياً يدافع عن دينه العريق الذي سينقذ البشرية من ظلم الظالمين، ويؤمن بفكره ومبادئ عظيمة سترفع الإنسانية من الهوان والذل إلى العلو والرفعة باستقلالية وتميز.

ثالثاً: الانتفاع الواعي بتراثنا وعدم إهماله:

يجب علينا قبل الانفتاح أن نجتهد في الانتفاع بتراثنا الغني، والغوص في خضمه الزاخر، لاستخراج لآلئه وجواهره، في الدين، واللغـــة، والأدب، والعلـــم، والفـــن، وســـائر المواريـــث الثقافيـــة البنـــاءة، التـــي خلفهـــا الآبـــاء للأبنـــاء، والأجـــداد للأحفـــاد، إن غربلـــة التـــراث واستخلاص الصحيح والمفيد من عيونه، وما يحتويه من الفكر الذي صدر عـــن روح الإســـلام وغاياته لا عن الخرافات أو الانحرافات، أو الفلسفات الوافدة، أو الأعراض والأمـــراض التـــي ألمت بروح الأمة وفكرها على مر العصور؛ ليتحقق التمكن باستخلاص المختارات التراثية في كل مجالات العلوم والفنون، والقضايا الحياتية المعاصرة، وتيسير هذه المختـــارات وتحليلهـــا، ليتمكن الباحثون من إدراك وفهم أفضل لرؤية السلف الإسلامية، وكيف حرك ذلك الفهم نفوسهم فحولوا تلك الرؤية إلى مناهج قويمة قادرة تنعكس في الأفعال وفي السلوك، مكنتهم من حل مـــا واجههم من قضايا وصعوبات حياتية، وفتحوا بها للحضارة والإعمار البـــشري آفاقـــاً جديـــدة ومجالات واسعة[٢].

---

(١) القرضاوي، يوسف، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص٤٩-٥٠، مصدر سابق.

(٢) الفاروقي، إسماعيل، أسلمة المعرفة والمبادئ العامة وخطة العمـــل، ص١٧٢، ط٢، ١٩٨٤، دار البحـــوث العلمية.

ولا يتصور أحد أن أمة عريقة في الحضارة والثقافة أن تهمل تراثها وتاريخهــا الأدبــي والثقافي، وتبدأ من الصفر، أو من التسول لدى الغير؛ فهذا ما لا يقبلــه علــى نفــسه فــرد ولا جماعة؛ لأن تسول الأغنياء رذيلة تنكرها الأخلاق، وجريمة يعاقب عليها القانون، إننا لسنا مــع الذين يضفون القدسية أو العصمة على كل ما مضى، ولا مع خصومهم الذين ينأون بجانبهم عن كل موروث، لا لشيء إلا لأنه قديم، ولكن لابد لنا من التخير والانتقاء وخصوصاً فــي مجــال التربية والتثقيف، ولهذا أشرنا إلى أهمية الوعي والانتقاء، لأن الوعي هو الذي يميز بــين مــا يصلح وما لا يصلح وبهذا نستطيع أن نستبصر التراث، ونحن نقف على أرض صلبة، نقــرؤه ومعنا هادٍ من خارجنا هو الوحي وهادٍ من داخلنا هو العقل(١).

إنه لا يمكن أن يكون للأمة الإسلامية موطئ قدم بين مختلف الحضارات الإنــسانية دون أن يكون لديها وعي كامل بتراثها؛ لتستلهم منه الحسن وتوظيفه لبناء حــضارتها، لأن ضــعف صلة أمة بتراثها وتاريخها يفقدها كينونتها الذي هو أساس الإقلاع الحضاري.

رابعاً: عدم الانبهار بثقافة غيرنا:

الانبهار بثقافة غير المسلمين، وآدابهم، وأفكارهم، ومناهجهم هو دليل على عــدم العلــم بالإسلام، والاعتزاز به، والثقة المطلقة بصدقه، ودلالته على الفلاح، والهداية في الدنيا والآخرة. وهو من جهة أخرى يدل على ضعف شخصية المنبهر، وهزيمة نفسه وقصور فكره، ومن كانت هذه حاله فلن يتجاوز التقليد المجرد، أما التجديد والتطوير والإبداع والابتكــار فــلا يمكــن أن يحصلها المنبهر حتى يفوق من سكر انبهاره بالغير ويقوم بنقده نقداً واعياً؛ ليأخذ ما يفيده ويــرد ما عداه إن من أخطر المنفتحين المحذور انفتاحهم المبهورين بثقافة الآخر، حــين ينظــر إليــه

---

(١) القرضاوي، يوسف، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص٦١-٦٧، -بتصرف-.

مضخماً من شأنه، معظماً من فكره، شاعراً بالدونية تجاهه لسبب أو لآخر، فكل ما قاله هذا الآخر. فهو صدق، وكل ما رآه فهو صواب، وكل ما فعله فهو جميل.

وانفتاح المسلم على ثقافات الأمم الأخرى يجب أن يكون بعد العلم ومع الالتزام ودون ابنهار؛ ليعرف نعمة الله تعالى عليه، أو للاطلاع على الصناعات والمخترعات المفيدة في قوة المسلمين أو غيرها من المصالح المشروعة. وأي أمة جادة تريد تطوير نفسها لا يمكن أن تسمح بالانبهار بالآخر بين ابناءها، فنرى أنه لما ذهب جيل من اليابانيين إلى الغرب رجع وهو يلبس الجينز ويقلد الغرب في كل شيء، ذبحهم حاكم اليابان وأرسل جيلاً آخر لم يتأثر بشيء من العادات أو الأفكار بل تعلم التقنية، وكيفية تطويرها، فأصبحت من الدول الصناعية المنافسة[١].

إن على المسلمين قبل الانفتاح التحرر من أغلال الانبهار بصنم الحضارة الغربية الحديثة وبما تحمله من فلسفة للحياة والدين حتى يستطيعوا التمييز بين ما هو غث وما هو سمين.

خامساً: الانتقاء الواعي والاصطفاء اللائق:

الإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة الإنسانية: الروحية والمادية، والفردية والجماعية، والعلمية والعملية، وهو دين ثابت في قواعده وعقائده، إنه تصور رباني جاء من عند الله بكل خصائصه، وبكل مقوماته، وتلقاه الإنسان كاملاً بخصائصه هذه ومقوماته؛ لا ليزيد عليه من عنده شيئاً، ولا لينقص كذلك منه شيئاً، ولكن ليتكيف هو به وليطبق مقتضياته في حياته وهو من ثم تصور غير متطور في ذاته، إنما تتطور البشرية في إطاره وترتقي في إدراكه، وفي الاستجابة له وتظل تتطور وتترقى، وتنمو وتتقدم، وهذا الإطار يسعها دائماً، وهذا التصور يقودها دائماً، لأنه المصدر الذي أنشأ هذا التصور هو نفسه المصدر الذي خلق الإنسان هو

---

(١) السلمي، عبد الرحمن، الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه، ص٢٧.

الخالق المدبر، يعلم طبيعة هذا الإنسان وحاجات حياته المتطورة في داخل هذا الإطار فالانفتاح الثقافي والتطور والتجديد والإبداع ونحو ذلك، لا يمكن أن تصادم هذا الدين إذا كانت صحيحة وحقاً، أما إذا كانت باطلاً فمن الطبيعي أن يعارض الباطل الحق، والخطأ الصواب.

باستقراء واقع الثقافة الغربية يتبين أنها لا تخلوا من واحد من ثلاثة أمور: نافع، أو ضار، أو لا نافع ولا ضار، فأما النافع منها: كالنظريات العلمية التي يشهد لها الوحي، والتراتيب الإدارية، وعلوم الطب، والهندسة، ونحوها، فمثل ذلك ينبغي الاستفادة منها، وأما الضار منها كالفكر الديني بصفة عامة، مما يتعلق بالعقائد والتصورات، والعبادات ونحو ذلك، ومثل الفكر الإلحادي كله بنظرياته وفلسفاته، سواء كان ضرره على الدين، أو النفس أو العقل، أو المال، أو العرض فمثل هذا لا يجوز أخذه أو نشره في بلاد المسلمين، مهما كانت الدوافع، وأياً كانت الوسائل، أو الأساليب[١].

كما تعد العلوم الاجتماعية والتعليم وبما يشتمل عليه من نظم ومناهج يعد من أخطر الجوانب وأشدها فتكاً بالأمة إذا نقلت على عواهنها من بيئتها التي نشأت فيها إلى المجتمع الإسلامي دون معيار ضابط للأخذ والرد، ولذلك يجب التعامل مع العلوم من الفلسفة المادية المغلفة لها ثم تطوع وتدخل في ظل المذهبية الإسلامية الشاملة لتلبي دوافع المجتمع الإسلامي وأهدافه وحاجاته[٢].

وأما ما لم يظهر نفعه أو ضرره فإنه محل نظر واعٍ وانتقاء ذكي لائق بهذه الأمة وتميزها ويجب التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام، تفتح له الأبواب والنوافذ، بل يطلبه العقلاء،

---

(١) الطريقي، عبد الله إبراهيم علي، الثقافة والعالم الآخر الأصول والضوابط، ص٦٦.

(٢) عبد الله، صالح، المنهاج الدراسي -أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية- ص٢١، ط١، ١٩٨٦م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

ويجدّون في السعي لتحصيله، وبين ما هو خصوصية حضارية، يدققون بحذر قبل استلهام أي ثقافة، ويعرضونه على معايير حضارتهم لفرز ما يقبل منه ويتمثل، من ذلك الذي يرفضونه لما فيه من تناقض مع هويتهم الحضارية وقيمهم الاعتقادية والله خلق الإنسان ومنحه القوى والملكات مما يجعله قادراً على تحمل أمانة المسؤولية وتقرير مصيره بيده[1]، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ١٠٤﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[3].

سادساً: الانفتاح مع الالتزام بالوسطية:

إن المقصد الأجل من هذا الانفتاح يتوقف توقفاً أساساً على الالتزام بوسطية الإسلام فكراً وسلوكاً وممارسة وتطبيقاً. ومقتضى هذا الالتزام بهذه الخاصية الأزلية للإسلام أن يتجنب المسلم فرداً ومجتمعاً في انفتاحه مع الآخر الغلو بجميع أشكاله وصوره، فالغلو إما في التقديس أو في التجريح يعمي البصر، ويقضي على البصيرة، ويحول دون أي تفاعل وانفتاح ايجابي مع الآخر، كما أنه يجب على المسلم فرداً ومجتمعاً أن يتجنب الجفاء والجور عند تواصله مع الآخر، فالإسلام يحرم الظلم والجَور وغَبن الناس حقهم. وبناء على هذا، فإنّ ما نراه اليوم من غلبة الغلو والجفاء على جميع مراحل الانفتاح والتواصل مع الآخر وهذا يعود إلى غياب لغة الوسطية، ومنهج الوسطية، وسلوك الوسطية عن تلك الدعوات والنداءات، ذلك لأن الوسطية تعصم الذات فرداً ومجتمعاً من الانهيار والانحلال معاً، كما تعصمه من الذوبان والاندثار. أما الغلو بحسبانه اعتداء صارخاً على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، يفضي بصاحبه والمجتمع

---

(١) الطريقي، عبد الله إبراهيم علي، الثقافة والعالم الآخر الأصول والضواب، ص١٠١، مصدر سابق.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧.

الذي حوله إلى الانهيار الماديّ السريع والزوال المعنوي الأكيد، وكذلك الحال في الجفاء والجور والظلم، فإنه هو الآخر يدمر الذات فرداً ومجتمعاً، ويقضي على جميع سبل التعـاون والتكامـل والتفاعل. وبطبيعة الحال، ونرى الآيات والأحاديث المتعددة التي تدعو الفرد والمجتمع إلى تمثل الوسطية والاعتدال في جميع أفكاره، وتصرفاته وعلاقاته ومعاملاته ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[١]. والجدير ذكره أن مصطلح العدل فـي القرآن الكريم مرادف لمصطلح الوسطية[٢]، وذلك لما بينهما من تلازم ذاتـي، إذ لا عـدل ولا عدالة إذا لم تكن ثمة وسطية، ولهذا فالآيات القرآنية الواردة في الأمر والحث على العدل، تعـد في حقيقتها آيات واردة في الأمر بالوسطية.

على أن الإسلام لم يكتف بالأمر بالوسطية والاعتدال، وإنما أردف ذلك بالنهي الـصريح الواضح الجلي عن الغلو والجفاء والتنطع وجميع أشكال الظلم والاستعلاء والاعتـداء، فـالغلاة والمتنطعون ظلمة وعصاة مغضوب عليهم عند الله، وعند الملائكة والنـاس أجمعـين مـصداقاً لجملة الأحاديث الواردة في النهي عن الغلو والجفاء والتنطع[٣].

والوسطية تعد في محصلتها قدرة فذّة على الالتزام والتوازن والانضباط وعـدم الجنـوح صوب اليمين أو الشمال أو الشرق أو الغرب عند التعامل مع الآخر. والوسطية بهـذا المعنـى الحضاري الشمولي هي التي جعلت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت على الأمم، كما أنها هـي التي تستطيع أن تجعل من الأمة الإسلامية اليوم أمة شاهدة على غيرها من أمم الأرض، ذلـك لأنها تمكنها من الإشراف المتوازن على غيرها، فلا تميل ولا تجور[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) راجع الكلام في تفسير الآية في بداية الدراسة.

(٣) العجلان، علي محمد، وسطية الإسلام، ص١٥، العدد ١٣٥، ٢٠٠٥م، مجلة الرياض، الرياض.

(٤) عمارة، محمد، الإسلام المستقبل، ص١٨٩، ط٣، ١٩٩٧م، دار الرشاد، القاهرة.

إنّ الوسطية في هذا المقام تعدّ موقفاً عقدياً ناضجاً متوازناً يقوم على الإيجابية والتبـــصر الحصيف بالسنن التي أودعها الله في هذا الكون، كما تعدّ انطلاقاً واثقاً من اســتراتيجية عمــل متكامل، ورؤية منهجية موضوعية ناقدة لتحديد موقع الإنسان المؤمن من الانفتاح.

المبحث الثالث

التربية في تجديد الخطاب الديني

المطلب الأول: مفهوم التربية ودورها في التصدي للتحديات:

تستمد التربية مفهومها في أي مجتمع من العقيدة أو الفلسفة السائدة فيه، سواء أكانت عقيدة دينية أو فلسفة مثالية أو مادية، ويتأثر مفهوم التربية بعوامل عديدة منها الحضارة السائدة، والأهداف السياسية والاجتماعية.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية ربانية شاملة لكل مجالات الحياة، فهي ليست فكرة مجردة في الأذهان، ونظريات مدونة في الكتب، بل متحققة في أمة تلمسها الأيدي وتراها العيون، فالنصوص وحدها لا تصنع شيئاً، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلاً، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً، ولقد انتصر محمد ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصاً، وحول إيمانهم بالإسلام عملاً، وصنع أفراداً تعامل الناس، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام[١].

وفي إطار هذه العوامل يمكن الإشارة إلى أن التربية تلك العملية التي تهدف إلى إعداد الأفراد بطريقة معينة وتشكيلهم وفق تصور خاص، بحيث يصبح قادراً على التكيف الإيجابي المثمر مع نفسه ومجتمعه.

وتتميز التربية كعملية بأنها اجتماعية في أساسها ومفهومها وأغراضها ووظائفها، فالمجتمع بكل مقوماته يمثل المجال الذي تتم فيه هذه العملية، فتوجهات التربية في الماضي

---

(١) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج١، ص١٣، ١٩٩٤م، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.

والحاضر باتجاه تنشئة الأفراد تنشئة اجتماعية سوية تساعده على تنمية شخصيته على نحو يمكنه من النمو والاتزان، والتكامل مع ذاته والتكيف الإيجابي مع المجتمع وثقافته، لذلك ينظر لعملية التربية على أنها من العمليات المهمة في المحافظة على المجتمع وتطويره، فهي عملية اجتماعية ووظيفية أساسية يحافظ بها المجتمع على مقومات وجوده واستمراره، لذلك أصبحت ضرورة ملحة للمجتمعات والأمم على اختلاف حضارتها ودرجة تمدنها.

والاعتماد على التربية في توجيه السلوك الاجتماعي وضبطه، ليس بالأمر البسيط بل يتطلب تكاثف الكثير من الجهود أثناء الشروع في تحقيقه، لأنه يخص الإنسان بوصفه أفضل ما في الكون من مخلوقات. وميزه الله سبحانه وتعالى عن كثير من المخلوقات، فقد خصه بالعقل والعلم، وخلقه في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[١]، واستخلفه الله سبحانه وتعالى في الأرض لتعميرها، وسخر له ما في السموات والأرض قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[٣]، وبناءً على ذلك يمكن إبراز دور التربية كظاهرة اجتماعية، فدور التربية في تنمية الفرد والمجتمع أصبح اليوم من الحقائق المسلم بها بين المربين والاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين، حيث أصبحت نظرة هؤلاء جميعاً إلى ما يصرف على التربية والتعليم على أنه نوع من الاستثمار والتنمية للموارد البشرية، الذي لا تقل أهميته في قيمته عن الاستثمارات في تنمية الموارد المادية[٤].

---

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٤) الشيباني، محمد محمد، من أسس التربية الإسلامية، ص١٨، ط٢، ١٩٩٣م، الجامعة المفتوحة.

والأمة الإسلامية بعد أن سارت فترة من الزمن مبتعدة عن أفكارها ومنقطعة عن طريقة تفكيرها في وقائع الحياة، مما أوجد في عقليات أبنائها فراغاً فتح لأعدائها فرصة توصيل أفكارهم وترسيخها في قسم من هذه العقليات لتكون بديلاً عن مفاهيم الإسلام(١).

فالغرب يستهدف عقولاً وفكراً واتجاهات وميولاً ومعارف، مما يجعلنا نؤكد أن الغزو العسكري يرافقه غزو فكري وتربوي، سلاحه الأساسي هو التربية والتعليم بمعناها الواسع الذي يجعل منها تلك العملية المتكاملة الشاملة التي تسعى من خلالها إلى تنمية شخصية الإنسان(٢).

وهذا الوصف لواقع الأمة والتحديات التي تم التعرض لها، وبيان الخلل والأزمة، كان من باب التشخيص ورصد مظاهر المرض ليتسنى الاهتداء إلى الصورة السوية والمثلى التي لابد أن يكون عليها المجتمع والأمة، وعندما تحتقن المواقف التي تمر بها الأمة وتحدد التحديات والمشكلات التي تواجهها، وعندما يصيب الخلل النظام البنيوي العام، وهي ترى غيرها يواصل قفزاته إلى الأمام، وهي أحياناً تظل مكانها لا تبرحه، وأحياناً أخرى تجد جهودها لا تعينها على تجاوز الفجوة، مما ينعكس على البنى الفرعية للمنظومة المجتمعية الكلية، أو ما يطلق عليه النظام التربوي، وليس المقصود بالنظام التربوي المراحل المتدرجة للتعليم، وإنما جملة ما يقع في الدائرة التربوية من تنظيمات ومراحل تعليمية ومؤسسات وأفراد وعاملين وقواعد ومبادئ ومحتوى تعليمي وهكذا(٣).

لذلك كله لابد وأن يقدح علماء ومصلحو ومفكرو الأمة زناد فكرهم عن حقيقة الأزمة بحثاً عن الطريق الذي يعينها على تجاوز أزمتها ومواجهتها بكل اقتدار، والرد على كل التحديات

---

(١) البدارني، هشام، مفاهيم علماء النفس، ص٤-٥، ط١، ١٩٩٧م، دار البارق، الأردن.

(٢) علي، سعيد إسماعيل، التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٨٥١، سنة ١٩٩٧م.

(٣) علي، سعد إسماعيل، التربية الإسلامية، ص٣٢٢، ط١، ٢٠٠٥م، دار عبد السلام، القاهرة.

ودفع كيد الخصوم باستئناف الحياة الإسلامية، وذلك بإيجاد الفكر الإسلامي في الحياة بإرجاع الحياة إليه، أو رجوع الإسلام للحياة، باستعمال الإسلام لتدبير شؤون الإنسان والعالم[١]، ثم لا يقف بها عند هذا الحد بل يساعدها كذلك على أن تصل إلى ما يبوئها مكانة مرموقة بين الأمم.

والأمة الإسلامية لا ينبغي أن توقف مكانها عند حد أن تكون مرموقة، بل لابد أن تحقق وصف الخالق لها بأنها: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢]، وهذا الوصف ليس وصفاً لحالة موروثة بالفطرة تتسلمه جاهزة، وإنما هو استحقاق مكتسب، لا يجيء إلا نتيجة مجاهدة واجتهاد ومكايدة وكد ومثابرة ومصابرة.

ولا يمكن مواجهة هذا الغزو الغربي لتغيير الإسلام ديناً وفكراً، من خلال الهجوم على الخطاب الديني والدعوة لتطوير هذا الخطاب، إلا بنوعية خاصة من المخرجات التربوية، والتي يقوم إعدادها على تنقية العقيدة من الزيف والزيغ والضلال، وتطهير كل ما يعيقها لتكون قادرة على تحريك الأمة تحريكاً يحفظ لها ذاتها وخصوصيتها ويعيدها سيرتها الأولى كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٣]، وقد يبدو من المفارقات أن نطالب بتطبيق التربية على أسس وقواعد الإسلام في البلاد العربية والإسلامية، ولكن سرعان ما تزول الدهشة حين نعلم أن معظم بلاد العالم الإسلامي قد ابتعدت عن تطبيق شرع الله، لذلك لا بد من الشروع بالعمل على تطبيق الإسلام كاملاً، وجعل العقيدة الإسلامية أساً وحداً لهذا النظام، ففلسفة التربية الإسلامية جزء من فلسفة الإسلام الكلية عن الكون والإنسان والحياة، وعلاقتها بما قبلها وبما بعدها، فالتربية بهذا المعنى هي نوع من

---

(١) البدارين، هشام، مفاهيم علماء النفس، ص٦، مصدر سابق.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الهندسة الاجتماعية، وهذا ما حاول الإسلام فعله من خلال توجهه لإيجاد مجتمع جديد نقيض المجتمع الجاهلي، والرسالة الإسلامية في مجملها هي رؤية تربوية كاملة تنطلق من أسس وقواعد مختلفة عن أي رؤية تربوية أخرى، لهذا الغرض طرح الإسلام نفسه نقيضاً غير مساوم للوضع الجاهلي[١]، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٢٦﴾[٣]، فخلق الله الإنسان ليكون خليفته في الأرض يكشف أسرارها وأسرار العوالم المحيطة، مستفيداً مما سخر الله له ليرى قدرةالله وآياته في كل ذلك، ويدير الحياة ويضطبها بحسب التوجيه الإلهي قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾[٦]، وليتمكن الإنسان من فهم الكون والإنسان والحياة والاستفادة مما سخر الله له واستخلفه فيه فقد فطره الله سبحانه وتعالى على صورة تؤهله للتلقي عن الخالق، وزوده بالقابليات والاستعدادات والقدرات العقلية والنفسية والجسدية التي

---

(١) رضا، محمد جواد، التربية الإسلامية وتساؤلات حول جدلية الإسلام والحداثة، ص٢٥٣، ط١، ١٩٩٧، دار اليازوري العلمية، عمان.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٦) سورة النمل، الآية: ٦٢.

تمكنه من التلقي عن رب العالمين، وتحويل ما يتلقاه من معارف وأفكار إلى ممارسات وتطبيقات عملية في الأرض[١]، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[٣]، فمن فضل الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهج قويم في تربية العقول والنفوس وتكوين الأمم وبناء الحضارة والمدنية، وذلك لتحويل البشرية التائهة من ظلمات الشرك والجهل، والضلال والفوضى، إلى نور التوحيد والعلم والاستقرار، وصدق سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[٤].

المطلب الثاني: التربية والعقيدة:

إن خصائص التربية الإسلامية هي ذاتها خصائص الخطاب الإسلامي التي ذكرت في بدايات البحث، فالإسلام مترابط ومنتظم،وكذلك فالتربية الإسلامية ترتبط وتنتظم مع الإسلام ذاته فسماتها تنبع من سماته وخصائصها تشتق من خصائصه، ولما كان الإسلام منهج حياة ونظام جمع النظرية والتطبيق والعقيدة والتشريع والدنيا والآخرة، فإن التربية الإسلامية في حقيقتها وجوهرها تجسيد لمنهج الإسلام في تكوين الفرد والمجتمع، فمصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها تتشكل فلسفتها وتصوراتها التي توضحها العقيدة الإسلامية للكون والإنسان

---

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، تطوير مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ص٢١٠، ٤٣٧، ط٣، مكتبة التراث، المدينة المنورة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٣) سورة العلق، الآيات: ٤-٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٦.

والحياة، وارتباط ذلك بحقيقة التوحيد والألوهية والعبودية، ولتحقيق ذلك رسمت التربية الإسلامية منهجاً عملياً اشتمل على إبعاد التربية كافة وصولاً لتحقيق مبدأ عمارة الأرض وترسيخ معاني الاستخلاف فيها(١).

وحتى لا نقع في التكرار، نكتفي بذكر مثالين على سبيل التوضيح:

أ- **التوازن:** فالتربية الإسلامية تعتمد على الضبط وليس الكبت، فقد نظم الإسلام الحاجات العضوية والغرائز تنظيماً يضمن إشباع جميع جوعاتها، ولكن لا بإشباع بعضها على حساب البعض، ولا بكبت بعضها وإطلاق بعض، ولا بإطلاقها جميعاً، بل نسقها جميعها وأشبعها جميعها بنظام دقيق، مما يهيئ للإنسان الهناء والوفاء ويحول بينه وبين الانتكاس إلى درك الحيوان بفوضوية الغرائز، وهي بذلك تراعي في الإنسان كل حاجاته العضوية وغرائزه ولا تلغي أياً منها وتدربه على إشباعها وفقاً لأحكام الشرع، لينمو إنساناً سوياً(٢).

ب- **الاستمرارية:** فالتربية الإسلامية تربية مستمرة لا تقف عند حد معين، بل تتعامل مع الإنسان قبل لادته عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تخيَّروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم**»، فكان ذلك حرصاً على اختيار الزوج الصالح، أملاً في تكوين أسرة صالحة تقوم بالتربية على أساس من أوامر الله ونواهيه(٣).

---

(١) الجلاد، ماجد زكي، تدريس التربية الإسلامية، ص٢١٠، ٢٠٠٤م، دار المسيرة، عمان.

(٢) النبهاني، تقي الدين، نظام الإسلامي، ص٣٢، ط٦، منشورات حزب التحرير.

(٣) المحيلبي، بدر محمد، مقدمة في الفكر الإسلامي، ص٥٥، مكتبة الفلاح.

الخاتمة ونتائج البحث

نلاحظ بعد هذه الدراسة لموضوع تجديد الخطاب الديني العقدي في مواجهة التحديات المعاصرة الذي يعتبر من المواضيع المعاصرة التي لها الأهمية القصوى في هذا العصر، حيث إن تجديد الخطاب العقدي في مواجهة الهجمة ضد الإسلام والمسلمين يعدّ من فروض الكفاية التي تناط بأهل العلم والمتخصصين فحماية الدين ومعرفة مكائد أعدائه، يعتبر من الجهاد في سبيل الله، فلا يتصور مواجهة، دون معرفة بالعدو ومكائده وأساليبه المختلفة الكثيرة، محاولاً تجديد الخطاب العقدي باعتباره أهم طرق المواجهة.

وقد تبين من خلال الدراسة الآتي:

أولاً: إن تجديد الدين لا يعني اختراع إضافة لدين الله، وإنما يعني تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي يتراكم عليه، وتقديمه في صورته الأصلية النقية الناصعة التي كان عليها.

ثانياً: إن أسلوب البحث المنطقي القديم يحتاج لأعادة صياغة في العصر الحاضر، فالمنطق القديم يقوم على قياسات عقلية بينما يقوم المنطق الحديث الرائج في هذا العصر على العلم الذي يثبت الآراء بالوقائع وبالتحليل التجريبي.

ثالثاً: إن الدعوة إلى التوحيد وتصحيح الانحرافات الاجتماعية صنوان لا ينفكان ولا يمكن تقديم أحدهم على الآخر.

رابعاً: لا يصح أن نقيس أنفسنا دائماً بالغرب، بل لابد من مراجعة الأصالة التي كنا عليها[١] كما لا ينبغي أن نعالج حالنا بالتغني بالماضي التليد، فقد يكون كالمخدر لنا بدلاً من أن يكون علاجاً ناجعاً.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٣.

خامساً: لا بد من استبدال الطرح القديم الذي كان يغازل الغرب من خلال بيان نقاط الالتقاء في محاولة لتحسين صورة الإسلام وسبب هذا الاستبداد ما حصل من تغيير عالمي، ظهرت فيها الصحوة بأبهى صورها، فلابد من عكس المسألة بحيث يعرف صلاح المبادئ البشرية بقــدر اقترابها من المبدأ الرباني وتطبيقه له.

سادساً: بيان أن التحديات منها ما هو داخلي، ومنها ما هو خارجي، ولا شــك أن الأهــم فــي معالجة الداخل وهي خطوة أولى في مواجهة الخارج إن لم تكن أساساً في ذلك.

سابعاً: إن ثمة تحديات واضحة، قد تطرق لها الجميع، ولكن ثمة تحديات واقعة غيــر ظــاهرة للجميع وهي بنفس الوقت مباشرة.

ثامناً: لابد من وسائل أساسية لعملية التجديد من أهمها: التمسك بالهويــة، ولا يكــون التمــسك بالهوية إلا بصياغة تربوية إسلامية.

تاسعاً: ضرورة الانفتاح، وبيان ازدهار الحضارات بالانفتاح، ولكن لابد من ضبط هذا الانفتــاح بضوابط شرعية وفكرية وثقافية.. الخ.

عاشراً: أهمية التربية في عملية التجديد، وأنها أهم عناصر النهضة.

المصادر والمراجع

١. ابرهيم، مجدي عزيز، المنهج التربوي وتحديات العصر، ٢٠٠٢م، عالم الكتب، القاهرة.

٢. ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، ط٦، المكتب الإسلامي.

٣. ابن الأثير، مبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد ا لقــادر الأرنــاؤوط، ط١، ١٩٧٢م، مكتبة الحلواني وغيرها.

٤. ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن ســنة أبــي القاســم، تحقيــق: شــعيب الإرناؤوط، ط٣، ١٤١٥هــ-١٩٩٤، مؤسسة الرسالة.

٥. ابن تيمية، العبودية، ط٢، ١٣٨٩هــ، المكتب الإسلامي.

٦. ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، ط١، ١٣٨٦هــ، دار المعرفة، بيروت.

٧. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية.

٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، برقم (٢٢٧٤)، ط١، ١٤٠٦هــ، دار الرشيد، حلب.

٩. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط١، ٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان.

١٠. ابن فارس، ت: ٣٩٥ هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هــارون، ط١، ١٤١١ هـ-١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.

١١. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل، بيروت.

١٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، التفسير القيم، تحقيق، محمد حامد الفقي، ١٤٠٨هــــ-١٩٩٨م ، دار الفكر.

١٣. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقــي، مكتبــة المعارف، الرياض، السعودية.

١٤. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١٩٨٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنثور ولاية العمر والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦. ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار الخير، بيروت.

١٧. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي الشيري، ط١، ١٩٨٨، دار إحياء التراث العربي.

١٨. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ١٩٧٥م، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت٧١١هـ، لسان العرب، مادة خطب.

٢٠. ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحقيق: السقا.

٢١. ابن وضاح، البدع والنهي عنها، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

٢٢. أبو الطيب العظيم أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية،تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٢٣. أبو جلالة، لمياء، الدور التربوي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في مواجهة تحديات العولمة وسبل تطويره من وجهة نظرهم، ٢٠٠٣م، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.

٢٤. أبو داود، سليمان بن أشعث السجستاني، ١٣٩٣هـ، سنن أبي داود، ط٣، دار الحديث، بيروت.

٢٥. أبو دف، محمود، التربية الإسلامية، ط٢، ٢٠٠٤م، الجامعة الإسلامية، غزة.

٢٦. أبو ريان، محمد علي، الفلسفة الحديثة، ط١، ١٩٦٩م، دار الكتب العلمية، القاهرة،

٢٧. أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، دار المعارف، مصر.

٢٨. أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي.

٢٩. أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل، ط٣، ١٩٩١م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض.

٣٠. أحمد، محمد بهاء الدين حسين، حقيقة الاستشراق وموقفه من الإسلام، ط١، ٢٠٠٣م، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

٣١. إسماعيل، يحيى، وآخرون، التربية الإسلامية مرحلة الصف العاشر، ٢٠١٠، وزارة التربية والتعليم، إدارة المناهج، الأردن.

٣٢. الأشقر، عمر سليمان، العقيدة في الله، ط٥، ١٤١٤هـ-١٩٨٤م، مكتبة الفلاح، الكويت.

٣٣. الإفريقي، ابن منظور، ت: ٧١١ هـ، لسان العرب، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان.

٣٤. الألباني، محمد بن ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٥. إلياس، جاسم المهلهل، مجلة المنار، الإنسان بين المرونة والصلابة، دار المجتمع، جدة.

٣٦. أمامة، عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي.

٣٧. الآمدي: سيف الدين بن الحسن، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨. أمين، قاسم، تحرير المرأة، دار المعارف، القاهرة.

٣٩. أنس سليم الأحمد بحث بعنوان (المرونة)، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع، الرياض وجدة.

٤٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، ١٩٩٧، المكتبة المصرية، بيروت.

٤١. البدارني، هشام، مفاهيم علماء النفس، ط١، ١٩٩٧م، دار البارق، الأردن.

٤٢. بدران، جميل وحبيش علي، نحو حضارة إسلامية مستقبلية أساسها الإيمان والعلم، ٢٠٠٢م، انترنت.

٤٣. بدران، شبل، التربية والنظام السياسي، ١٩٩٥م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٤٤. بدوي، محمد، الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، مجلة صدى الإسلام، العدد ٣، ١٩٨٥م، بيروت.

٤٥. بركات، لطفي، تحديات القرن الواحد والعشرين في التربية، ١٩٩٨م، العربي، القاهرة.

٤٦. بسطامي، محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، دار الدعوة، الكويت.

٤٧. البغدادي، الخطيب، ت٤٦٢هـ، صحيح الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل العزازي، ط٢، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، السعودية.

٤٨. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية، ط٢، ١٩٧٥م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤٩. بنكيران، محمد، الوعي الحضاري المطلوب، ١٩٩٥م، منار الإسلام العدد الخامس السنة الحادية والعشرون، وزارة الشؤون والأوقاف، الإمارات.

٥٠. البهي، محمد، الإسلام، واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة، ط٢، ١٩٨١م، مكتبة وهبة، القاهرة.

٥١. البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط١٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

٥٢. البهي، محمد، القرآن والمجتمع، ط١، ١٩٧٦م، مكتبة وهبة.

٥٣. بوبة، عثمان، تاريخ البشرية، اللجنة الدولية، ١٩٧١م، بإشراف منظمة اليونسكو، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار المعرفة.

٥٥. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد زغلول، ط٧، ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦. الترمذي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٧. الترمذي، سنن الترمذي، ط١، ١٩٣٧م، مطبعة البابي الحلبي وأولاده.

٥٨. التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ط٣، المكتب الإسلامي.

٥٩. تهانوي، المولوي محمد أعلى بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت- لبنان.

٦٠. التويم، خالد، التبعية الفكرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي، ١٤١٧هـ، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٦١. تيماشيف، نقولا، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عود وآخرون، ط٦، ١٩٨٠، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

٦٢. الجاحظ، (ت:٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر – بيروت.

٦٣. الجرجاني، عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت.

٦٤. جريشة، علي، أساليب الغزو الفكري، ط١، ١٩٧٧م، دار الاعتصام.

٦٥. جريشة، علي، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ط١، ١٩٨٦م، دار الوفاء، المنصورة.

٦٦. جريشة، علي، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، وبحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي، ١٩٨١م، جامعة محمد بن سعود، إدارة الثقافة والنشر.

٦٧. جريشة، علي، حاضر العالم الإسلامي، ط٥، ١٩٩٩م، مكتبة وهبة، القاهرة.

٦٨. جريو، داخل حسن، المثقف العربي والتحديات المعاصرة، بحث غير منشور، داخل حسن جريو: هو أستاذ دكتور وكان نائباً لرئيس المجمع العلمي العراقي -سابقاً-،

٦٩. الجعفري، بن حسن، الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية، ٢٠٠٠م، دار الأندلس الخضراء، جدة.

٧٠. الجلاد، ماجد زكي، تدريس التربية الإسلامية، ٢٠٠٤م، دار المسيرة، عمان.

٧١. جلال، سعد، المرجع في علم النفس، دار المعارف.

٧٢. جلال، سعد، علم النفس الاجتماعي، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢، الجامعة الليبية.

٧٣. الجندي، أنور، أصالة الفكر الإسلامي، دار الفضيلة، القاهرة،

٧٤. الجندي، أنور، القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، مطبعة الرسالة،

٧٥. الجندي، أنور، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ١٩٧٨، المكتب الإسلامي.

٧٦. الجندي، أنور، قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، ص٤٧، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٧. الجويني، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أسعد تميم، ط١، ١٩٨٥م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٧٨. حجازي، مصطفى وآخرون، المعجم الوجيز، ٢٠٠٠، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

٧٩. حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط٤، ١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة، -بتصرف-.

٨٠. حسين، محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، ١٩٧٥م، مؤسسة الرسالة، القاهرة.

٨١. حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة من داخلها، ط٤، ١٩٧٧م، المكتب الإسلامي.

٨٢. الحلواني، طه جابر، الأزمة الفكرية المعاصرة، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن.

٨٣. حمادي، إدريس، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ط١، ١٩٩٤م، بيروت.

٨٤. الحميري، عبد الواسع، الخطاب والنص، ط١، ٢٠٠٨م، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت.

٨٥. حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة.

٨٦. الحوالي، سفر، العلمانية، ط١، ١٩٨٢م، دار مكة.

٨٧. حوى، سعيد، الله جل جلاله، ط٣، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، دار الهلال، القاهرة.

٨٨. خافجي، محمود أحمد، العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، ط١، ١٩٩٠م، دار الأدب، القاهرة.

٨٩. خان، وحيد الدين، تجديد علوم الدين، ترجمة: ظفر الإسلام خان، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، دار الصحوة، القاهرة.

٩٠. خطاطبة، عدنان، الأساس العقدي للتربية الإسلامية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك.

٩١. الخطيب، محمد محمد عبد القادر، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ١٩٩٠م، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة.

٩٢. خليل، عماد الدين، مؤشرات حول الحضارة الإسلامية، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٩٣. الخن، مصطفى، ومستو، محيي الدين، العقيدة الإسلامية، ط٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، دار ابن كثير، دمشق.

٩٤. داود، منى بنت عبد الله حسن، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير في تخصص التربية الإسلامية، كلية التربية والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، جامعة اليرموك، الأردن.

٩٥. الدبو، إبراهيم وآخرون، الإسلام وقضايا العصر، ط١، ٢٠٠٠م، دار المناهج، عمان، الأردن.

٩٦. الدجني، يحيى علي يحيى، التحدي الصهيوني للدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ط١، ٢٠٠١م، الجامعة الإسلامية، غزة.

٩٧. دراز، محمد عبدالله، الدين، مطبعة السعادة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩، القاهرة.

٩٨. راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، ط٨، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية.

٩٩. الرازي، التفسير الكبير، ط١، ١٩٣٨م، المطبعة البهية، مصر.

١٠٠. الراشد، محمد، التربية الدعوية في زمن الانفتاح، الانترنت، ٢٠٠٤.

١٠١. الرحيلي، حمود بن أحمد، الصهيونية وخطرها على البشرية، ط٢، ٢٠٠٢م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

١٠٢. رزوق، أسعد، موسوعة علم النفس، مراجعة: عبد الله عبد الدايم، ١٩٧٩م، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت.

١٠٣. رضا، محمد جواد، التربية الإسلامية وتساؤلات حول جدلية الإسلام والحداثة، ط١، ١٩٩٧، دار اليازوري العلمية، عمان.

١٠٤. رقيط، حمد، التقدم الحضاري في الإسلام، ط١، ١٩٩٩م، دار ابن حزم، بيروت.

١٠٥. الزبيدي، أبو العباس زين الدين أحمد بن أحمد، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، دار المعرفة، بيروت.

١٠٦. الزمخشري، أساس البلاغة، ط٣، مركز تحقيق التراث.

١٠٧. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٨. الزنيدي، عبد الرحمن بن زيد، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار إشبيليا، الرياض.

١٠٩. زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة.

١١٠. زيوت، يوسف، مصطلح العقيدة تأصيلاً وتطوراً، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد.

١١١. الساموك، سعدون محمود، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، دار المناهج، عمان.

١١٢. الساموك، سعدون محمود، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ٢٠٠٦م، دار المناهج، عمان، الأردن.

١١٣. السايح، أحمد عبد الرحيم، الغزو الفكري في التصور الإسلامي، مجلة الأزهر المجانية، ١٤١٤هـ، رئيس التحرير علي الخطيب.

١١٤. السباعي، مصطفى، شرح قانون الأحوال الشخصية، ط٦، ١٩٦٣م، دار الفكر، دمشق.

١١٥. ستيغليتز، جوزيف، خيبات العولمة، ترجمة: ميشال كرم، ط١، ٢٠٠٣م، دار الفارابي، لبنان.

١١٦. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الأسنة، دار الكتاب العربي، لبنان.

١١٧. السعدون، حميد، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، ٢٠٠٢م، دار وائل.

١١٨. سعيد، بسطامي محمد، مفهوم تجديد الدين، ط١، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٤م، دار الدعوة، الكويت.

١١٩. السفياني، عابد بن محمد، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ط. ١٤٠٨هـ، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

١٢٠. سلام، أحمد، ما أنا عليه وأصحابي، دراسة في أسباب افتراق الأمة، ط١، ١٩٩٥م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

١٢١. سلطان، جمال، تجديد الصحوة الإسلامية، ط١، ١٩٩٦م، دار الرسالة، ودار أم القرى، المملكة العربية السعودية.

١٢٢. السلمي، عبد الرحمن، الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه، مجلة القلم، العدد ١٤٢، ٢٠٠٥م، الرياض.

١٢٣.سمارة، إحسان عبد المنعم، مفاهيم أساسية في العقيدة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار الكتاب الثقافي، اربد،

١٢٤. السهارنفوري، خليل أحمد، بذل المجهود في حل أبي داود، ١٩٧٢م، دار اللواء، الرياض.

١٢٥. السيد، عاطف، العولمة في ميزان الفكر، ٢٠٠٢م، فلمنج للطباعة.

١٢٦. سيرة ابن هشام، تحقيق: السقا، والأبياري وشلبي، ط٣، دار إحياء التراث.

١٢٧. السيوطي، جلال الدين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح: عبد الروؤف المناوي، ط١، ١٩٣٨م، مصر.

١٢٨. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ط ١٩٧٥م.

١٢٩. الشاعر، أحمد عبد الحميد، التحديات المعاصرة في مواجهة الإسلام، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الطباعة المحمدية.

١٣٠. شاه، ناصر الدين، أفغانستان والغزو الشيوعي، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٣١. الشرفي، عبد المجيد، الإسلام والحداثة، ط٢، ١٩٩١م، الدار التونسية للنشر.

١٣٢. الشرقاوي، حسن، نحو علم نفس إسلامي، تقديم عبد الحليم محمود ومصطفى محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.

١٣٣. شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ط١٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الشروق، -بتصرف-.

١٣٤. الشمري، هدى علي جواد، مباحث في علم الاجتماع الإسلامي، ٢٠١١، دار المناهج، عمان.

١٣٥. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٠٤هـ، دار المعرفة، بيروت.

١٣٦.شهوان، راشد سعيد، الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م، دار النحوي، الأردن.

١٣٧. الشيباني، عمر، فلسفة التربية الإسلامية، ١٩٧٥م، المنشأ الشعبية، طرابلس.

١٣٨. الشيباني، محمد محمد، من أسس التربية الإسلامية، ط٢، ١٩٩٣م، الجامعة المفتوحة.

١٣٩. صبري، مصطفى، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادهُ المرسلين، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، المكتبة الإسلامية.

١٤٠. صعب، حسن، الإسلام وتحديات العصر، ط٥، ١٩٨١م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٤١. صليبا، جمال، علم النفس، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

١٤٢. الصوفي، حمدان، مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، ط. ١٤١٦هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٤٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والرسل والملوك، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٤. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، دار الفكر، بيروت.

١٤٥. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، لبنان.

١٤٦. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ١٩٨٠، دار المعرفة، بيروت.

١٤٧. الطريقي، عبد الله إبراهيم علي، الثقافة والعالم الآخر الأصول والضوابط، ط١، ١٩٩٥، دار الوطن، الرياض.

١٤٨. الطويل، توفيق، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ط٣، ١٩٧٩م، دار النهضة العربية، القاهرة.

١٤٩. ظهير، إحسان إلهي، البهائية نقد وتحيل، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان،

١٥٠. عبد الجبار، عادل، الإرهاب في ميزان الشريعة.

١٥١. عبد الحليم، أحمد المهدي، التحديات التربوية للأمة العربية، ١٩٩٩م، دار الشروق، القاهرة.

١٥٢. عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، دار الصحوة والنشر.

١٥٣. عبد الرزاق، علي، الإسلام وأصول الحكم، ط٢، ١٣٤٤هـ-١٩٣٥م، مطبعة مصر.

١٥٤. عبد الله، إسماعيل صبري، الكوكبة، الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية، مجلة اليسار، ١٩٩٨م.

١٥٥. عبد الله، صالح، المنهاج الدراسي -أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية-، ط١، ١٩٨٦م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

١٥٦. عبد الواسع، عبد الوهاب بن أحمد، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، ط١، ٢٠٠١م، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٥٧. عبده، محمد، رسالة التوحيد، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار إحياء العلوم، بيروت.

١٥٨. عثمان، سعيد محمد، العولمة السياسية بين الفكرين الإسلامي والغربي من المنظور التاريخي، ٢٠٠٧م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

١٥٩. عثمان، عبد الكريم، معالم الثقافة الإسلامية، ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٦٠. العجلان، علي محمد، وسطية الإسلام، ٢٠٠٥م، مجلة الرياض، الرياض.

١٦١. عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١٦٢. عطيفة، أحمدي أبو الفتوح، التربية وتنمية الاتجاهات العلمية من منظور إسلامي، ١٩٩٥م، الوفاء، المنصورة.

١٦٣. العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود، شرح سنن أبي داود.

١٦٤. العقاد، عباس محمود، الله، ط١، نهضة مصر، القاهرة، -بتصرف-.

١٦٥. علوان، عبد الله ناصح، الشباب المسلم في مواجهة التحديات، ١٩٩٣م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٦٦. علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ١٩٩٤م، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.

١٦٧. علي، سعد إسماعيل، التربية الإسلامية، ط١، ٢٠٠٥م، دار عبد السلام، القاهرة.

١٦٨. علي، سعيد إسماعيل، التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٨٥١، سنة ١٩٩٧م.

١٦٩. علي، سعيد إسماعيل، نظرات في التربية الإسلامية، ١٩٩٩م، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٧٠. عمارة، محمد، الإسلام المستقبل، ط٣، ١٩٩٧م، دار الرشاد، القاهرة.

١٧١. عمارة، محمد، في فقه المواجهة بين الغرب الإسلام، ط١، ٢٠٠٣م، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

١٧٢. عويس، عبد الحليم، الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل، ط١، ٢٠٠١م، دار الوفاء، المنصورة.

١٧٣. الغادري، نهاد، التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية، ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧٤. غانم، محمد حسين، صراعاتنا الداخلية بين العقيدة والسلوك، ٢٠٠٣م، المكتبة المصرية، الإسكندرية.

١٧٥. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٢٠٠٣م، مكتبة الصفا، القاهرة.

١٧٦. الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت.

١٧٧. الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

١٧٨. الغزالي، محمد، الإسلام في وجه الزحف الأحمر، مكتبة الأمل، الكويت.

١٧٩. الغزالي، محمد، حقيقة القومية العربية، ١٩٩٨م، نهضة مصر، القاهرة.

١٨٠. الغزالي، محمد، كيف نفهم الاسلام، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

١٨١. الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، الإسلام والثقافة العربية في أوربا.

١٨٢.ف.بوش، أساسيات الفيزياء، ترجمة: سعيد الجزيري ومحمد أمين سليمان، ١٩٨٢، دار ماكجروهيل للنشر، الطبعة العربية، القاهرة.

١٨٣. الفاروقي، إسماعيل، أسلمة المعرفة والمبادئ العامة وخطة العمل، ط٢، ١٩٨٤، دار البحوث العلمية.

١٨٤. فايز، زكريا، العلمانية، الزهرء للإعلام العربي.

١٨٥. فرحات، أحمد حسين، الفكر الإسلامي، مفهومه –معالمه، ٢٠٠٣، دار عمار، عمان.

١٨٦. الفيروز أبادي، ت:٨١٧هـ، القاموس المحيط، اعتنى بها: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.

١٨٧. الفيومي، محمد إبراهيم، الاستشراق رسالة استعمار، ١٩٩٣م، دار الفكر العربي، مصر.

١٨٨. قاسم، محمود، دراسات في الفلسفة الإسلامية، ط٥، سنى ١٩٧٣م، القاهرة.

١٨٩. قاسم، محمود، مقدمة لكتاب ابن رشد «مناهج الأدلة في عقائد الملة»، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٩٠. القاسمي، جمال الدين بن محمد، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث.

١٩١. القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، نقلاً عن كاتب روسي (بوخارين)، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الكفر العربي، القاهرة.

١٩٢. القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، نقلاً عن مجلة عالم الفكر تحت عنوان (الإيمان بالله في عصر العلم)، لمحمد عبد الهادي أبو ريدة.

١٩٣. القاضي، نصر الدين، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، نقلاً عن عادل العوا، علم الأديان.

١٩٤. القحطاني، سفر بن علي بن محمد، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة دراسة تأصيلية تطبيقية، ط١٤٢٤هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة.

١٩٥. القرضاوي، يوسف، الإسلام وحضارة الغد، ط١، ١٩٩٩، المكتب الإسلامي، القاهرة.

١٩٦. القرضاوي، يوسف، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ط١، ١٩٩٤م، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٩٧. القرضاوي، يوسف، الحل الإسلامي بين الجمود والتطور، مجلة حولية، العدد ٤، ١٩٨٥م، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، الدوحة.

١٩٨. القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ط٣، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مكتبة وهبة.

١٩٩. القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ط١، ٢٠٠١م، دار الشروق، القاهرة.

٢٠٠. القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، وغيرها من الكتب.

٢٠١. القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، ط٨، ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، -بتصرف-.

٢٠٢. القرضاوي، يوسف، من أجل صحوة إسلامية.

٢٠٣. القرضاوي، يوسف، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٠٤. القضاه، فريال، أنماط الخطاب العقلي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في اللغة العربيـــة، بإشـــراف د.نهاد الموسى، ٢٠٠٨م، الجامعة الأردنية.

٢٠٥. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط.١٤٠٦هـــ، دار الشروق، القاهرة.

٢٠٦. قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، ط١٢، ١٩٩٢م، دار الشروق، القاهرة.

٢٠٧. قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، دار القلم، القاهرة.

٢٠٨. قطب، محمد، شبهات حول الإسلام، ط١٦، ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م، دار الشروق، القاهرة، وبيروت.

٢٠٩. قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، ط١، ١٩٨٣م، دار الشروق.

٢١٠. القيسي، مروان إبراهيم، معالم الهدى إلى فهم لإسلام، ط١، ١٤٠٦هـــ-١٩٨٥م، المكتبة الإســـلامية، عمان – الأردن.

٢١١. الكاندهلوي، محمد زكريا، أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والـــسنة، ط٦، ١٩٨١م، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة.

٢١٢. الكتاني، عبد الحي، (١٣٨٢هـــ)، التراتيب الإدارية (نظام الحكومة الإسلامية)، دار إحيـــاء التـــراث العربي، بيروت.

٢١٣. كحالة، عمر رضا، ت:١٤٠٥هـــ، معجم المؤلفين، ط١، ١٤١٤هـــ-١٩٩٣، بيروت.

٢١٤. الكمالي، عبدالله، الشريعة الإسلامية وفقه الموازنات، دار ابن حزم، بيروت.

٢١٥. الكيلاني، ماجد عرسان، تطوير مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ٤٣٧، ط٣، مكتبة التراث، المدينة المنورة.

٢١٦. لودج، جورج، إدارة العولمة، ١٩٩٩م، سلسلة كراسات عروض، عرض: محمد رؤوف حامد، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.

٢١٧. ماكفلرن، جيمس وآخرون، ١٨٩٠-١٩٣٠م، الحداثة، ترجمة: مؤيـــد حـــسن فـــوزي، دار المـــأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٧م.

٢١٨. المبارك، محمد، المجتمع الإسلامي المعاصر، ط٥، ١٩٨٠م، دار الفكر، بيروت.

٢١٩. المبارك، محمد، نظام الإسلام، العقيدة والعبادة، ط٦، ١٩٧٧م، دار الشروق.

٢٢٠.مبارك، هاني، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، ط١، ١٩٩٧م، دار الفكر المعاصر، دمشق.

٢٢١. محمد، سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ١٩٩٤م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٢٢. محمد، مروان، الموقع الإلكتروني لجمعية الكتاب والسنة، تحت عنوان التربية الإسلامية والتحديات العقدية، العدد الثالث.

٢٢٣. محمد، ممدوح الصدفي، وفرغل عبد الحميد، التحديات التربوية التي تواجه العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين، دراسة تحليلية، ندوة رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٨م، الأقصر.

٢٢٤. محمود، عبد الحليم، التفكير الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة.

٢٢٥. محمود، علي، عالمية الدعوة الإسلامية، ط١، ١٩٩٢م، دار الوفاء، المنصورة.

٢٢٦. المحيلبي، بدر محمد، مقدمة في الفكر الإسلامي، مكتبة الفلاح.

٢٢٧. مدكور، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط٣، ١٩٧٢م، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

٢٢٨. مراح، محمد، مجلة القافلة، مقال بعنوان «مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي»، ، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ١٩٩٩م.

٢٢٩. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ١٩٥٥، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٣٠. المسيري، عبد الوهاب محمد، الصهيونية وتأثيرها في علاقة الإسلام بالغرب، ط١، ٢٠٠٣م، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي.

٢٣١. المسيول، شاتيلهن الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب، مكتبة أمانة ابن زيد، بيروت.

٢٣٢. المشوخي، عبد الله سليمان، مجتمعنا المعاصر، أسباب ضعفه ووسائل علاجه، ط١، ١٩٨٧م، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

٢٣٣. المعلمي، عبد الرحمن، الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والمجازفة، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

٢٣٤. ملكاوي، محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ط، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار ابن تيمية، الرياض.

٢٣٥. المناوي، محمد عبدالرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٣٦. المنتدى الإسلامي، التجديد في الإسلام، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، لندن.

٢٣٧. المودودي، أبو الأعلى، دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي، ١٩٧٨، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٣٨. المودودي، أبو الأعلى، ما هي القاديانية؟، دار القلم الكويت، ونخبة من علماء المسلمين، موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

٢٣٩. المودودي، ابو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدين وإحياؤه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٤٠. المودودي، أبو الأعلى، نظام الحياة في الإسلام، مؤسسة الرسالة.

٢٤١. موريسون، كريسي، الإنسان يقوم وحده، ترجمة محمود صالح الفلكي تحت عنوان (العلم يدعو للإيمان) ط٥، ١٩٦٥، مكتبة النهضة المصرية، ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، نيورك.

٢٤٢. الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، ط٦، ١٩٨٧، دار الطليعة، بيروت.

٢٤٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العلمية للشباب الإسلامية، ط٢، ١٩٨٩م، الرياض، ورجل الدين المذكور هو جو تشيارديني.

٢٤٤. موسى، إبراهيم، الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر دراسة تأصيلية نقدية، ط. ١٤١٨هـ، دار عمار، عمان.

٢٤٥. موسى، محمد يوسف، القرآن والفلسفة، نهضة مصر، ط١، القاهرة.

٢٤٦. مونسما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسما، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلّق عليه: د. محمد جمال الدين الفندي، ١٩٦٨، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

٢٤٧. النبهاني، تقي الدين، نظام الإسلامي، ط٦، منشورات حزب التحرير.

٢٤٨. النحوي، عدنان، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط٢، دار النحوي للنشر، الرياض.

٢٤٩. النحوي، عدنان، الحداثة في منظور إيماني، ط٥، ٢٠٠٧م، دار النحوي للنشر والتوزيع.

٢٥٠. نحوي، عدنان، العولمة والإسلام، ط١، ٢٠٠٧م، دار النحوي للنشر.

٢٥١. ندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، ١٩٩٧م، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين.

٢٥٢. الندوي، أبو الحسن، نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، ط٣، ١٩٧٦م، المختار الإسلامي، القاهرة.

٢٥٣. هدارة، محمد مصطفى، دراسات في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ١٩٨٩م، الأندلسية للأوفسيت.

٢٥٤. الهذلول، عبد، الانفتاح الثقافي ابن تيمية نموذجاً، المجلة الثقافية، العدد١٤٢٨، ٢٠٠٧م، ، صاحب القول العالم أبو البقاء السبكي، (ت٧٧٧هـ).

٢٥٥. هيكل، محمد حسين، الإيمان والمعرفة والفلسفة، ط١، ١٩٦٤م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢٥٦. الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول، ط. ١٤١١هـ، دار الصلاح، الدمام.

٢٥٧. الواسع، عبد الوهاب، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، ٢٠٠٢، مكتبة العبيكان، الرياض.

٢٥٨. وجدي، محمد فريد، الإسلام في عصر العلم، ط٣، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٥٩. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، الطبعة الثانية.

٢٦٠. ياسين، السيد، العولمة والطريق الثالث، ١٩٩٩م، ميريت للنشر، القاهرة.

٢٦١. يوسف، خليل يوسف، القومية العربية ودور التربية في تحقيقها، رسالة دكتوراه غير منشورة، ١٩٦٢م، تربية عين شمس.

٢٦٢. يونس، محمد، الخطاب الإسلامي، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار القلم.

٢٦٣. John Bails & Steve Smith (eds), The Globalizational world Politics and Introduction to International Relations, p.15, 1997, Oxford University Press, London.